المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة

قسم العقيدة

عنوان البحث

(الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير قسم: العقيدة

إعداد الطالبة

هند بنت إبراهيم بخش سندي

الرقم الجامعي

٤٢٥٨٠١٠١

إشراف الدكتور

د ـ أحمد قوشتي عبد الرحيم مخلوف

الفصل الأول: ١٤٣٣هـ

ملخص الرسالة

١. عنوان الرسالة: الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة.
٢. اسم الباحثة: هند إبراهيم بخش سندي.
٣. الدرجة: الماجستير.
٤. خطة الموضوع:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

التمهيد: الأمثال الواردة في القرآن والسنة أهميتها وأغراضها.

الفصل الأول: التوحيد والشرك، وفيه عدة مباحث.

- المبحث الأول: تعريف التوحيد وبيان حقيقته.
- المبحث الثاني: أهميته وأنه سبب دخول الجنة والنجاة من النار.
- المبحث الثالث: تعريف الشرك، وبيان حقيقته.
- المبحث الرابع: خطره وبيان تحريم الجنة على المشرك.
- المبحث الخامس: واقع المسلمين اليوم في ضعف التوحيد وبروز مظاهر الشرك.

الفصل الثاني: الأمثال الواردة في تقرير التوحيد.

- المبحث الأول: الأمثال المضروبة لنفي استواء الموحدين والمشركين.
- المبحث الثاني: الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وأثره القلبي والنفسي.
- المبحث الثالث: الأمثال المضروبة لبناء استحقاق الألوهية على الربوبية.
- المبحث الرابع: الأمثال المضروبة في أثر التوحيد في قبول الأعمال.
- المبحث الخامس: الأمثال المضروبة في بيان جزاء الموحدين.

الفصل الثالث: الأمثال الواردة في نقض الشرك.

- المبحث الأول: الأمثال الواردة في عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله.
- المبحث الثاني: الأمثال الواردة في ضلال وضياع عمل المشرك.
- المبحث الثالث: الأمثال الواردة في إنكار اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.
- المبحث الرابع: الأمثال الواردة في أثر الشرك في حبوط العمل ورده.
- المبحث الخامس: الأمثال الواردة في جزاء المشركين ومآلهم.

الخاتمة. الفهارس.

٥. هدف الرسالة: عالجت قضية مهمة في بيان تقريرالتوحيد ونقض الشرك وأثر ذلك على الفرد من خلال الأمثال من الكتاب والسنة.
٦. موضوع الرسالة:دراسة الأمثال المضروبة في تقرير التوحيد ونقض الشرك .
٧. أبواب الرسالة: - الفصل الأول: التوحيد والشرك، وفيه عدة مباحث.

- الفصل الثاني: الأمثال الواردة في تقرير التوحيد.
- الفصل الثالث: الأمثال الواردة في نقض الشرك.

٨. أهم النتائج والتوصيات: - يساهم هذا البحث في إظهار مكانة التوحيد وإبراز صورته والتحذير من الشرك وبيان خطره.

- يجب على دعاة التوحيد الاهتمام الكبير به، ودراسته دراسة علمية قوية لتقديمه صافيا نقيا إلى البشرية.

Summary of the Letter

1. Title of the Letter: Proverbs Relating to Monotheism in Quran and Sunnah.
2. Name of Researcher: Hind Ibrahim Bakhsh Sindi.
3. The Degree: Master Degree.
4. Plan of the Subject:
    - Introduction: Importance of the subject and the reasons for his choice.
    - Boot: Parables in the Quran and Sunnah Ohmita and symptoms.
    - First Chapter: Monotheism and polytheism, in which several sections.
        - First Research: The definition of Monotheism and the statement of truth.
        - Second Research: The importance of Monotheism and that the reason to enter heaven and escape from hill.
        - Third Research: Definition of polytheism, and the statement of truth.
        - Fourth Research: Hazard and a statement on the prohibition of Paradise polytheist.
        - Fifth Research: The reality of Muslims today in the weakness of the emergence of monotheism and polytheism appearance.
    - Second Chapter: Proverbs in the report of Monotheism.
        - First Research: Proverbs multiplied to deny the equator combined and polytheists.
        - Second Research: Proverbs multiplied to the report of polytheism and its impact on cardiovascular and psychological.
        - Third Research: Proverbs multiplied to build entitlement to the divinity on the deism.
        - Fourth Research: Proverbs multiplied the impact of monotheism in the acceptance of work.
        - Fifth research: Proverbs Qur'anic statement combined penalty.
    - Third Chapter: Proverbs to veto the polytheism.
        - First Research: Proverbs in the inability to benefit the deities for their Abidiha without God.
        - Second Research: Proverbs for error and loss of work polytheist.
        - Third Research: Proverbs in the denial of making partners and turning away from faith.
        - Forth Research: Proverbs in the impact of polytheism work and good deeds in response to.
        - Fifth Research: Proverbs in the penalty of the idolaters and their fate.
    - Conclusion.
    - Indexes.
5. Target Letter: Addressed an important issue in the statement impact of monotheism and polytheism in accepting the work and of the response and its impact on the individual.
6. Subject of Letter: Report the monotheism and veto of the polytheism.
7. Doors of Letter:
    - First Chapter: monotheism and polytheism and have several researches.
    - Second Chapter: Proverbs in report of the monotheism.
    - Third Chapter: Proverbs in veto of the polytheism.
8. Key results and recommendations:
    - This research contributes to show the status of monotheism and its visibility and warning of the dangers of polytheism and Liban.
    - Must be the advocates of monotheism great interest in him, and his strong scientific study to be submitted to a net pure human.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين الذي أتاه الله فصل الخطاب وأنزل إليه الكتاب المبين، وبعثه هاديا للناس وبشيرا ونذيرا.

أما بعد :

فإن من أهم الموضوعات وأشرفها البحوث المتعلقة بالكتاب والسنة ومنها الأمثال الواردة فيهما لما لها من دور كبير في تحقيق الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب ألا وهو هداية النفس البشرية. فإن الله تعالى أنزل كتابه ليكون هداية للناس، فبه تعرف الخلق عليه. وبه عرفوا عظيم صفاته وجلال قدرته، فعظمته القلوب الصادقة المؤمنة، وزاغت عن حبه القلوب الضالة المشركة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[١]

وقد وصف الله تعالى كتابه بأنه ذو الذكر وبأنه نور وبأنه هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، ونوع الله تعالى الأساليب فيه مما أظهر وجهاً من وجوه إعجازه، ووضحت فيه أعظم الدلائل والبراهين على ألوهيته وتفرده سبحانه. هذا وإن من الأساليب التي ذكرها الله في كتابه ضرب الأمثال حتى تقرب المعاني لعباده وتكون أبلغ في التأثير ووضوح المقاصد (فإن الله سبحانه يريد بالأمثال البيان والتفهيم، لا يريد التشكيك والإبهام)[٢]

وقد عددها ابن القيم[٣] . رحمه الله . فقال (وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا)[١]

١سورة ص آية، (٢٩).

٢ابن تيميه، في مجموع الفتاوي، (٢٧٧/٧)، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٣هو الإمام العلامة شمس الدين أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية وتلميذ الشيخ تقي الدين ابن تيمية له التصانيف الأنيقة والتأليف التي في علوم الشريعة. مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه علما جما وكان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم توفي ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة الباب الصغير من دمشق عند والديه رحمهما الله. انظر محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، ص(٦٨). تحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الأولى، (١٣٩٣م) وأحمد بن إبراهيم بن عيسى، شرح قصيدة ابن القيم، (٥/١)، تحقيق: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة: (١٤٠٦هـ).

ومن خلال الأمثلة القرآنية وما ورد في السنة النبوية في التوحيد يتبين لنا عظيم دعوة التوحيد في كتاب الله وسنة نبيه . ولا عجب . أن يرد التوحيد في القرآن والسنة كثيرا وتضرب له الأمثال في تقريره وبيان احتياج العبد إلى الله تعالى، وبيان جزاء الموحدين وأثر التوحيد في قبول الأعمال .... الخ، وكذلك نقيضه وهو الشرك.

ولذلك وجدت في نفسي رغبة أن يكون بحثي مرتبطا بأهم مصادر التشريع كتاب الله تعالى وسنة نبيه. فهما مصدرا العلوم وأساسهما، وهما ايضا العبرة لكل معتبر.

فأردت أن أساهم في خدمة هذا الاتجاه باستخراج أمثال القرآن و السنة النبوية في تقرير التوحيد ونقض الشرك.

أهمية الموضوع وأهدافه:

لعل الهدف الرئيس من هذا البحث ربط القلوب بخالقها، ومن الأهداف الأخرى:

أولا: يساهم هذا البحث في إظهار مكانة التوحيد وإبراز صورته من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

ثانيا: الناظر لحال المسلمين اليوم يجد الاضطراب الواضح في أمر التوحيد وانتشار الشرك بنوعيه من الشرك الأكبر والشرك الأصغر. وقد قل في مثل هذه الأيام وجود الموحد الذي لم يخدش توحيده شيء، وحاجة المسلمين اليوم لتقوية توحيدهم وإبعادهم عن الشرك حاجة ماسة، على العلماء والدعاة حيث الدور المناط بهم عظيم والحجة عليهم قائمة.

فلعلي بهذا البحث أساهم في هذا البناء، فإن (توحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدا، بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره)[٢]

وسيظهر من خلال هذه الأمثال تقريرها لتوحيد الإلوهية وكيف نقضت عمل المشرك وأن أعمالهم لما لم تقم على التوحيد جعلها الله هباء منثورا.

ثالثا: إبراز جوانب التوحيد التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية بأساليب مختلفة حتى تكون عقيدتنا عقيدة صحيحة مستمدة من الكتاب والسنة.

٤ابن القيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (١٣٠/١)، تحقيق : عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت ،(١٩٧٣م).

٢ابن تيميه، مجموع الفتاوى (٧٠/١).

رابعا: إظهار الحكمة من ذكر الأمثلة في القرآن والسنة وخاصة ما يتعلق فيها بالتوحيد، فإنها وردت لحكمة عظيمة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3]

فهي ضربت لتقريب الصورة وللاعتبار فهذه الأمثال مما ضرب رسول الله عليه السلام لتقريب المراد وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع فهو أقرب إلى تعقله باستحضار نظيره.[4]

الدراسات السابقة :

من خلال اطلاع الباحثة على العديد من الدراسات والبحوث لم تجد دراسة تطرقت لهذا الموضوع من الناحية العقدية إلا ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين بعد ذكره للقياس، فتكلم عن هذه الأمثال وغيرها بعد ذكر قياس الشبه، وقد طبع هذا الجزء من الكتاب وخرج باسم (أمثال القرآن).

وكذلك هنالك رسالة أخرى أعدت لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية، للدكتور: عبد الله الجربوع، وتحمل اسم (الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله).

وهي دراسة تكلمت عن جانب واحد وهو جانب الإيمان ولذلك كانت دراسة مقتصرة على الأمثال في تقرير الإيمان، ولم يتطرق لغير هذه الأمثال الثلاثة:

- مثل سورة النور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[5]

---

١ سورة إبراهيم آية، (٢٥).
٢ سورة الروم آية، (٢٨).
٣ سورة الحشر آية، (٢١).
٤ أنظر ابن القيم، إعلام الموقعين، (١٨٢/١،١٨٣).
٥ سورة النور آية، (٣٥).

- مثل سورة النور قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]
- مثل سورة النور قال تعالى: ﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]

ثم تحدث عن: الأمثال المضروبة لله تعالى في فصلين:

أولها: في النهي عن ضرب المثل لله تعالى.

الثاني: في ثبوت تفرد الله تعالى بالمثل الأعلى.

ولم يتطرق في بحثه هذا للأمثال المضروبة لتوحيد الألوهية، بل خرج في إحدى توصياته إلى: الاستمرار في بحث الأمثال القرآنية المتعلقة بالإيمان. ثم طرح هذا العنوان: (الأمثال المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك).[3]

الجهود السابقة: في أمثال السنة النبوية.

أولاً: كتاب "الأمثال من الكتاب والسنة" للإمام أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي.

والكتاب في ثلاثة أقسام: الأمثال من القرآن، والأمثال من الأحاديث والأخبار، أمثال الحكماء. وتعرض لها بشرح يسير بعد كل مثل.[4]

ثانياً: كتاب "الأمثال في الحديث النبوي" تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني.

فهذا الكتاب يشمل في معظمه الأمثال التي أسندت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وألحق المؤلف في آخره أمثال لبعض الحكماء.

---

١ سورة النور آية، (٣٩).
٢ سورة النور آية، (٤٠).
٣انظر عبد الله جربوع، الأمثال القرآنية، (١١١٧/٣). عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٤ انظر أبي عبد الله الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: علي محمد البخاري، نهضة مصر، القاهرة.

والأمثال النبوية فيه تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما هو مثل بالمعنى المعروف، أي القول السائر على الألسنة وبدأ المؤلف بها وذكر حوالي ١٢٣ مثلا.

الثاني: وهو المثل بالمعنى التمثيلي.وكان هدف المؤلف جمع هذه الأمثال فقط، ولم يتعرض لها بالشرح بخلاف الترمذي.[١]

الصعوبات:

لم أواجه صعوبة . والحمد لله . في جمع المادة العلمية المتعلقة بأمثال القرآن، فقد تكفلت كتب التفسير والعقيدة بحفظ أقوال أهل العلم في ذلك. إلا أن البحث لم يخل من بعض الصعوبات في الجانب الآخر، وهي الأمثال من السنة النبوية، فلم أجد المراجع الكثيرة في شرح أمثال السنة النبوية. وهنالك صعوبات آخر من أهمها:

أولاً: بما أن هذه الرسالة هي أول ما تفضل الله علي بكتابته فواجهت بعض الإشكال في كيفية صياغتها الصياغة العلمية للبحث. فكان الفضل لله تعالى ثم لمشرفي بتوجهاته فتمكنت من التغلب على هذه الصعوبة.

ثانياً: التحقق من المعني الراجح في كثير من ألفاظ الأمثال.

ثالثاً: الصعوبات النفسية لتعلق البحث بتفسير القرآن الكريم، والسنة النبوية، وقضايا توحيد الله، وذلك أمر ثقيل عظيم يتطلب التحقق والبحث والتأني في إثبات المعاني والأقوال.

خطة البحث:

خطة البحث . بإذن الله . على النحو التالي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

التمهيد: الأمثال (اطلاقات كلمة مثل وتعريفها وأهميتها و أغراضها).

وفيه عدة مطالب:

١انظر أبي الشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، الهند. بومباي الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

المطلب الأول: اطلاقات كلمة مثل وتعريفها لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: اشتمال المثل على القياس.

المطلب الثالث: أهميتها وأغراضها.

الفصل الأول: التوحيد والشرك.

وفيه عدة مباحث.

المبحث الأول: تعريف التوحيد وبيان حقيقته.

وفيه عدة مطالب.

المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بيان توحيد الربوبية.

المطلب الثالث: بيان توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الرابع: بيان توحيد الإلوهية.

المبحث الثاني: أهمية التوحيد، وأنه سبب دخول الجنة والنجاة من النار.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التوحيد.

المطلب الثاني: التوحيد سبب دخول الجنة والنجاة من النار.

المبحث الثالث: تعريف الشرك وبيان حقيقته.

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشرك.

المطلب الثاني: أنواع الشرك وحقيقته.

المطلب الثالث: الشرك وكونه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر و بيانهما.

المبحث الرابع: خطره، وبيان تحريم الجنة على المشرك.

وفيه عدة مطالب.

المطلب الأول: خطر الشرك.

المطلب الثاني: أنه أكبر الكبائر، وبيان أحكام نوعي الشرك.

المطلب الثالث: تحريم الجنة علي المشرك.

المبحث الخامس: واقع المسلمين اليوم في ضعف التوحيد وبروز مظاهر الشرك.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الانحراف في مفهوم العبادة.

المطلب الثاني: واقع المسلمين اليوم وبروز مظاهر الشرك والبدع والخرافات.

الفصل الثاني: الأمثال القرآنية والنبوية الواردة في تقرير التوحيد: وفيه عدة مباحث

المبحث الأول: الأمثال المضروبة لنفي استواء الموحدين والمشركين.

وتطرقت في المبحث لدراسة الأمثال التالية:

المثل الأول:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩ ﴾[1]

المثل الثاني:

قولهتَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ ﴾[2]

١سورة الزمر آية، (٩٢).
٢سورة هود آية، (٢٤).

المثل الثالث:

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1]

المثل الرابع:

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [2]

المثل الخامس:

فقال صلى الله عليه وسلم:(مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ من الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ لَا تَزَالُ حتى يَكُونَ انْجِعَافُهَا). [3]

المبحث الثاني: الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وأثره القلبي والنفسي.

وتطرقت فيه لدراسة الأمثال التالية من القرآن والسنة:

المثل الأول:

قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [4]

المثل الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ

١سورة النحل آية، (٧٥).
٢سورة النحل آية، (٧٦)
٣رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض...ح(٥٣١٦).(٥/٢١٣٧).
٤ سورة الرعد آية، (١٧).

لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾[1]

المثل الثالث:

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ منها أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بها الناس فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ منها طَائِفَةً أُخْرَى إنما هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ قال أبو عَبْد اللَّهِ قال إِسْحَاقُ وكان منها طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي من الأرض).[2]

المبحث الثالث: الأمثال المضروبة لبناء استحقاق الألوهية على الربوبية.

ودرست في هذا المبحث الأمثال التالية:

المثل الأول:

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩ ﴾[3]

المثل الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾[4]

---

١ سورة النور آية، (٣٥).

٢ متفق عليه: رواه البخاري في الصحيح، كتاب: العلم باب: فضل من علم وعلم، ح(٧٩)، (٤٢/١). وعند مسلم في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم، ح(٢٢٨٢)، (١٧٨٧/٤).

٣ سورة الفتح آية، (٢٩).

٤ سورة الجمعة آية، (٥).

المثل الثالث:

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[١]

المثل الرابع:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لَا يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ).[٢]

المثل الخامس:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ له عَمَلًا يَوْمًا إلى اللَّيْلِ على أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا له إلى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لنا إلى أَجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لنا وما عَمِلْنَا بَاطِلٌ فقال لهم لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هذا وَلَكُمَا الذي شَرَطْتُ لهم من الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حتى إذا كان حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ قالا لك ما عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الذي جَعَلْتَ لنا فيه فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا ما بَقِيَ من النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا له بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حتى غَابَتْ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ ما قَبِلُوا من هذا النُّورِ).[٣]

المبحث الرابع: الأمثال الواردة في أثر التوحيد في قبول الأعمال.

ودرست في هذا المبحث الأمثال التالية:

المثل الأول:

---

١ سورة الأعراف آية، (١٧٥/١٧٦).

٢ متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح: كتاب: الأطعمة، باب: ذكر الأطعمة، ح(٥١١١)، (٢٠٧٠/٥)، ومسلم في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، ح(٧٩٧)، (٥٤٩/١).

٣ رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الإجارة، باب: الإجارة من العصر إلى الليل، ح(٢١٥١)، (٧٩٢/٢).

فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

المثل الثاني:

قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عليها صَاحِبُهَا فلم تَغَيَّرْ ولم تَنْقُصْ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّباً وَوَضَعَتْ طَيِّباً وَوَقَعَتْ فلم تَكْسِرْ ولم تُفْسِدْ)[2]

المثل الثالث:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الرعد والحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها).[3]

المبحث الخامس: الأمثال الواردة في بيان جزاء الموحدين.

وتطرقت في هذا المبحث للأمثال التالية.

المثل الأول.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[4]

المثل الثاني.

---

١ سورة إبراهيم آية، (٢٤،٢٥).

٢ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(٦٨٧٤)، (٣٦٠/٥)، وابن حبان، في صحيح ابن حبان، ح(٢٤٧)، (٤٨٢/١)، وأبو بكر البيهقي، في شعب الإيمان، ح(٥٧٦٦)، (٥٨/٥)، وقال عنه الألباني صحيح، في السلسلة الصحيحة، ح(٢٢٨٨)، (٥/ ٣٦٠).

٣ رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرك،ح(٢٤٦)، (١٤٥/١)، وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجانه ، وأبو يوسف يعقوب القسوي، المعرفة والتاريخ، ح(١٥٣٩)، (١٧٣/١)، تحقيق: خليل منصور،دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).ورواه ابن عبد البر النمري، في التمهيد لأبن عبد البر، (٥٩/٢٤)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، سنة(١٣٨٧هـ)، وقال عنه الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٧١٤)، (٢٩٠/٤).

٤ سورة البقرة آية، (٢٦١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ ﴾[1]

المثل الثالث.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (من قال سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).[2]

الفصل الثالث: الأمثال القرآنية والنبوية الواردة في نقض الشرك: وفيه عدة مباحث

المبحث الأول: الأمثال المضروبة في عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله.

وتطرقت في هذا المبحث للأمثال التالية:

المثل الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[3]

المثل الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[4]

المثل الثالث.

---

١ سورة الرعد آية، (٣٥).

٢ متفق عليه رواه البخاري، قي الصحيح، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، ح(٦٠٤٢)، (٢٣٥٢/٥)، ومسلم، في الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتهليل، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ح(٢٦٩١)، (٢٠٧١/٤).

٣ سورة الحج الآية، (٧٣).

٤ سورة العنكبوت آية، (٤١).

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فيها فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ وأنتم تقحمون فيها).[1]

المبحث الثاني: الأمثال المضروبة في ضلال وضياع عمل المشرك.

وتطرقت في هذا المبحث للأمثال التالية:

المثل الأول:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[2]

المثل الثاني:

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[3]

المثل الثالث:

وقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بين الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً وَإِلَى هذه مَرَّةً لاَ تدري أَهَذِهِ تَتْبَعُ أَمْ هذه)[4]

المبحث الثالث: الأمثال المضروبة في إنكار اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.

وتطرقت في هذا المبحث للأمثال التالية:

المثل الأول:

---

١ متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب:الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، ح (٦١١٨).(٥/ ٢٣٧٩)، وعند مسلم، في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته..، ح (٢٢٨٤)، (١٧٨٩/٤).

٢ سورة الأعراف آية، (١٧٩).

٣ سورة النور آية، (٣٩).

٤روره أحمد بن حنبل ،في مسنده، ح(٥٠٧٩)، (٤٧/٢)، و الدارمي ، في سننه، ح(٣١٨)، (١٠٥/١)، و السيوطي، في المعجم الاوسط، ح(٤٣٥٣)، (٢٩٨/٤)، والمعجم الصغير، ح(٥٨٥)، (٣٥٠/١)، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح، ح(٥٨٥٣)، في صحيح وضعيف الجامع الصغير.

فقال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1]

المثل الثاني:

قال تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

المثل الثالث:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أجْرَدُ فيه مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ على غِلاَفِهِ وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ فَأَمَّا الْقَلْبُ الأَجْرَدُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فيه نُورُهُ وَأَمَّا الْقَلْبُ الأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ وَأَمَّا الْقَلْبُ المنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ أنكر وَأَمَّا الْقَلْبُ المصْفَحُ فَقَلْبٌ فيه إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الإِيمَانِ فيه كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فيه كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ فأي الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ على الأُخْرَى غَلَبَتْ عليه).[3]

المبحث الرابع: الأمثال المضروبة في أثر الشرك في حبوط العمل ورده.

وتطرقت في هذا المبحث للأمثال التالية:

المثل الأول.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾[4]

المثل الثاني.

---

١ سورة الأنعام آية، (١٢٢).
٢ سورة الحج آية، (٣١).
٣ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(١١١٤٥)، (١٧/٣)، وأبو القاسم الطبراني، في المعجم الكبير، ح(٢٨٥)، (١١٧/٣)، و في المعجم الصغير، ح(١٠٧٥)، (٢٢٨/٢)، وابن أبي شيبة موقوفاً، في مصنفه، ح(٣٧٣٩٥)، (٤٨١/٧)، وذكره ابن كثير، في تفسيره، (٥٧/١)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٩ هـ).
وقال عنه إسناده جيد حسن، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف مرفوعاً والصحيح موقوف، في تخريج أحاديث الإيمان لابن تيمية.
٤ سورة إبراهيم آية، (١٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]

المثل الثالث.

وقال صلى الله عليه وسلم: (لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورا) قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا وجلهم لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: (أما إنهم إخوانكم من جلدتكم يأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلو بمحارم الله أنتهكوها).[2]

المبحث الخامس: الأمثال المضروبة في جزاء المشركين ومآلهم.

وتطرقت في هذا المبحث للأمثال التالية:

المثل الأول.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3]

المثل الثاني:

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾[4]

المثل الثالث:

وقوله صلى الله عليه وسلم (ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وما بين منكبيه).[5]

---

١ سورة ال عمران آية، (١١٦،١١٧).
٢ رواه الطبراني، في مسند الشامين، (١/ ٣٩٣) ح (٦٨٠)، وفي المعجم الأوسط، (٤٦/٥)، ح (٤٦٣٢)، وفي المعجم الصغير، (٣٩٦/١)، ح (٦٦٢)، وأبي بكر إسماعيل الكناني، مصباح الزجاجة، كتاب: الزهد، باب: ذكر الذنوب، (٢٤٦/٤). وقال عنه هذا حديث صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (٥٠٥) (٣٢/٢).
٣ سورة النحل آية، (١١٢).
٤ سورة الحشر آية، (١٥).
٥رواه مسلم، في الصحيح، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارين والجنة يدخلها الضعفاء، ح(٢٨٥١)، (٢١٨٩/٤).

هذا وقد سلكت في كتابة هذه الرسالة المسلك التالي:

١. جمع المادة العلمية المتعلقة بالبحث وتوزيعها على حسب فصول خطة البحث ومباحثه مع التحقيق في القضايا والجمع والترجيح.

٢. تنظيم المادة العلمية وتنسيقها بأسلوب علمي مع بذل الجهد في جودتها وحسنها.

٣. عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية، ولم أفرق بين المكي والمدني ولا الآية الكاملة أو الجزء من الآية.

٤. خرجت الأحاديث من مصادرها وإن كان في أحد الصحيحين أوفيهما أخرجه منها وإن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما خرجته من الكتب المعتمدة الأخرى التي ورد فيها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ثم أذكر أقوال العلماء في الحكم على الحديث.

٥. رجعت المادة العلمية إلى المصادر الأصلية ما أمكن ذلك فإن لم يمكن فإني أوثق النسبة من أوثق كتب أصحاب الأقوال المعتمدة الذين قد عرفوا بالثقة والتثبت في النقل.

٦. ذكرت اسم المؤلف أولاً ثم اسم الكتاب ثم الجزء والصفحة ثم المحقق ثم دار النشر ثم سنة الطبعة ورقمها.

٧. وإذا نقلت من كتاب بالمعنى أو بتصرف فإني أحيل إلى الكتاب بقول انظر عنه، من غير وضعها بين أقواس.

٨. وإذا أردت التوسع في الموضوع ولم استطع فإني أحيل إلى الكتاب بقول انظر، من غير ذكر رقم الصفحة.

٩. ترجمت الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث ما عدا المشهورين؛ والمعاصرين. فإني لم أترجم لهم لعدم خفاء حالهم ككبار الصحابة والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة وغيرهم.

١٠. عرفت المصطلحات والألفاظ الغريبة في الرسالة من كتب الغريب والمعاجم اللغوية.

١١. التعريف بالفرق والطوائف التي يرد ذكرها في البحث.

١٢. التعليق على القضايا التي ترد في البحث حسب الحاجة.

١٣. وضعت فهارس للبحث .

شكروتقدير:

هذا وأشكر الله تعالى وأحمده على عظيم كريم فضله، حيث وفقني لسلوك طريق العلم وهداني إلى الالتحاق بجامعة أم القرى والتزود بعلومها، ويسر لي كتابة هذا البحث الذي أرجو أن يكون على الوجه الذي يرضيه عني. وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى. ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله فأقدم بخالص الشكر والتقدير لوالدي الكريمين ولزوجي العزيز المهندس: أحمد زيني قاروت.

ثم أتوجه بالشكر لشيخي المشرف على البحث الأستاذ الدكتور: أحمد قوشتي عبد الرحيم. الذي زودني بنصائحه وتوجهاته القيمة التي أسهمت في إنجاز هذا البحث وتخطي ما يعرض فيه من إشكال وكانت أوقات مكالماتي له فرصة للاستفادة من علمه وتجاربه. فله مني جزيل الشكر والتقدير، وأسأل الله العلي القدير أن يجزل له الأجر، وأن يرفع منزلته في الدنيا والآخرة.

وأشكر كل من تعلمت منه في هذا الصرح العلمي. كما أشكر كل من تفضل علي وأعانني على إتمام بحثي فأشكر أخي الأستاذ: باسم إبراهيم سندي. وأختي: عزيزة إبراهيم سندي وأخص بالشكر كذلك رئيس قسم العقيدة الدكتور سالم القرني. الذي كان عونا لجميع طلاب العلم. يتفهم ظروفهم ويساندهم ويشد من أزرهم. وييسر لهم ماااستعسر عليهم.

وأخص بالشكر . أيضاً . كلا من الشيخين المناقشين للرسالة.

د. أبو زيد بن محمد المكي.

د. شريف الشيخ صالح الخطيب.

والحمد لله أولاً و آخرا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمهيد في الأمثال (اطلاقات كلمة مثل وتعريفها وأهميتها وأغراضها).

وفيه عدة مطالب.

المطلب الأول: أطلاقات كلمة مثل وتعريفه لغة واصطلاحاً.

خصص بعض أهل المعاجم اللغوية والمصطلحات مساحات كبيرة نسبياً لدراسة معنى المثل، وذلك لكثرة معانيه في اللغة، والأصول التي أخذت منها تلك المعاني، وإن كان منهم من لم يتوسع في ذلك مثل الجرجاني في كتابه التعريفات.

وستكتفي الباحثة بذكر أهم المعاني الرئيسة التي تدور عليها كلمة المثل، وحدَّها اللغوي، وبعض الاصطلاحات والتعريفات للعلماء الذين كتبوا في الأمثال وذلك لكل معنى من المعاني اللغوية، وبعض الشواهد من الكتاب والسنة النبوية. ومن أهم المعاني الرئيسة للمثل ما يلي:

أولاً: إطلاق كلمة المثل بمعنى (النموذج أو المثال).

تعريفه في اللغة.

وقد نص ابن منظور[١] على ذلك فقال " المثل: ما جُعل مِثالاً أَي مقداراً لغيره يُحْذَى عليه".[٢] ويقول الفيروز أبادي[٣] "وتمثل بالشيء ضربه مثلا ".[٤]

وفي الاصطلاح.

وقد نص عليه بعض العلماء فقالوا: "يطلق المثل في القرآن ويراد منه ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع أو عمل من الأعمال، أو سنة من السنن".[١] أي أن تجعل من سيرة شخص أو جماعة مثلاً يقتدى

---

١ محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري ولقب: جمال الدين، أبو الفضل. أديب، لغوي، ناظم، ناثر، مشارك في علوم. ولد في أول المحرم بمصر سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، وقيل بطرابلس الغرب، فتوفي بمصر في شعبان سنة (٧١١هـ/١٣١١م). من آثاره الكثيرة: مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، لسان العرب، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، نثار الإزهار في الليل والنهار، ومختصر مفردات ابن البيطار.انظر معجم المؤلفين (٤٦/١٢).

٢ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (٦١٢/١١)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٣ محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر بن أبي بكر بن احمد بن محمود ابن إدريس بن فضل الله الفيروز آبادي، الشيرازي، الشافعي، لغوي مشارك في عدة علوم. ولد بكازرون من أعمال شيراز سنة (٧٢٩ه/١٣٢٩م)، توفي بزبيد ليلة العشرين من شوال سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م). من تصانيفه الكثيرة: القاموس المحيط والقاموس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، بصائر ذوي التمييز. انظر معجم المؤلفين (٦٨/١، ٦٩).

٤ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص(١٣٦٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

به، وفي المقابل أن تجعل من سيرة شخص أو جماعة لا ترتضي سيرتهم مثلاً تحذر منه، حتى ولو لم تكن تلك الجماعة أو ذلك الشخص أول من اتصف بتلك السيرة ولكنه اشتهر بها، فمثال النموذج الحسن في الصبر نبي الله أيوب عليه السلام، بينما مثال النموذج السيئ في الطغيان والاستكبار فرعون.

وقد سمى الله عز وجل قصص الذين خلوا من قبل مثلاً "لأن الغرض من ذكرها التنبيه على سنة الله في عباده، نظراً إلى أنها نماذج من تصاريف الله وحكمته في مجازاة عباده "[٢]

وهذا النوع من الأمثال النموذجية يوضع فيه المثل أمام عقل السامع حيث يقيس عليه ما يناسبه ويعتبر به "والقياس هنا يستند إلى مبدأ الشمول والأحكام للمتماثلات الذي تقتضي به أصول الحقائق، أو تقضي به حكمة الخالق في خلقه، وفي تصاريف عدله، وفي سننه، فينتج أحكاما عامة تشمل سائر الأفراد المماثلة لما جاء في المثل. وهذا النوع يسمى قياس الشمول وهو يختلف عن قياس التمثيل الذي يمثل فيه الشيء المعين بشيء معين، وهو القياس الذي تقوم عليه الأمثال التشبيهية "[٣] والتي سيرد ذكرها في النوع الثاني.

ورود هذا النوع في القرآن.

وقد ورد هذا النوع من الأمثال كثيراً في القرآن حيث إن الله عز وجل يضرب للكافرين والمنافقين أمثالاً ليحذرهم من طريقهم ويضرب للمؤمنين أمثالاً ليثبتهم على طريقهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [٤]

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٥]

---

١. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(٤٢)، دار القلم،دمشق، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ).

٢عبد الرحمن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(٢٨).

٣عبد الله جربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، ص(٨٤/٨٥).

٤ سورة التحريم آية، (١٠).

٥ سورة التحريم آية، (١١).

ورود هذا النوع في السنة المطهرة.

أما السنة النبوية فلم يرد فيها المثل بهذا المعنى إلا قليلاً فيما اطلعت الباحثة عليه، ومن ذلك:

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن مثل أخذهم إن شبرا فشبر وإن ذراعا فذراع وإن باعا فباع حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه ألا أن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم وأنها افترقت على عيسى بن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم ثم أنهم يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم).[1]

ثانيا: المثل بمعنى (المِثل) وهو النظير والشبيه.

تعريفه في اللغة.

وقد نص أبو بكر الرازي[2] على هذا المعنى فقال:"مِثْلٌ كلمة تسوية يقال هذا مِثْلُهُ و مَثَلُه كما يقال شِبْهُه وشَبَهه".[3] وفي القاموس المحيط "المثل بالكسر والتحريك الشبه".[4]

تعريفه في الاصطلاح.

قال ابن القيم عن الأمثال:"إنها تشبيه شيء بشيء في الحكم، وتقريب المعقول من المحسوس، أو احد المحسوسين من الآخر".[5]

ونفهم من ذلك أن المثل يقوم على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو أكثر وهو مأخوذ من المماثلة أي: المشابهة يقال محمد كالأسد أي شبيه له لمشاركته في عنصر الشجاعة.

١رواه أبن أبي شيبة وفي المصنف، كتاب الفتن (٤٨١/٧). والطبراني، في المعجم الكبير، في مسند عمر بن عوف المزني (١٣/١٧). والحاكم النيسابوري في، المستدرك، (١/ ٢١٩). وذكره الهيثمي في مجموع الزوائد، في كتاب الفتن باب افتراق الأمة، (٢٦٠/٧) حيث قال الطبراني: وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف وقد حسن الترمذي له حديثا وبقية رجاله ثقات، وورد في صحيح البخاري (١٢٧٤/٣)، بغير هذه الألفاظ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قال فَمَنْ).

٢ محمد الرازي (كان حيا ٦٦٦ هـ) (١٢٦٨ م) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي، لغوي، فقيه، صوفي، مفسر، أديب. أصله من الري، من تصانيفه: مختار الصحاح، روضة الفصاحة في غريب القرآن، دقائق الحقائق في التصوف، حدائق الحقائق في المواعظ، وكنوز البراعة في شرح المقامات للحريري .انظر معجم المؤلفين (١١٢/٩).

٣محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص(٢٥٦)،تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (١٤١٥هـ).

٤أبو بكر الرازي، انظر القاموس المحيط، ص(١٣٦٥).

٥ابن القيم ، أمثال القرآن، ص(٢٧) تحقيق: جميل إبراهيم حبيب، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

ولا يشترط في التشبيه أن يكون مطابقاً من كل الوجوه، إذ إن منه ما هو بسيط ومنه ما هو مركب، والبسيط: قائم على وجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما كتمثيل من يحمل العلم ولا ينتفع به بالحمار الذي يحمل كتب العلم على ظهره، والمركب: لوجود أكثر من عنصر تشابه أو تماثل بينهما.كتمثيل المؤمن بالنخلة. وهذا النوع من الأمثال التشبيهية يقوم على القياس التمثيلي، حيث يكون فيه بيان المشبه بمقايسته على المشبه به.

وله ثلاثة أركان وهي: المثل، والممثل، والممثل به. ولهذا النوع من التشبيه قسمان:

"القسم الأول: التشبيه التمثيلي الذي ذكر فيه المثل، والممثل، والممثل به.

القسم الثاني: يلمح فيه التشبيه التمثيلي من السياق دون أن يصرح فيه بذكر المثل، والممثل، والممثل به". [١]

ورود هذا النوع في القرآن.

ورد هذا النوع كثيرا في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [٣]

ورود هذا النوع في السنة.

وردت الأمثال التشبيهية في السنة النبوية الشريفة لما لها من أثر كبير في الإيضاح والإقناع، الأمر الذي يدل على عظم ما أعطاه الله تعالى لنبيه من الفصاحة والبلاغة. ومن ذلك:

١عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص(٢٥)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٢ سورة هود آية، (٢٤).

٣سورة الجمعة آية، (٥).

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول (أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ما تَقُولُ ذلك يُبْقِي من دَرَنِهِ قالوا لَا يُبْقِي من دَرَنِهِ شيئا قال فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بها الْخَطَايَا).[1]

ثالثاً: ويطلق لفظ مثل بمعنى (وصف الشيء).

تعريفه في اللغة.

وقد نص كل من أبو بكر الرازي وابن منظور على أن مَثَلُ الشيء صفته.[2] والمثال: صفة الشيء. ومنه قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]".[4]

وتعريفه في الاصطلاح.

وتطلق كلمة (المثل) في القرآن ويراد منها وصف الشيء بعبارة كلامية، نظراً إلى أن الأوصاف التي تذكر لشيء ما ترسم له مثالا وصفيا بدلالات تعبيرية.[5]

وهناك تداخل كبير بين معنى المثل ومعنى الوصف وذلك أن التمثيل إنما يذكر أوصاف الممثل له بمقايستها بأوصاف الممثل به، والذي يورد المثل أو التشبيه إنما يذكر وصف المشبه أو المشبه له.

فيمكن القول في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾ ﴾[6] أنه "ليس كوصفه شيء أي: لا يشبه أوصافه شيء من الأشياء. وذلك لأن المثل والمثل يستعملان بمعنى الوصف وبهذا ينحل الإشكال الذي ألجأ العلماء إلى تأويل اجتماع كلمتي تشبيه، هما: (الكاف)و(مثل)وهل الكاف زائدة، أو للتأكيد، أو أن المراد نفي مثل المثل، فنفي المثل من باب أولى، إلى غير ذلك من كلام طويل حول هذا التعبير".[7]

مما تقدم يتضح أن كلمة مثل ترد في اللغة بمعنى وصف الشيء، وأن الوصف يقصد به التمثيل وقد وردت بهذا المعنى في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والأرجح إفادتها التشبيه إذا اقترنت بكاف التشبيه.

---

١ رواه البخاري في صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس، ح (٥٠٥) (١ /١٩٧).
٢الرازي، مختار الصحاح، ص(٢٦٥)، ابن منظور، لسان العرب، (٦١١/١١).
٣سورة الرعد آية، (٣٥).
٤ انظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص(١٣٦٥).
٥ عبد الرحمن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(٢٤).
٦سورة الشورى آية، (١١).
٧عبد الرحمن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(٣٩).

ورود هذا النوع في القرآن.

ورد هذا النوع في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

وقَالَ تعَـالَى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[2]

وورد هذا النوع في السنة.

من الأحاديث التي وردت فيها مثل بمعنى وصف قوله صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعا وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جميعا".[3]

رابعاً: ويطلق لفظ مثل بمعنى (القول السائر).

تعريفه في اللغة: يقول ابن منظور "مَثَّلْت له كذا تَمْثيلاً إذا صوَّرت له مثاله بكتابة وغيرها ".[4]

أما الفيروز أبادي فيقول "ومثله له تمثيلا صوره له حتى كأنه ينظر إليه وامتثله هو تصوره"[5] وقال غيرهم : : "يقال مثل الرجل يمثُل مُثُولاً إذا انتصب قائما".[6]

---

١ سورة الرعد آية، (٣٥).
٢ سورة الفتح آية، (٢٩).
٣ رواه البخاري في صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب تقويم الأشياء بين الشركاء بقيمة عدل، ح (٢٣٦/٢ ٨٨٢).
٤ابن منظور، لسان العرب، (١١/ ٦١٣).
٥الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص(١٣٦٥).
٦أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر، (٢٩٤/٤)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ).

وتعريفه في الاصطلاح.

والمثل: "عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهم الآخر ويصوره، نحو قولهم "الصيف ضيعت اللبن "فإن هذا القول يشبه قولك: "أهملت وقت الإمكان أمرك".[١]

وقال بعض العلماء: "سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول. مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب ".[٢]

وإذا نظرنا إلى طبيعة المثل في اللغة العربية، وجدنا له موردا ومضربا، فالمورد هو: أساس المثل الذي قيل فيه، والحديث الذي ورد فيه، أو الحادثة والقصة التي قيلت فيه، وأما المضرب فهو: الذي يستشهد به فيه من كل وقت وعصر، لما بينهم من تشابه.

وقد نص العلماء على ذلك فقالوا:"وقد يكتفي الباحث بذلك المضرب، وقد يذهب الباحث وراء المضرب ليعرف مورد المثل وحقيقته وهذا أمر مألوف في الأمثال العربية وطبيعتها وتكوينها، يبحث عن الجذور والأصل، ليستطيع الربط بين المورد والمضرب".[٣]

وهكذا يظهر لنا أن القول الموجز الحكيم إذا سار بينهم، وكثر استخدام الناس له وكثر تمثلهم به في المواقف المشابهة له، يصبح مثلا.

ورود هذا النوع في القرآن.

سارت على ألسن الناس بعض الآيات القرآنية الكريمة وتمثلوا بها. ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴿٥١﴾ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[٦] وغير ذلك كثير من الآيات الكريمة الكريمة أو أجزاؤها التي تداولها الناس، ومما سار على ألسنتهم، ولم تكن في أول نزولها كذلك.

١عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن، ص (١٥).
٢أبو الشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي، ص(١٨).
٣ علي احمد عبد العال الطهطاوي، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، ص(١٧٧)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٥هـ /٢٠٠٤ م).
٤ سورة يوسف آية، (٥١).
٥سورة الإسراء آية، (٨١).
٦سورة الرحمن آية، (٦٠).

وورد هذا النوع في السنة.

لقد خص الله تعالى نبيه بجوامع الكلم، فكان يتكلم بالكلام الموجز الحكيم، ومنه ما فشي على السن الناس حتى أصبح مثلا.ومنها ما يلي:

(ليس الخبر كالمعاينة) ١ وقوله عليه الصلاة والسلام (الْحَرْبَ خَدْعَةً)[٢] وقال عليه السلام (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)[٣] وغيره كثير وقد أورد الأصبهاني[٤] في كتاب الأمثال في الحديث النبوي حوالي ١٢٣مثلاً ١٢٣مثلاً جميعها بمعنى القول السائر المشتهر على الألسنة.[٥]

المطلب الثاني: اشتمال المثل على القياس.

نص ابن منظور على أن القياس هو التقدير حيث يقال:"قِسْتُ الشيء بغيره وعلى غيره فنقاس إذا قدَّرته على مثاله".[٦] ويستعمل أيضاً في التشبيه ،وغيره. فالقياس أوسع مدلولا من الشبه وقد نص أيضاً ابن منظور على ذلك فقال: "و قايَسْت بين الأَمرين مُقايَسة و قياساً. ويقال: قايَستْ فلاناً إذا جارَيْتَه في القِياس. وهو يَقْتاسُ الشيء بغيره أَي يَقِيسُه به، و يَقْتاس بأَبيه اقْتِياساً أَي يَسْلك سبيله ويَقتدي به".[٧]أي يجعله نموذجا يحتذي به.

ونص شيخ الإسلام على أن القياس هو التقدير فقال:"تقدير الشيء المعين بنظيره المعين".[٨]

والقياس في الأمثال يكون بطريقين:

الأول: طريقة التشبيه، ويكون بتشبيه الفرع بالأصل، وغالبا ما يوجد فيه أداة من أدوات التشبيه.

١رواه أحمد بن حنبل في مسند، ح(١٨٤٢)(٢١٥/١)، و الحاكم النيسابوري في، المستدرك، (٢ /٣٥١) وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأبن حيان في الصحيح، (٩٦/١٤). ورواه أبو عبد الله الحنبلي، وفي الأحاديث المختارة (٢٠٢/٥).

٢متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح: كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ح(٢٨٥٦)، (١١٠٢/٣)، مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، ح(١٧٣٩)(١٣٦١/٣).

٣ متفق عليه. رواه البخاري: كتاب الأذان، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ح(٥٧٨٢)، (١٣٦١/٥)، مسلم:كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ح(٢٩٩٨)، (٢٢٩٥/٤).

٤أبو الشيخ حافظ أصبهان الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري صاحب المصنفات السائرة ويعرف بابي الشيخ ولد سنة أربع وسبعين ومائتين انظر تذكرة الحفاظ (٣ /٩٤٥).

٥انظر أبي الشيخ الأصبهانى، الأمثال في الحديث النبوي، ص(٢٠).

٦ابن منظو، لسان العرب، (٦ /١٨٦).

٧ ابن منظور، لسان العرب، (١٨٦/٦).

٨ابن تيمية، الرد على المنطقيين، (١٣٢/١)، تقديم وتعليق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م) .

والثاني: الطريقة النموذجية، ويكون بإبراز النموذج للقياس عليه ويعم حكمها على كل من تحقق فيه وصفها.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . إلى أن الأمثال متضمنة لنوعي القياس، قياس التمثيل وقياس الشمول حيث قال: "ضرب الأمثال في المعاني نوعان، هما نوعا القياس:

أحدهما :الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر.[1]

النوع الثاني الأمثال الكلية".[2]

ومما تقدم يتضح أن الأمثال جاءت بنوعين من القياس هما: القياس التمثيلي، والقياس الشمولي، وهناك نوع ثالث من القياس جاءت به بعض أمثال القرآن وهو قياس الأولى.

وستعرض الباحثة فيما يلي لبيان كل نوع من أنواع القياس.

قياس الشمول:

تعريفه لغة:

الشمول هو العموم، يقال: "شَمِلَهم الأمر بالكسر شُمولا عمّهم ".[3]

وتعريفه اصطلاحا:

أما تعريفه اصطلاحاً فقد عرفه ابن تيمية بأنه: انتقال الذهن من المعين إلى المعنى المشترك الكلي المتناول له و لغيره، والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي بأن ينتقل من ذلك الكلي اللازم إلى الملزوم الأول وهو المعين. فهو انتقال من خاص إلى عام، ثم انتقال من ذلك العام إلى الخاص. ومن جزئي إلى كلي.[4] ثم ثم من ذلك الكلي إلى الجزئي الأول، فيحكم عليه بذلك الكلي.[5]

١ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٤/٥٦).
٢ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٤/٥٨).
٣محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(١٤٦).
٤ إن الكلي هو "مثال في الذهن لجزئياته "ابن تيمية، الرد على المنطقيين، (١/١٣٠).
٥تقي الدين ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص(١٣١).

وهو المعروف عند المناطقة بأنه"الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي، فهذا القياس مبني على استواء الأفراد المندرجة تحت هذا الكلي "[١]

والغرض من الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام هو تحقق دخول الفرع ضمن المعنى العام المشترك واشتماله على الوصف الجامع، ثم نرجع إلى الفرع لنعطيه الحكم الكلي.

مثال : كل نبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فكل نبيذ حرام، فالحد الأوسط هو: كل مسكر حرام، يتضمن حكما عاماً كلياً هو كل مسكر حرام، وهذا الحكم مقيد بوصف مشترك بين أفراد متعددة هو المدلول عليه بلفظ مسكر.

والطرف الأول: كل نبيذ مسكر، انتقل بالفرع وهو النبيذ إلى الحكم العام لتحقق الوصف الجامع في الفرع وهو كونه حراماً.

والطرف الثالث: فكل نبيذ حرام، رجع إلى الفرع النبيذ بعد دخوله ضمن أفراد المشترك الكلي وهو كل مسكر حرام، لاتصافه بالوصف المناط به الحكم، وهو كونه مسكراً لنحكم عليه بالحكم المشترك الكلي فنحكم عليه أنه حرام.

قياس التمثيل:

ويعرفه علماء الأصول بأنه "إلحاق فرع بأصل في حكم الجامع كإلحاق النبيذ بالخمر في الحرمة لاشتراكهما في علة الحكم وهي الإسكار"[٢]وعرف قياس التمثيل أيضاً بأنه "إلحاق حكم في أمر بأمر آخر لاشتراكهما في علة الحكم. أو الانتقال بالحكم من الأصل إلى الفرع لعلة جامعة بينهما ".[٣] وكذلك عرفه شيخ الإسلام بأنه :"هو انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين، لاشتراكهم في ذلك المعنى المشترك الكلي لأن ذلك الحكم ،يلزم ذلك المشترك الكلي".[٤]

ويتم فيه مقايسة الفرع بالأصل وذلك لوجود لازمهما وهو المشترك وهي العلة المؤثرة، ثم إلحاق الفرع بحكم الأصل.

١محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص(٢١).
٢.محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص (٢٠).
٣محمود محمد مزروعة، المنطق القديم عرض ونقد، ص(٢٦٦)، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، الطبعة: الثانية، (١٤٢٧هـ).
٤أحمد بن تيمية، الرد على النطقيين، (١٣٢/١).

وهذا النوع من القياس: ورد في الأمثال بمعنى الشبيه والنظير، وذلك لإلحاق الحكم الفرع بالأصل لعلة مشترك بينهم.

والقياس له أركان يقوم عليها.

الأصل: وهو المقيس عليه، ويسمى أيضاً بالمشبه به.

الفرع : ويسمى: مقيسا. أو: المقيس، وهو المشبه.

الحكم: وهو المنقول من الأصل إلى الفرع.

علة الحكم: وهي مناط الحكم و الجامع بين المقيس عليه و المقيس، والشبيه والشبيه به.

ثبوت العلة بعدة طرق منها: تثبت علة الحكم في الأصل أولا، ثم بعد ذلك تلحق بالفرع، وتثبت في الأصل بأمور كثيرة منها.

تثبت العلة بالكتاب والسنة.

وتثبت العلة بإجماع الأمة.

وتثبت العلة بالاجتهاد والذي منه قياس التمثيل.

ومثال ذلك:

قال شيخ الإسلام:" كل مسكر حرام فثبت أن علة التحريم هي السكر إما بالنص وهو قوله:(كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)[1]وإما بدلالة القرآن وهو أنه يوقع العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وإما بالمناسبة وإما بالدوران،[2] وإما بالسبر والتقسيم[1]".[2]

---

[1] متفق عليه أورده البخاري في الصحيح، كتاب: الأذان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا..ح(٥٧٧٣)' (٢٢٦٩/٥) وعند مسلم كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر... ح(١٧٣٣)، (١٥٨٦/٣).

[2] هذه الطريقة قائمة على أساس أن المعلول يدور على علته وجودا، وعدما، أو طردا وعكسا. فالحكم له علة، متى وجدت وجد الحكم، ومتى غابت غاب الحكم، وذلك مثل الإسكار في تحريم الخمر، متى وجد الإسكار وجد الحكم بالتحريم، والحكم بالتحريم لعلة الإسكار أصل في الخمر، وفرع عنها فيما سوى الخمر، ما دامت علة الحكم موجودة في الفرع وهي الإسكار، أو إذهاب العقل .ذكر مثال وجود المعلول: الذي هو الحرمة مع وجود علته وهو الإسكار، ففي الخمر، وما يماثلها من النبيذ والمخدرات المذهبة للعقل، وأما مثال انعدام المعلول الذي هو حكم الحرمة مع انعدم علته وهي الإسكار، ففي الماء العذب من مياه الأنهار والعيون وغيرها. انظر محمود مزروعة، المنطق القديم ص(٢٦٨)، و عبد الرحمن الإيجي، المواقف، (١٩٠/١)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل لبنان بيروت، الأولى(١٤١٧هـ).

ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يتبين أن العلة تثبت إما بالكتاب أو بالسنة أو بالإجماع وإما بالاجتهاد وله طريقان: إما بالدوران وهو الطرد والعكس، وإما بالسبر والتقسيم وهو التردد.

الفرق بين قياس الشمول وقياس التمثيل:

من جهة الأسلوب:

مما تقدم من تعريف القياس الشمولي أو التمثيلي يتضح أن الأول يكون بإبراز المعاني الكلية المشتركة المقيدة بأوصاف معلومة لدى المخاطب تشترك فيها الأفراد وتكون بمقايسة الفرع على المعاني الكلية ثم إلحاقه بها في الحكم.

أما القياس التمثيلي فيقوم على أسلوب التشبيه.

أما الفرق بينهم من جهة إفادة الظن أو اليقين وهل كليهما قياس حقيقي أم أحدهما فقط:

فهم متنازعون في أيهما هو الذي يوصل إلى العلم وكثير من أهل المنطق يزعم أن الموصل إلى العلم اليقين هو قياس الشمول فقط دون قياس التمثيل وكثير من أهل الكلام يرجح قياس التمثيل ويقول إن قياس الشمول قليل الفائدة أو عديمها "وحقيقة الأمر أن القياسين متلازمان فكل قياس شمول هو متضمن لتمثيل وكل قياس تمثيل هو متضمن لشمول".[٣]

"والذي عليه جمهور الناس وهو الصواب أن كليهما قياس حقيقة وأن كليهما يفيد اليقين تارة والظن أخرى بل هما متلازمان فإن قياس التمثيل مضمونه تعلق الحكم بالوصف المشترك الذي هو علة الحكم أو دليل العلة أو هو ملزوم للحكم وهذا المشترك هو الحد الأوسط في قياس الشمول".[٤]

١وهذا الطريق قائم على حصر أوصاف الأصل الذي أرتبط به الحكم وثبت له، ثم تردد الحكم بجانب كل وصف من تلك الأوصاف، ليتضح إن كان ذلك الوصف يصلح علة للحكم أو لا يصلح ،فإن صلح كان هو الحكم، أي علته، وإن لم يصلح انتقل إلى غيره، حتى نصل إلى الوصف الذي هو علة الحكم، وهذه الطريقة أشبه بطريقة فرض الفروض، ثم اختبارها فرضا بعد فرض لبيان العلة التي تحكم ظاهرة من الظواهر المادية، وذلك في طرق الاستقراء الحديثة.

ومثال طريقة السبر والتقسيم، أو الترديد البحث عن علة الحرمة في الخمر، فنقوم بحصر أوصاف الخمر، فنجدها: سائلة، صفراء أو حمراء، مذهبة للعقل: أي مسكرة. فنضع حكم الحرمة بجانب كل وصف من هذه الثلاثة لنرى إن كان هو علة الحرمة، فنقول:علة الحرمة إما السيولة، أو اللون، أو الإسكار. فنجد أن السيولة لا تصلح علة لحرمة؛ لأن الماء سائل وليس حراما، كذلك اللون لا يصلح لأن الكثير من المشروبات بنفس اللون وليست حراما ؛فلم يبق إلا الإسكار، فيكون هو العلة .فيكون هو علة الحكم في الأصل، وهو كذلك علة الحكم في كل فرع يقاس على الأصل بجامع وجود العلة في الأمرين جميعا: الأصل والفرع. أنظر محمود مزروعة، المنطق القديم عرض ونقد ص(٢٦٨). و عبد الرحمن الإيجي، المواقف، (١٩٣/١)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.و محمد عبد الرءوف المناوي، التعاريف، ص(٣٩٦) تحقيق: محمد رضوان الدية، ،دار الفكر المعاصرة ،بيروت، الطبعة الأولى،(١٤١٠ه).

٢أحمد بن تيمية، النبوات ص (١٩٦)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٣أحمد بن تيمية، درء التعارض، (٧ /٣١٨).

٤أحمد بن تيمية، درء التعارض، (١٢٦/٦).

وقد أبطل ابن تيمية زعم من قال أن قياسهم يفيد اليقين وقياس غيرهم يفيد الظن، وإنما يختلف اليقين والظن في قياس التمثيل أو الشمول بحسب المواد، فالمادة المعينة إن كانت يقينية في أحدهما فتكون كذلك في الآخر، وإن كانت ظنية في أحدهم تكون ظنيتا في الآخر.

ومثال أن كل قياس شمول متضمن لتمثيل:

فإذا قال في مسألة النبيذ: كل نبيذ مسكر وكل مسكر حرم، فلا بد له من إثبات المقدمة الكبرى، وحينئذ يتم البرهان. فيمكنه أن يقول: النبيذ مسكر، فيكون حراما قياساً على خمر العنب بجامع ما يشتركان فيه من الإسكار، فإن الإسكار هو مناط التحريم في الأصل وهو موجود في الفرع. فيما به يقرر أن كل مسكر حرام به يقرر أن السكر مناط التحريم بطريق الأولى، بل التقرير في قياس التمثيل أسهل عليه لشهادة الأصل له بالتحريم.[١]

ومما تقدم من كلام شيخ الإسلام يتضح أن كليهما قياس حقيقي أما إفادة القياس للظن أو اليقين فهو لا يتوقف على نوع القياس وإنما على المعطيات التي تجعل القياس باطلاً أو يفيد الظن أو اليقين. وأن القياس التمثيلي أقوى في إفادة المطلب من قياس الشمول.

قياس الأولى:

وقد عرفه العلماء بعبارات مختلفة ومدلولها واحد فقيل:" إن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق، فالخالق أولى به من المخلوق، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عبه،"[٢] وعرفه شيخ الإسلام فقال:"كل ما ثبت لغيره من كمال لا نقص فيه فثبوته له بطريق الأولى، وما تنزه عنه غيره من النقص فتنزهه عنه بطريق الأولى"[٣] ومن تعريفاته أيضاً: هو ما كانت العلة في المقيس أقوى منها في المقيس عليه فيكون الحكم بالمقيس أولى من المقيس عليه.[٤]

ومثال ذلك: حكم قليل المسكر من غير العنب. وقد تحققت فيه أركان القياس التي يقوم عليها وهي.

الأصل: وهو المقيس عليه، وهو المشبه به: قليل شراب العنب وإن لم يسكر.

الفرع: هو يسمى: مقيسا. أو: المقيس، وهو المشبه. قليل المسكر من غير العنب.

١انظر أحمد بن تيمية، الرد على المنطقين، (١٢٨/١).

٢محمود مزروعة، المنطق القديم عرض ونقد، ص (٢١)

٣ابن تيمية ، الرد على المنطقيين، (١٥٨/١).

٤بكر بن عبد الله أبو زيد، الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، ص(٥٧)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ).

علة الحكم: الإسكار.

الحكم: وهو المنقول من الأصل إلى الفرع. التحريم.

ولأن المسكر من غير العنب أولى بالتحريم من قليل الخمر من العنب إذا لم يسكر. لأن الأول تحقق فيه الإسكار أما الثاني لم يتحقق فيه الإسكار، فتكون العلّة إذا في المسكر من غير العنب أقوى.

ومما سبق يتبين إن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ولا بقياس شمولي تستوي أفراده فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها.

ويستعمل في ذلك قياس الأولى سواء كان تمثيلا أو شمولا[1] كما قال تعالى ولله المثل الأعلى مثل أن نعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه وهو ما كان كمالا للموجود غير مستلزم للعدم فالواجب القديم أولى به وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبر فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره فهو أحق به منه وأن كل نقص وعيب في نفسه وهو ما تضمن سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والمحدثات والممكنات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود وأما الأمور العدمية فالممكن بها أحق.[2]

وبما أن التوحيد هو أصل الدين، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وهو أن تعلم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهذا هو أعظم واجب، وهو أول شيء دعت إليه الرسل ونبينا عليه الصلاة والسلام، تفقيه الناس بالشهادتين، وأن يخلعوا الأوثان والأصنام، وأن يعبدوا الله وحده. وهو المقصود من جميع التكاليف، فيجب أن يكون ملازماً لكل عمل من أوله وآخره، فالتوحيد هو الأول، والآخر بالنسبة لعمل المؤمن، وهو الأساس الذي يحكم سيره، ويمضي من أجله حياته، فلا يقبل العمل إلا به.

١ ويختلف القياس الأولى الشمولي أو التمثيلي عن سائر أنواع القياس الشمولي أو التمثيلي في تسوية الحكم فيه للمضروب له المثل لا تكون بدخوله كفرد من أفراده ولا بتساوي أفراده، وإنما باستحقاقه ذلك عن طريق الأولى.انظر عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية (١٠٥٠/٣).

٢ انظر أحمد بن تيمية، توحيد الألوهية، (٢٩٧/٣).

فالنفس لايقوى إيمانها بالله، ولا يقوى ولاؤها لله، ولا براؤها من أعدائه، ولا تهفو للجهاد في سبيل الله، إلَّا إذا كانت دعائم التوحيد فيها راسخة، وصلابة الإيمان في جذورها متعمقة، وقد ذكر الله تعالى ورسوله الكريم طرقاً كثيرة للدعوة إلى التوحيد ومنها الأمثال لتقرير التوحيد.

المطلب الثالث: أهميتها وأغراضها.

إن أمثال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، تختلف اختلافا كبيرا عما يضربه الناس من الأمثال فهي أمثال صدق وحق، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فهي أهم أنموذج للأمثال الأخرى، والميزان الدقيق لكل مثل يمكن أن يضرب. ولذا فإن الغرض من ضرب الأمثال في القرآن، هو هداية النفس البشرية، وهي ليست إلا الغرض من القرآن كله، ومن هنا تظهر أهميتها لأنها جزء منه. وهذه الأغراض هي.

أولاً: للإفهام والإيضاح.

إن للأمثال وقعاً في السمع وتأثيراً في القلب ما لا يكون موجودا في الكلام المرسل وهي من وسائل توضيح الأفكار وإفهام المعاني بكلام موجز إما بالمقارنة بشيء وشبيهه أو بالشيء وعكسه، وهو يقدم أفكاراً غزيرة ودقيقة قد يحتاج بيانها من غير طريق المثل كلاما كثيرا ربما وصل إلى عشرات الصفحات.

وتميزت "الأمثال القياسية التشبيهية أو الأنموذجية بدورها في إقامة الحجة، وتفهيم المراد، وتقديم الموعظة، بأسلوب مقايسة النظير بنظيره، والشيء، بمثاله،لذلك كان أكثر أمثال القرآن الكريم من هذين النوعين".[1]

وقد تكلم العلماء في أهمية الأمثال وفائدتها وأشاروا إلى أن "المثل فن من القول بديع في الجاهلية والإسلام، وضرب من ضروب الفصاحة وجوامع الكلم، به تستمال القلوب، وتشنف الأسماع، وترد الأهواء وهو مظهر بلاغة الخطيب في خطبه، وتمكن الشاعر في شعره".[2]

ثانياً: إثبات إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

تنوعت معجزات الأنبياء تبعا لاختلاف أقوامهم وأزمانهم وما لهؤلاء القوم من نزعات ورغبات، وما يشتهر بينهم من أمور، ومعجزة محمد عليه الصلاة والسلام هي القرآن الكريم فهو مؤلف من حروف

١عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، ص(١٥٣،١٥٢).
٢عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن، ص(٣٤).

وألفاظ وكلمات من جملة ما يتكلمون به ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثله وكانت أمثال القرآن الكريم من ضمن هذا الإعجاز "وهي بذلك كله من تمام حجة الله على خلقه، حيث ضرب الله الأمثال لجميع الأمم السابقة، وفضلها في خاتم كتبه القرآن الكريم، وضربها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، فكمل بذلك البيان، واستنار الطريق، وتمت حجة الله على عباده"[1]

وتجلت عظمة الإسلام في كون معجزتِه الخالدةِ هي القرآن، والقرآن كلام، وكل ما عدا الكلام في تغير وتطور مستمر، والكلام البشرى وحده الذي إن لم يقل في عطائه لم يزد، وكل كلام له حد يبلغه معناه، والقرآن لا حد لمعناه وإن حصر كلامُه بين دفتي المصحف.[2]

وإن أساس إعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه. وبلاغة النظم على قسمين:

قسم كالحلية وقسم كالحلّة:[3]

فالأول: كالزينة المنشورة والنقش المرصع. ومعدنه الذي يتحصل منه هو توخّي المعاني النحوية الحرفية فيما بين الكلم، كإذابة الذهب بين أحجار فضة. وثمرات هذا النوع هي اللطائف التي تعهد بيانها فن المعاني.

والقسم الثاني: هو كلباس عال وحلة فاخرة. وصناع هذا القسم والمتكفل به فن البيان. ومن أهم مسائل هذا القسم التمثيل. ولقد أكثر القرآن الكريم من التمثيلات. لأن في التمثيل سراً لطيفاً وحكمة عالية؛ إذ به يصير الوهم مغلوباً للعقل، والخيال مجبوراً للانقياد للفكر، وبه يتحول الغائب حاضراً، والمعقول محسوساً، والمعنى مجسماً، وبه يجعل المتفرق مجموعاً، والمختلط ممتزجا، والمختلف متحداً، والمنقطع متصلا، والأعزل مسلّحا.

هذا هو إعجاز القرآن الكريم، وإن نسق البلاغة النبوية إنما هو في أكثر الحد الإنساني من ذلك الإعجاز، يعلو كلامَ الناس من جهة وينزل عن القرآن من جهته الأخرى، فلا مطمع لأبلغ الناس فيما وراءه، ولا مَعْجَزة عليه فيما دونه، وهذا ضرب من الكلام له تأثير في البشر فتذعن له النفوس وتتصرف

١عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، ص(١٥٣).

٢ انظر حسن عبد الفتاح أحمد، كتاب غاية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. وعائشة بنت الشاطئ، وكتاب الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٣انظر بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص(١١٣)، تحقيق: حسن قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة (٢٠٠٢م).

معه بانقياد، وهو على حقيقته مما لا تعين عليه الدُّربة والمزاولة إلا شيئاً يسيراً لا يستوفي هذه الحقيقة، فيمن ليس من أهله كما هو في أهله،[1] وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام" بعثت بجوامعَ الكلم".[2]

ثالثاً: من مظاهر التيسير في الفهم.

ويكون ذلك بإيجاز اللفظ وإعجاز المعنى ومن ذلك جوامع الكلم مما يتناسب مع تفاوت الأفهام البشرية وتنوع إدراكهم. قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[3]

والغاية من ذلك البيان "هو الترغيب في الحق والحث على اعتناقه، والترهيب من الباطل والتنفير منه، والأمثال من رحمة الله عز وجل بعباده حيث يسر بها وبغيرها من ضروب القول كلامه للتذكر والتدبر، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] "[5]

وكذلك كان يفعل نبي الرحمة عليه الصلاة والسلم فكان يحث المؤمنين على فعل كل ما يقربهم إلى الله تعالى بضرب الأمثال، ليقرب المعاني من عقولهم ييسر لهم فهمها فقال علية الصلاة والسلام: (أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ما تَقُولُ ذلك يُبْقِي من دَرَنِهِ قالوا لَا يُبْقِي من دَرَنِهِ شيئا قال فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بها الْخَطَايَا).[6]

رابعاً: حث المخاطب على التفكير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[7]

١انظر مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص(٢٣٠/٢٣١)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثامنة (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

٢متفق عليه رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: التعبير، باب: المفاتيح في اليد، ح(٦٦١١)، (٢٥٧٣/٦)، ورواه مسلم بنحوه، في الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، ح(٥٢٣)، (٣٧٢/١).

٣سورة الإسراء آية، (٨٩).

٤سورة القمر آية، (٢٢).

٥عبد الله جربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان، ص(١٥٤).

٦ رواه البخاري في الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس، ح (٥٠٥) (١ /١٩٧).

٧ سورة الحشر آية، (٢١).

فهذا النوع يخاطب به أهل التأمل و والتفكر، ويحرك طاقاتهم الفكرية ويلفت أنظارهم بقوة ويدفعهم إلى توجيه إدراكهم إلى التأمل وإمعان النظر والتفكر.

وعلى هذا "فالأمثال تسهل للناس التفكر، والتعقل، والتذكر بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظير بنظيره والمساواة بين المتشابهات في الأحكام، وتوضح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول، وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحكم مما ورد في الكتاب الكريم من الأمثال بمختلف أنواعها".[١]

خامساً: من حجة الله على عباده.

إن الله جعل الأمثال جزءاً من حجته التي بلغها رسله عليهم السلام إلى خلقه. وقد قال عز وجل بعد أن ذكر إهلاكه لفرعون وقومه، وإغراقه لقوم نوح، وإهلاكه عاد وثمود، وقرونا بين ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾[٢]

فنجد أن الله تعالى قد ضرب الأمثال للأمم السابقة كما ضربها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت فيها البشارة والإنذار، والتخويف والترغيب، والوعظ والزجر، فكانت حجة الله على عباده، وحتى يعرفوا عاقبة الكفر والاستكبار ومخالفة الأنبياء والرسل، فيبتعدوا عنها، ويعرفوا جزاء الموحدين، فيسيروا حزوهم، وتكون قد بلغتهم الدعوة.

وأنه لا يعذر الله أمة كتاب الله بين أيديهم يمكنهم أن يقرءوه ويفهموا ما فيه فهو حجة الله على عباده كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[٣] والأمثال جزء من هذا الكتاب، فلا يعزر أحد بالجهل، وذلك لأنه من لا يستطيع أن يتعلّم يسأل أهل العلم، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[٤] ويجب على المسلم أن يتعلّم العلم والفقه في دين الله، ثم يعمل به ويدعو إليه، ويصبر على ذلك.[٥]

---

١ عبد الله جربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان، ص(١٤٤).
٢ سورة الفرقان آية، (٣٩).
٣ سورة إبراهيم آية، (٢٥).
٤ سورة الأنبياء آية، (٧).
٥انظر محماس بن عبد الله الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، (٣٣٨/١)، دار اليقين، الطبعة: الأولى: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). وعبد الله بن جار الله، من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية والاحكام المدنية، ص(٧)، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

الفصل الأول: التوحيد والشرك.

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف التوحيد وبيان حقيقته.

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً.

تعريف التوحيد في اللغة: والتوحيد كما عرفه ابن منظور: الإيمان به وحده لا شريك له. الواحِدُ الأَحَدُ: ذو الوحدانية و التوحُّد.[1] أما أبو بكر الرازي فيقول: الوَحْدَةُ الانفراد.[2]

فالكلمة تدور حول الإنفراد والتفرد والتوحد فالله سبحانه منفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ويجب إفراده في العبادة.

وأما تعريف التوحيد اصطلاحاً.

قد عرفه العلماء بعبارات مختلفة ومدلولها واحد وهو: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل المخلوقات، وهو الذي يستحق العبادة وحده دون سواه، وانه المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقص.

فعرفه شيخ الإسلام فقال: "التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله: لا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالى إلا له ولا يعادي إلا لأجله وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات".[3]

وقيل هو "أن الخالق الرازق المنعم المتفضل المحيي المميت المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص هو المستحق أن يعبد دون سواه".[4]

فالإيمان يتضمن توحيد الله في ثلاثة أمور توحيده في ربوبيته، وتوحيده في إلوهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته. وقد قسمه بعضهم إلى قسمين توحيد في الإثبات والمعرفة وهو التوحيد العلمي الخبري، وتوحيد في الطلب والقصد وهو التوحيد الإرادي الطلبي.

---

١ انظر ابن منظور، لسان العرب، (٣ /٤٥٠).

٢محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص(٢٣٦)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (١٤١٥ هـ)، الطبعة الجديدة، تحقيق: محمود خاطر.

٣ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص(١٣)، طباعة ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، (١٤١٣هـ).

٤عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، ص(٢٢٩)، دار النفائس، الكويت، الطبعة السابعة ، (١٤١١هـ/١٩٩١م).

ومن هنا كانت شهادة أن (لا اله إلا الله) والتي هي كلمة التوحيد، متضمنة لجميع أنواع التوحيد والمراد به التوحيد الإرادي الطلبي المبني على توحيد المعرفة والإثبات.

فطرية التوحيد.

بما أن حكم المعرفة الفطرية: أنها توجب العلم الضروري بمدلولها والتوحيد من الأمور الفطرية.[1] فمن المناسب ذكر تعريف الفطرة. فالمراد بها لغة: كما قال ابن منظور: "فَطَرَ الشيء أَنشأَه، و فَطَرَ الشيء بدأَه"[2]. وقال الرازي: الفِطْرةُ بالكسر الخلقة و الفَطْرُ أيضا الابتداء والاختراع.[3]

وأما تعريف الفطرة اصطلاحاً:

فقال بعض العلماء "إن الفطرة هي الحنيفية"[4] وقال ابن القيم: "الفطرة محبة الخالق مع الإقرار به وهذا أصل الحنيفية"[5] وعرفها بعضهم بقوله: "معرفه فطرية وهى علمه بان للعالم صانعا ولنفسه خالقا".[6]

وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[7] وقال صلى الله عليه وسلم((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هل تَرَى فيها جَدْعَاءَ).[8]

ويدل ظاهر الآية والحديث على أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله عليه الصلاة والسلام فأبواه إما يهودانه وإما ينصرانه. وبسبب إنكار بعض الطوائف المعرفة الفطرية وقعوا في الخطأ في أول واجب على المكلف.[9]

١انظر ابن القيم، الصواعق المرسلة، (٢٩٤/١)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،(١٤٠٨هـ).
٢ابن منظور، لسان العرب، (٥٨/٥).
٣انظر أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(٢١٢).
٤محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل،(٥٣/٢)، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٤هـ).
٥ابن القيم، شفاء العليل، ص(٣٠٢)، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م).
٦محمد بن عبد الكريم الشهرستاني،الملل والنحل، (١٤٦/١).
٧سورة الروم آية، (٣٠).
٨متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب:الجنائز، باب:ما قيل في أولاد المشركين، ح(١٣١٩)، (٤٦٥/١)، ورواه مسلم، في الصحيح، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة. ح(٢٦٥٨)، (٢٠٤٧/٤).
٩ قد اختلف أهل الكلام في أول واجب على المكلف، هل هو المعرفة،أي معرفة الله تعالى أو النظر المفضي إلى العلم بحدوث العالم، أو القصد إلى النظر أو الشك؟ فقال بعضهم: إن أول واجب هو المعرفة، وقال بعضهم المعرفة لا تحصل إلا بالنظر فيكون النظر أول واجب. فقد أعطوا المعرفة هذه المكانة، رغم أنها بهذا اللفظ لم ترد في

المطلب الثاني: بيان توحيد الربوبية.
تعريفه لغة:

الرب يطلق في اللغة على: المالِك والسيد المدبر والمربي والقَيِّم والمنعِم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا".[1]ومن تعريفاته أيضاً"رَب كل شيء مالكه".[2] و "ربه يَرُبُّهُ رَبّاً: مَلَكَه".[3]

ومعناه الإجمالي: الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه.٤

ومن تعريفات توحيد الربوبية والملك: هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام بل لا بد أن يأتي معه بتوحيد الآلهية لان الله تعالى قال عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده ومع ذلك لم ينفعهم إقرارهم[5] قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[6]

ومما سبق يتبين أن الرب في اللغة هو المالك المدبر وربوبية الله على خلقة تعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو رب كل شيء ولا رب سواه.

وقد ورد ذكر هذا النوع من التوحيد في القرآن حتى لا تكاد سورة من القرآن تخلو منه أو الإشارة إليه، لأن خالق الخلق، ومالكهم، ومعطيهم ومانعهم، ومحييهم، ومميتهم، والمنعم عليهم بجميع نعمه، هو الجدير وحده أن يتصف بصفات الإجلال، وهو الجدير وحده بالعبادة وإخلاصها له وحده.

الكتاب أو السنة.انظر محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية،(٤٤٣، ٤٤٤)، دار أطلس الخضراء،(١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م).

١ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثار، (٢ /١٧٩).

٢محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص (٩٦).

٣ابن منظور، لسان العرب، (١ /٤٠٠).

٤ انظر حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤٥٩/٢)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ /١٩٩٠م).

٥ انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(١٧)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٦سورة يونس آية، (٣١).

وهذا التوحيد القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكي الله عنهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٠﴾ ﴾[1] وأشهر من عرف بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنا به في الباطن، كما قال له موسى،[2]قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٠٢﴾ ﴾.[3]

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

ومعنى الاسم في اللغة: سَمَّيت فلاناً زيداً سَمَّيْته بزيدٍ بمعنى أَسْمَيته مثلُه فتسَمَّى به؛ كقولك عرَّفْته بهذه العلامة وأَوضحته بها.[4]

أما أبو بكر الرازي فيقول "الاسْمُ مشتق من سموت لأنه تنويه ورفعه".[5]

ومعنى الصفة في اللغة: وصف: أي وصف الشيءَ له وعليه وصْفاً و صِفةً: حَلاَّه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصْف المصدر و الصِّفةُ الحِلْية. واستوْصَفَه الشيءَ: سأَله أَن يَصِفه له. و اتَّصَف الشيءُ: أَمكن وصْفُه.[6]

وقال الرازي" وَصَف الشيء من باب وعد و صِفَةً أيضا و تَوَاصَفُوا الشيء من الوصف و اتَّصَفَ الشيء صار مُتَوَاصِفا اسْتَوْصَفَ الطبيب لدائنه سأله أن يصف له ما يتعالج به و الصِّفَة كالعلم".[7]

والمعنى الإجمالي لتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما ثبته من غير

١ سورة إبراهيم آية، (١٠).
٢ أنظر ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص(٧٩). تحقيق جماعة من العلماء، المكتبة الإسلامية، بيرون ،الطبعة الثامنة (١٤٠٤هـ/١٩٨٤).
٣ سورة الإسراء آية، (١٠٢).
٤ انظر ابن منظور، لسان العرب، (٤٠٢/١٤).
٥ محمد بن أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(١٣٣).
٦أنظر ابن منظور، لسان العرب، (٣٥٦/٩) .
٧ محمد بن أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح، ص(٣٠٢)

تحريف[1] ولا تعطيل[2]ولا تكييف ولا تمثيل.[3] فلا بد من الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على على وجه الحقيقة لا المجاز.[4]

ومن تعريفاته أيضا، الإقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة وأنه سميع بصير رءوف رحيم على العرش استوي وعلا وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى. وهذا النوع من أنواع التوحيد لم يقر به جميع الخلق فمنهم من جحدها جميعها مثل الملاحده[5] ومنهم من يعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوق، أو يؤولونها تأويلات فاسدة. وإن أمنوا بها ولم يوحدوا الله في إلوهيته لم ينفعهم ذلك.

وهذا أيضا لا يكفي في حصول الإسلام "بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والإلهية والكفار يقرون بجنس هذا النوع وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلا وإما عنادا كما قالوا لا نعرف الرحمن فأنزل الله فيهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

١التحريف: أن يكون الأختلاف في الهيئة، وتحريف الكلام إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح ،فلا فيه من قرينة تبين أنه المراد.انظر محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص(١٧)، دار الثقافة للطباعة ،مكة المكرمة،الطبعة الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩١م). وعلي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص(٥٣)، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى(١٤٠٥هـ). ومحمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (١٩/١)، دار الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: (١٤٢٤هـ).

٢التعطيل: فهو مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ سورة الحج: آية (٤٥).أي أهملها أهلها وتركوا وردها، والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى، فالفرق بين التحريف والتعطيل أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف فهو تفسير النص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها.انظر محمد بن إبراهيم الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ص(٩)، دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى، و محمد خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، ص(١٦ إلى ٢٠)، أضواء البيان السلف، الرياض، الطبعة: الأولى: (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٣من غير تكييف ولا تمثيل: فالفرق بينهما أن التكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف. وأما التمثيل: فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين، وليس المراد من قوله من غير تكييف أنهم ينفون الكيف مطلقا، فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما ،ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف أذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه. انظر محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية،ص(١٨/١٧).و شمس الدين محمد الذهبي، العرش، (١١٦/١)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلمية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٤ انظر حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤٥٩/٢).

٥الإلحاد: هو إنكار وجود الله، أو الميل بنصوص الكتاب والسنة عن الحق الثابت لها، كالإلحاد في الآيات الشرعية مثل تسميته تعالى بما لا يليق. انظر جماعة من العلماء من الندوة العامة للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، ص(٩٧١/٢).إشراف: مانع بن حماد الجهني، الطبعة الخامسة، (١٤٢٤هـ).

مَتَابِ ﴾[1]".[2]

ومن المهم أن نشير إلى أن السبيل إلى معرفة الله تعالى هو الكتاب والسنة، لأن التعرف إلى الله من خلال كلامه وكلام نبيه لا يبقي مجالا للشك أو الالتباس. وهذا ما اتفق عليه علماء الأمة.

ومن ذلك يتبين أن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، يجب أن تتضمن تنزيه الله تعالى عن كل نقص أو تشبيه صفاته بصفات المخلوقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3]

وكذلك قطع الأطماع عن معرفة وإدراك، حقيقته وكيفيته، فهو من المستحيل، لأن العقول البشرية عاجزة عن إدراك حقيقة الرب وكيفية صفاته . جل شانه . قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[4]

وبين ما في الدنيا تشابه في اللفظ و المعنى فنحن لا ننفي أن هنالك قدراً مشتركاً بينهما و مع هذا فحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة هذا و تلك الحقيقة من نعيم الآخرة لا نعلمها نحن في الدنيا وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[5]

وفي الحديث الصحيح قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ).[6]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –" فهذا الذي و عد الله به عباده المؤمنين لا تعلمه نفس هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله و كذلك وقت الساعة لا يعلمه إلا الله و أشراطها وكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب و الصراط و الميزان و الحوض و الثواب و العقاب لا يعلم كيفيته إلا الله فإنه لم يخلق بعد حتى تعلمه الملائكة و لا له نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به فهو من تأويل المتشابه الذي

١ سورة الرعد آية، (٣٠).

٢ عبد العزيز بن باز و محمد بن صالح العثيمين، فتاوى مهمة، ص(١٠)، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ) .

٣ سورة الشورى آية، (١١).

٤ سورة طه آية، (١١٠).

٥ سورة السجدة آية، (١٧).

٦ متفق عليه رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: بدء الوحي، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ح(٣٠٧٣)، (١١٨٥/٣).وعند مسلم في الصحيح، كتاب: صفة الجنة والنار، باب: الاقتصاد في الموعظة، ح(٢٨٢٤)، (٢١٧٤/٤).

لا يعلمه إلا الله وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل إستوائه على عرشه و سمعه و بصره و كلامه و غير ذلك فإن كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله كما قال: مالك بن أنس[1] و سائر أهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل الرحمن على العرش استوى كيف إستوى فقال الإستواء معلوم والكيف مجهول و الإيمان به و اجب و السؤال عنه بدعة هذا لفظ مالك فأخبر أن الإستواء معلوم و هذا تفسير اللفظ و أخبر أن الكيف مجهول و هذا هو الكيفية التي أستأثر الله بعلمها".[2]

وقد استخلص العلماء بعض القواعد في الأسماء والصفات ومن أهمها ما يلي.

القاعدة الأولى: أسماء الله حسنى[3]وصفاته عليا كاملة[4]قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[5] وذلك لأنها متضمنة لصفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.[6]

القاعدة الثانية: أسماء الله وصفاته توقيفية،[7] المرجع فيها الكتاب والسنة فقط، فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان، بل الواجب الوقوف عند ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، إذ لا يصف الله من هو اعلم بالله من الله، ولا يصفه أحداً من خلقه أعلم من رسوله عليه الصلاة والسلام، وأنها ليست مقصورة بعدد معين بل لم تعرف منها إلا بعضها. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[8]

---

١ مالك بن أنس الأصبحي أبو عبد الله ولد سنة (٩٣هـ أو ٩٤هـ) مات سنة (١٧٩هـ) إمام دار الهجرة. انظر الذهبي، الكاشف (٢٣٤/٢). وأبي محمد الرازي، الجرح والتعديل (٢٠٤/٨)، وأبي عبد الله محمد البخاري، التاريخ الكبير (٧م٣١٠) والذهبي، تذكرة الحفاظ (٢٠٧/١) ومحمد بن حبان، مشاهير الأمصار ص(١٤٠).

٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٣٧٣/١٧).

٣انظر سعيد بن علي القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، ص(٣٠)، راجعه: عبد الله الجبرين، فهرسة الملك فهد الوطنية، الطبعة الرابعة، (١٤١٥هـ). ومحمد بن خليفة بن علي التميمي، مقدمة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ص(٣٠)، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى: (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٤ انظر محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص(١٢٠)، تحقيق: أسامة عبد العزيز، العزيز، دار التيسير الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٥سورة طه آية، (٨).

٦ انظر محمد بن عثيمين، القواعد المثلى، ص(٢١).

٧انظر سعيد بن علي القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى ص(١٥). وأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه، ص(٨٤)، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى: (١٤٠٨هـ).

٨سورة الإسراء آية، (٣٦).

القاعدة الثالثة: لا يجوز إثبات اسم أو صفة لله تعالى مع التمثيل[1] ولأن ذلك إشراك بالله تعالى، وهو أيضاً يستلزم تحريف النصوص أو تكذيب قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2] وفيه أيضاً تنقص الله تعالى بتمثيله بالمخلوق الذي لا يتصف بالكمال بل يوصف بالنقص.

القاعدة الرابعة: معاني أسماء الله وصفاته معلومة وكيفيتها مجهولة[3] لا يعلمها إلا الله. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾.[4]

القاعدة الخامسة: لا يلزم من اتحاد الاسمين اتحاد مسماهما[5] وقد سمى نفسه بالملك فقال تعالى: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[6] وسمى بعض عباده بالملك فقال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾[7] وليس الملك كالملك. فإن الله سمى نفسه بأسماء تسمى بها بعض خلقه وكذلك وصف نفسه بصفات وصف بها بعض خلقه كالسمع والبصر، فليس السميع كالسميع. وليس البصير كالبصير وغيرها.

المطلب الرابع: توحيد الإلوهية.

ومعنى الإله في اللغة: "التأْليهُ التعبيد و التَّأَلُّه التنسك والتعبد وتقول أَلِهَ أي تحير وبابه طرب وأصله وله يوله ولها".[8]

١ انظر محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى، ص(٩٦و١٣١). وتقريب التدمرية، ص(١١٦). دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ).
٢سورة الشورى آية، (١١).
٣ انظر محمد بن عثيمين، القواعد المثلى، ص(١٣١). وعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أصول الإيمان، ص(٥٩)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م). وأبي محمد عبد الله الجويني، رسالة في إثبات الاستواء ، ص(٧٣)، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، دارطويق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٤سورة طه آية، (١١٠).
٥ انظر سعيد بن علي القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، ص(٥١). و أبي محمد عبد العزيز السلمان، مختصر مختصر الأسئلة والأجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية، ص(٢٩،٣٠)، الطبعة: الثالثة عشر (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٦سورة الحشر آية، (٢٣).
٧سورة يوسف آية، (٥٠).
٨محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ، ص(٩).

وقال أيضا أبو بكر الرازي " أَلَهَ يأله بالفتح فيهما إلاهَةً أي عبد ومنه قرأ بن عباس رضي الله عنهما (يذرك و إلاهَتَكَ) بكسر الهمزة أي وعبادتك وكان يقول إن فرعون كان يُعبد ومنه قولنا الله وأصله إلاهٌ على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود كقولنا إمام بمعنى مؤتم به".[1]

والإله: هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة. وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع. فإذا فسر المفسر. الإله: بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد. فهو لم يعرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.[2]

ومعناه الإجمالي: قال شيخ الإسلام "التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده. بأن: يشهد أن لا إله إلا الله فلا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه"[3]وقيل "إن توحيد الإلهية هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى."[4] وقال أبن تيمية في موضع آخر " التوحيد في الإلهية وهو عبادة الله وحده لا شريك له".[5]

ومما تقدم يتبين إن الإلوهية هي: أنه ليس هنالك معبود يستحق العبادة. الا الله وحده دون سواه. وحقيقته هي شهادة أنه لا إله إلا الله فإن الإله: الذي تألهه القلوب حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما. تكون بمعنى مألوه: أي محبوب معبود واصله من التأله وهو التعبد الذي هو آخر مراتب الحب فالمحبة حقيقة العبودية لله وحده. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ﴿١٨﴾ ﴾[6] ومعنى كلمة شهد ليس قال أو نطق بل معناها يستلزم أن يكون عالماً ومتيقناً منها.

فالآية دلت على" أنه وحده المستحق للعبادة، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة، تضمن هذا الإخبار أمر العباد وإلزامهم بأداء ما يستحق الرب تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم".[7]

وإن المشركين يعرفون الله ويحبونه وإنما الذي أوجب كفرهم مساواتهم به الأنداد في المحبة. وكان الواجب عليهم إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والدعاء لله وحده. ومن ذلك

---

١ نفس المرجع السابق، ص(٩).
٢ انظر عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص(١٢).
٣سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(١٧).
٤ حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤٥٩/٢).
٥ ابن تيمية ،درء التعارض، (٣٩١/٧).
٦سورة آل عمران آية، (١٨).
٧ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص(٩٢).

إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له لا يجعل فيها شيئا لغيره. وقد ورد كثيرا في القرآن وتضمنته هذه الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣ ﴾[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝١٢٩ ﴾[3]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾[4]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨ ﴾[5]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝٥٨ ﴾[6]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾[7]

ومن الآيات السابقة يتبين أن توحيد الإلوهية هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب و به افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار.[8]

---

١ سورة الفاتحة آية، (٥).
٢ سورة هود آية، (١٢٣).
٣ سورة التوبة آية، (١٢٩).
٤ سورة مريم آية، (٦٥).
٥سورة هود آية، (٨٨).
٦ سورة الفرقان آية، (٥٨).
٧ سورة الحجر آية، (٩٩).
٨ انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(٢٠).

وهذا النوع من التوحيد هو حق الله تعالى على عباده. وقال: ابن القيم ـ رحمه الله ـ "وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام[1] في كتبهم فلا يكفي وحده بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواضع ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما في الحديث الصحيح عن النبي قال: (أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار)[2] ولذلك يحب سبحانه عباده المؤمنين الموحدين ويفرح بتوبتهم كما أن في ذلك أعظم لذة فليس في الكائنات شيء غير الله عز وجل يسكن القلب إليه ويطمئن به ويأنس به ويتنعم بالتوجه إليه ".[3]

وتوحيد الإلوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس. ومثاله، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا، ومن هو كذلك لا يصلح أن يكون إلهاً. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4]

شبهه حول تقسيم التوحيد والرد عليها

خلاصة هذه الشبهة أنه لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه أنهم قالوا بتوحيد الربوبية أو الإلوهية أو الأسماء والصفات بهذه المصطلحات. والجواب عن ذلك أن تقسيمات التوحيد وتسمياته اجتهادية، ولكن أصلها توقيفي.

وأما الأدلة من الكتاب والسنة على هذا التقسيم فهي كثيرة لا تحصر يعرفها من لديه أدنى إلمام بنصوص الكتاب والسنة، بل إن من يحفظ فاتحة الكتاب وسورة الناس يجد فيهما ما يشفي ويكفي من وضوح دلالة ووضوح البرهان على هذا التقسيم، وجاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة، فيها بيان أنَّ الكفَّار الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقرون بتوحيد الربوبية، ومنكرون لتوحيد الألوهية، ويقرر الله في هذه الآيات توحيد الربوبيَّة الذي أقر به الكفار؛ لإلزامهم بتوحيد الألوهية الذي جحدوه.[5]

١يقصد بهم أهل الكلام الذين اعتمدوا على العقليات في تقرير العقيدة؛ كالكلابية والأشاعرة والماتريدية والجهمية والمعتزلة . انظر محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقيدة، ص(٩١).

٢رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من جاهد نفسه في طاعة الله،ح(٦١٣٥)، (٢٣٨٤/٥).

٣ابن القيم، إعاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (٣٠/١)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٤سورة النحل آية، (١٧).

٥ انظر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، ص(٣٠،٣١)، دار دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الثالثة، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، وعبد المحسن بن حمد العباد البدر، الانتصار لأهل

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١]

والمسميات والتقسيمات اجتهادية، والعلماء رحمهم الله تعالى عندهم قاعدة يقولون: (لا مشاحة في الاصطلاح) والمشاحة النزاع. ويمكن ضبطها بأمرين هما:[٢]

الأول: تنزيل المواضعات أي المسميات على مقاييس اللغة العربية وقواعدها لتحقيق سلامة المفردات، وصحة الدلالة، وباستقامة تأليف المركبات منها على وجه مقبول في لسان العرب.

الثاني: تنزيلها على مقاييس الشريعة وقواعدها حتى تثبت على اليقين منها.

أي قسّم التوحيد كيف شئت، ولكن لا تخرج على ما دل عليه الكتاب والسنة، ومن هنا أصبحنا نعلم أن تسمياته وتقسيماته اجتهادية وأصله توقيفي.

و إن آيات كتاب الله – عز وجل – في التوحيد تدور على ثلاثة معان هي: إفراده – سبحانه – بالعبادة، وإفراده بالربوبية والخلق والتصرف، وإثبات صفات الكمال له، وعلى هذا بنى أهل السنة تقسيمهم للتوحيد.

وكذلك وجدنا من السلف من صرح بالتقسيم ومنهم من استنبط من كلامه قوله بالتقسيم.[٣]

خلاصة مبحث: تعريف التوحيد وبيان حقيقته.

وخلاصة ما نخرج به من هذا المبحث أن التوحيد لغة: هو الإنفراد، وأن الله تعالى المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

السنة والحديث رد أباطيل حسن المالكي، ص(١٧٧)، در الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١سورة المؤمنين آية، (٨٤ إلى ٨٩).

٢انظر بكر بن عبد الله أبي زيد القضاعي، فقه النوازل، ص(١٤٧)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٣ وقد أفرد العلماء لهذه المسالة الكتب ودراسات والأبواب، انظر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، ص(١٦ إلى ٤١). و عبد العزيز بن محمد بن علي ال عبد الطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(٣٢٨)، دار الوطن، الرياض، الطبعة: (١٤١٢هـ)

وأن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" دلالة على جميع أنواع التوحيد، حبث شهادة أن لا إله إلا الله فيها الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر.[١]

وهي تشمل جميع أنواع التوحيد كلها، إما بالتضمن، وإما بالالتزام، وذلك أن قول:"أشهد أن لا إله إلا الله " يتبادر إلى الذهن أن المراد بها توحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية وهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن كل من عبد الله وحده، فإنه لن يعبده حتى يكون مقرا له بالربوبية، وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن الإنسان لا يعبد إلا من علم أنه مستحق للعبادة، ولمن له الأسماء والصفات الحسنة.[٢]

وأن تعريف لفظ الرب في اللغة بالمالك وإنها لا تطلق على غير الله تعالى إلا مضافة وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه. أو هو: توحيد الله بأفعاله. ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر. وإن إقرار به وحده لا يحقق التوحيد لأن المشركين لم ينفعهم ذلك الإقرار.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في توحيد الإلهية: وهو قلب الإيمان وأوله وآخره.[٣]

فهو أوله لأنه لا يدخل إنسان الإسلام إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وآخره: أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، فهذا يدل على عظم هذا النوع من التوحيد، وعلى أهميته، وعلى شدة الحاجة إليه، ومن استقام له هذا النوع فإن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات تابع له؛ لأنه يتضمن ويستلزم هذين النوعين.

فإن التوحيد يتضمن ثلاث أنواع: أحدها: هو توحيد الربوبية وهو الإقرار بان الله خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم خالق سواه.والثاني: هو إثبات أسمائه وصفاته ليس كمثله شيء في ذلك كله،كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم. والثالث: هو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبده وحده لا شريك له، ولا يفسر معنى الإله بالقدرة على الاختراع وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل

---

١ انظر محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، ص(٤٤٠)، دار أطلس الخضراء، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٢ انظر محمد بن صالح العثيمين، فتاوى أركان الإسلام، ص(٥٠)، جمع: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الأولى: (١٤٢٤هـ).
٣ انظر ابن تيمية، توحيد الإلوهية، (٧٠/١)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

المشركين وهم يشهدون أن الله هو خالق كل شيء، كما قال بذلك علماء المسلمين. وإن تقسيم التوحيد ليس أمرا مستحدثا، بل دل عليه القرآن الكريم، والعلماء استنبطوا ذلك وبينوه للناس.[١]

المبحث الثاني: أهمية التوحيد وأنه سبب دخول الجنة والنجاة من النار.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التوحيد.

أعظم ما شرعه الله تعالى هو التوحيد، ولا يخفى على أحد من المسلمين أهميته، ولكن ربما غفل الإنسان عن بعض الأمور بسبب طول الأمد والغفلة وغيرها من مشاغل الدنيا.

والتوحيد هو أهم مهمات الرسل إلى أممهم ومن أجله خلق الله الجن والأنس وقسمهم إلى شقي وسعيد وخلقت الجنة والنار، والثواب والعقاب."وأن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه".[٢]

وغالب السور في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد" بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك ما يعبد من دونه. فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي بطاعته، فذلك من التوحيد وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من عقاب وما يحل بهم في الآخرة من العذاب، فهو جزاء من خرج عن التوحيد فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفى شأن الشرك وأهله وعقابهم."[٣]

ومما تقدم تظهر أهمية التوحيد، وأن من جاء به كان سببا في دخوله الجنة والنجاة من النار. ويكون ذلك بسلوك طريق الهدى، و إن الهدى يوصل صاحبه إلى الله وإلى ثوابه وجنته **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٤]

---

١ انظر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، ص(١٦ إلى ٤١)، وعبد العزيز بن محمد بن علي ال عبد الطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص(٣٢٨).

٢سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(٤٤).

٣ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص(٨٩).

٤سورة البقرة آية، (١٢٠).

وقال ابن كثير عن ابن جرير الطبري[1] يعني بقوله جل ثناؤه " قل إن هدى الله هو الهدى: أي قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل"[2] وقال أبن منظور في معنى الآية " أي الصراط الذي دعا إليه هو طريق الحق".[3]

وهو معنى يدل: على أن سالك طريق الهدى يوصله طريقه إلى الله. والهدى هو: الصراط المستقيم فمن سلكه أوصله إلى الله. فالطريق الهدى. والغاية الوصول إلى الله.

وقد قال ابن القيم "فهذه أشرف الوسائل وغايتها أعلى الغايات ولما كان مطلوب السالك إلى الله تحصيل مصالح دنياه وآخرته لم يتم له هذا المطلوب إلا بتوحيد طلبه، والمطلوب منه، فأعلمه سبحانه أن سواه لا يملك من الدنيا والآخرة شيئا وأن الدنيا والآخرة جميعا له وحده فإذا تيقن العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده".[4]

وإن جميع الأنبياء، دعوا إلى الهدى، والصراط المستقيم وتوحيد الله تعالى، وإن تغايرت شرائعهم. فقال هود عليه السلام لقومه **في قوله تعالى:** ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[5] وقال صالح عليه السلام لقومه **في قوله تعالى:** ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴿٧٣﴾ ﴾[6] وقال شعيب عليه السلام لقومه **في قوله تعالى:** ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴿٨٥﴾ ﴾[7] **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟

---

[1] محمد بن جرير الطبري الإمام المفسر أبو جعفر شيخ الإسلام وصاحب التصانيف الباهرة توفي سنة عشر وثلاث مائة ثقة صادق فيه تشيع وموالاة لا تضر أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال كان يضع للروافض كذا قال السليماني قال الذهبي وهذا رجم بالظن الكاذب بل بن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين وما ندعي عصمته من الخطأ ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى فإن كلام العلماء بعضهم في بعض لا ينبغي أن يتأتى فيه ولا سيما في مثل إمام كبير.انظر إبراهيم بن محمد أبي الوفاء الحلبي الطرابلسي، الكشف الحثيث، ص (٢٢١)، تحقيق:صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، الأولى: (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

[2] ابن كثير، في تفسيره، (١٦٤/١).

[3] ابن منظور، لسان العرب، (٣٥٤/١٥).

[4] ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص:(٤٤)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

[5] سورة الأعراف آية، (٦٥).

[6] سورة الأعرف آية، (٧٣).

[7] سورة الأعرف آية، (٨٥).

﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1] قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[2] فهذه الآيات تتضمن الإثبات والنفي وغالباً ما نجد القرآن الكريم يأتي بالأمر بالتوحيد مع النهي عن الشرك وليس ذلك إلا لأنهما لا ينفصلان.

وبالتوحيد يكون الأمن التام والاهتداء التام فهما لا يكونان إلا لمن سلم قلبه من الشرك والذنوب والمعاصي وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3] وقال ابن كثير:" أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة".[4]

وبه تكون عصمة للدماء و الأموال إلا بحق فهو الذي أدخلهم إلى الإسلام وفرق بينهم وبين الكفار. قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).٥

ولما بعث رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُعَاذًا[6] رضي الله عنه على الْيَمَنِ قال: (إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ).٧

ومما سبق يتبين أن الصحيح في مسألة أول واجب يجب على المكلف: هو شهادة أن لا اله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك. كما هي أقوال أصحاب الكلام المذموم، واتفق أئمة السلف

---

١ سورة النحل آية، (٣٦).
٢ سورة الأنبياء آية، (٢٥).
٣سورة الأنعام آية، (٨٢).
٤ابن كثر، في تفسيره، (١٥٣/٢).
٥متفق عليه رواه البخاري في الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: الحياء من الإيمان ح(٤٢)، (١٠١٧). وفي ح(٨٢)(٢٦٨٢/٦). ومسلم في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل،ح(١٢)، (٥٢/١).وفي ح(٢٢)و ح(٢٤٠٥).
٦معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري أبو عبد الرحمن مات بالأردن في الطاعون يعنى طاعون عمواس سنة ثماني ثماني عشرة وله ثلاث وثلاثون سنة وكان قد شهد بدرا والعقبة .محمد بن حبان أبو حاتم التميمي، مشاهير علماء الأمصار، ص (٥٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٥٩م).
٧ متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب الزكاة، باب، لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ح(١٣٨٩)، (٥٢٩/٢) ومسلم، في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب:الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ح(١٩)، (٥١/١).

كلهم على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه.[1]

وقد قال ابن تيمية: في بيان فضله " كما قال النبي: (أفضل الذكر لا اله إلا الله وأفضل الدعاء)[2] وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد الحمد لله ".[3]

فالتوحيد يكفر الخطايا ويحط السيئات لقوله تعالى في الحديث القدسي: (قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من جاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ وَمَنْ جاء بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أو أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ منى ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأرض خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شيئا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً).[4]

وكذلك من أهمية التوحيد أنه يوجب الشفاعة لأهله وأَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يقول الله من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيَخْرُجُونَ).[5]

المطلب الثاني: أنه سبب في دخول الجنة والنجاة من النار.

إن الدعوة إلى عبادة الله تعالى هي أول مطلب في المنهج القرآني، ومعرفة الله هي الأصل الذي تبنى عليه عبادة الله تعالى. أما مجرد الإقرار بوحدانية الخالق وإفراد الصانع فلا يكفي. ولذا لم ينفع المشركين إقرارهم فحاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم مع إقرارهم بذلك وأما من أتى بالتوحيد وشهد أنه لا إله إلا الله، وفهم معناها: أن ما سواه ليس بإله، فلا يستحق العبادة سواه، كان ذلك سبباً في دخوله الجنة، وإن ارتكب بعض الذنوب التي ليس فيها شرك بالله تعالى. كما ثبت عن رسول الله.

وعن أَبِي ذَرٍّ[1] رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وهو نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقال:(ما من عَبْدٍ قال لَا إِلَهَ إلا الله ثُمَّ مَاتَ على ذلك إلا دخل الْجَنَّةَ قلت وَإِنْ زَنَى

---

١ انظر علي بن علي بن محمد بن أبي الغز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٨/٧٧).

٢رواه والنسائي قي السنن الكبرى ح(١٠٦٦٧)، (٢٠٨/٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح،ح(١٨٣٤) ج(٦٧٦/١). وفي ح(١٨٥٢)، (٦٨١/١). وقال عنه في المستدرك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و ابن حبان في الصحيح ،ح(٨٤٦)، (١٢٦/٣). وقال عنه الشيخ الألباني: حسن، في صحيح الترغيب والترهيب، ح(١٥٢٦) مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة.

٣ ابن تيمية، توحيد الإلوهية، (٣٥١/٢).

٤رواه مسلم، في الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، ح(٢٦٨٨)، (٢٠٦٨/٤).

٥ أورده البخاري في الصحيح، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: صفة الجنة والنار..، ح(٦١٩٢)، (٢٤٠٠/٥).

وَإِنْ سَرَقَ قال وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قلت وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قال وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قلت وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قال وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ على رَغْمِ أَنْفِ أبي ذَرٍّ وكان أبو ذَرٍّ إذا حَدَّثَ بهذا قال وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أبي ذَرٍّ). [٢]

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ على ما كان من الْعَمَلِ "[٣]

فبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من شهد أن لا إله إلا الله: إي أنه علم وتيقن وعمل بها أي انه تلفظ بالشهادة، عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، ظاهرا وباطنا، وأما التلفظ بها دون فهم معناها أو من غير يقين ولا عمل بها فهو غير نافع وهو غير المقصود في الحديث ويدل على ذلك لفظ"من شهد" وقوله "على ما كان من العمل".

ومعنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله. وقوله "وحده "تأكيد للإثبات "لا شريك له "تأكيد للنفي، فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة، وإثباتها الله وحده لا شريك له، [٤]

وكذلك التوحيد آخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة)[٥] وهو آخر واجب.[٦]

وحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في صحيح مسلم (من مات وهو يعلم أن لا اله إلا الله دخل الجنة).٧

---

١ أبو ذر الغفاري، اسمه جندب ويقال برير بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام توفي بالربذة سنة اثنتين وثلاثين في أولها، ذكره مسلم بن الحجاج القشيري، في الكنى والأسماء،(١/٨٠).

٢ متفق عليه رواه البخاري، في الصحيح، كتاب اللباس، باب الثياب البيضاء، ح (٥٤٨٩)، (٥/٢١٩٣) .وعند مسلم في الصحيح، كتاب: الحج، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً..ح(٩٤)، (١/٩٥).

٣متفق عليه رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الأنبياء، باب: قوله يا أهل الكتاب ....ح(٣٢٥٢)، (٣/١٢٦٧). وعند مسلم بغير لفظه في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف ح(٢٩)، (١/٥٧).

٤انظر عبد الرحمن آل الشيخ، فتح المجيد، ص(٣٢).

٥رواه أحمد بن حنبل، في المسند، ح(٢٢٠٨٧)، (٥/٢٣٣)و ح(٢٢١٧٩)، (٥/٢٤٧)، وأبي داود، في السنن، كتاب: الجنائز، باب: ما يستحب من ثياب الميت عند الموت،ح(٣١١٦)، (٣/١٩٠)، والحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز، ح(١٢٩٩)، (١/٥٠٣).وفي كتاب الدعاء ...ح(١٨٤١)، (١/٦٧٨). وقال عنه في المستدرك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني: صحيح. سنن أبي داود، (٣/١٩٠)، ح(٣١١٦).

٦ انظر عمر بن عبد الرحمن الغزويني أبو المعالي، مختصر شعب الإيمان، ص(٢٢)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار أبن كثير، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ).

٧ رواه مسلم، في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ح(٢٦)، (١/٥٥).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ناد يا عمر في الناس إنه من مات يعبد الله مخلصا من قلبه أدخله الجنة أو حرم عليه النار فقال عمر يا رسول الله إذا يتكلوا).[1]

وقال صلى الله عليه وسلم أتاني جِبْرِيلُ(فقال: من مَاتَ من أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شيئا دخل الْجَنَّةَ قلت وان زَنَى وان سَرَقَ قال وان زَنَى وان سَرَقَ).٢

هذه جملة من الأحاديث الواردة في فضل التوحيد وما يوجبه من دخول الجنة والنجاة من النار وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة على فضل التوحيد وعظم ثوابه. وأما الأحاديث الواردة في دخول الجنة فيحتمل أن تكون من أول وهلة. ويحتمل أن تكون بعد التخفيف وليست من أول وهلة. وأما الأحاديث الواردة في النجاة من النار، فهي عدم الخلود في النار.[3] ولا يتحقق مقتضاه بالنجاة من النار مطلقا أو دخول الجنة من أول وهلة إلا بوجود شروط وانتفاء الموانع وذلك أن هذا مشروط بفعل الفرائض واجتناب المعاصي، ويقصد بها أنها سبب في دخول الجنة. والسبب لا يتحقق إلا بوجود الشرط وانتفاء الموانع.[4] فالعاصي معرّض لعقوبة الله وعذابه، وقابل لعفو الله وغفرانه، وهو تحت مشيئة الله إن عفا عنه دخل الجنة من أول وهلة، وإن لم يعف عنه عذب بقدر ذنوبه، ثم دخل الجنة، فلا بد له من دخول الجنة.

ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لما خلق البشر فطرهم على توحيده وكلما ابتعدوا عن الطريق بعث لهم من يرجعهم ويرشدهم بلطف إلى طريق الهدى، وأنزل معهم ما لو أتبعوه لم يقعوا في الضلال الذي يؤدي إلى نيران الجحيم.

خلاصة مبحث: أهمية التوحيد وأنه سبب دخول الجنة والنجاة من النار.

إن أهمية التوحيد[5]تظهر في أن القرآن كله يدور حول التوحيد والشرك وعقاب المشركين وثواب الموحدين. وهو الغاية من خلق الله للخلق. ومن إرسال الرسل. وكذلك هو شرط لصحة العبادة. وإن

١رواه عبد بن حميد، في مسند عبد بن حميد، ص(٣١٧)، و أبي يعلى، في المسند (٣٥٢/٣)، وقال عنه أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٧/١)، ورجاله رجال الصحيح.

٢متفق عليه رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرني أن عندي مثل أحدٍ هذا ذهباً،ح(٦٠٧٩)، (٢٣٦٧/٥). وفي ح(٣٠٥٠)، (١١٧٨/٣). وعند مسلم في الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشكر بالله شيئاً دخل الجنة، ح(٩٤)، (٩٤/١). وفي ح(٩٤)، (٦٨٧/١).

٣ انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (١١/ ٢٧٠)، دار المعرفة ، بيروت،(١٣٧٩هـ).

٤ انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (١٤/ ١٤٣).

٥ انظر عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الهاب، كشف ما ألقاه إبليس في البهرج، ص(٥)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله ال حمد، دار العاصمة، (١١٩٣هـ)، وعبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، (٢٤٩/١)، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

التوحيد هو طريق الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى الجنة. وإن جميع الرسل والأنبياء دعوتهم وأحده كلهم يدعوا إلى التوحيد.وإنه شرط في تحقق العبادة فلا تقبل العبادة بغير التوحيد، وبه تكون عصمة الدماء والأموال، وبه تكون الشفاعة.

إن أول مطلب التوحيد: وهو الأصل التي يبنى عليها عبادة الله تعالى، ولابد من تحقيق ومعنى كلمة "لا إله إلى الله "وهي ليس التلفظ بها فقط بل معناها: توحيد الله عز وجل وإخلاص العبادة له. وهي عبارة مركبة من نفي وإثبات فمعنى النفي: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وهي التخلية. ومعنى الإثبات: إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، وعلى الوجه الذي شرعه وعلى ما بينه نبيه صلى الله عليه وسلم. وهي التحلية. والتوحيد شرط في صحة العبادة وقبولها. وبذلك يتحقق للإنسان دخول الجنة والنجاة من النار.[١]

المبحث الثالث: تعريف الشرك وبيان حقيقته.

وفيه عدة مطالب.

تمهيد:

إن منهج التفريق والتفاضل عند الله تعالى، وهو التفريق على قضية التوحيد والعقيدة، وكلما قرب الإنسان من توحيد الله كانت له المنازل العليا عند الله، وفي دين الإسلام وعند أوليائه، وكلما ابتعد عن توحيد الله؛ ابتعد عن المنهج، ولم يكن على ضوء ما كان عليه سلف الأمة، وقرب من الشرك أو وقع فيه. فلذلك وحب بيان حقيقة الشرك.

المطلب الأول: تعريف الشرك.

معنى الشرك في اللغة:

قد تعددت معاني كلمة الشرك بحسب ما اشتق منه وكلها تدور حول المشاركة والاشتراك والشرك بالله، والشيطان دائماً ينشر شراكه ليصطاد كل غافل ويوقعه في الشرك بأنواعه.

قال أبو بكر الرازي: جمع الشَّرِيكِ شُرَكاءُ و شارَكَهُ صار شريكه و اشْتَرَكا في كذا و تَشاركا و شَرِكةُ في البيع والميراث يشركه مثل علِمه يعلمه شَرِكَةً والاسم الشِّرْكُ و الشِّرْكُ أيضا الكفر وقد أشْرَك بالله

١ انظر عثمان جمعة ضميرية، مدخل الدراسة العقيدة الإسلامية، ص(٢٦٣)، تقديم: عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي: الطبعة: الثانية (١٤١٧هـ/١٩٩٦م). وعمر سليمان الأشقر، الجنة والنار، (١١٧). دار النفائس، الأردن، السابعة، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

فهو مُشْرِكٌ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾[1] أي اجعله شريكي فيه و أشْرَكَ نعله و شَرَّكَها تَشْرِيكاً أي جعل لها شِراكاً.[2]

وقال ابن منظور: الشركِ والشركةُ: اشتركا وتشاركا وشارك أحدهما الآخر والشرك بالكسر، المشارك أشراك وشركاء، وشركه في البيع والميراث كعلمه شركة بالكسر، وأشرك بالله: كفر فهو مشرك. والشرك: محركة حبائل الصيد وما ينصب للطير. وأشرك وشركها تشريكا.[3]

ومعناه الاصطلاحي:

إن أفضل من عرف الشرك هو خير البشرية حين سُئِلَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؟ قال: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ).[4] وعرفها بعض العلماء بقوله: "هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه"[5]

ونخلص مما سبق إلى أن الشرك هو اتخاذ ند من دون الله يدعوه كما يدعو الله ويرجوه كما يرجو الله ويخافه وشركت النعل انقطع شراكها. والتشريك بيع بعض ما اشترى بما اشتراه به.[6] كما يخاف الله ويحبه كما يحب الله ونحو ذلك.

وهذا هو الشرك الأكبر الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للنهي عنه وتكفير أهله واستباحة دمائهم وأموالهم فإن المشركين ما ساووا معبود يهم بالله في الخلق والرزق والإحسان وإنما ساووهم بالله في المحبة والخوف والرجاء والدعاء ونحو ذلك كما قال تعالى عن المشركين إنهم يقولون لآلهتهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[7]

---

١ سورة طه آية، (٣٢).
٢ انظر الرازي، مختار الصحاح، ص (١٤٢).
٣ انظر ابن منظور، لسان العرب، (١٠/ ٤٥٠).
٤متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح، كتاب التفسير، باب إن عدة الشهور عند الله ..،ح(٤٤٨٣)، (١٧٨/٤). وبنحوه في ح(٥٦٥٥)، (٢٢٣٦/٥). وفي ح(٦٤٢٦)، (٢٤٩٧/٦). وفي ح(٧٠٨٢)، (٢٧٣٤/٦). وعبد مسلم في الصحيح بنحوه، كتاب: الحج، باب: كون الشرك أقبح الذنوب، ح(٨٦)، (٩٠/١).
٥ محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص(١٦٠)، المطبعة السلفية، الطبعة: الثالثة.
٦الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص:(١٢٢٠).
٧ سورة الشعراء آية، (٩٨/٩٧).

ومعلوم أنهم ما ساووهم بالله في الخلق والرزق وإنما ساووهم به في المحبة والتعظيم وإلا فهم يعتقدون أنهم مخلوقون مربوبون كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1] و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾[2] وكان المشركون يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك هو لك تملكه وما ملك،[3] **قال تعالى:** ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.[4]

المطلب الثاني: أنواع الشرك وحقيقته.

تنوعت عبارات أهل العلم في بيان أنواع الشرك، ولكنها لا تختلف في مضمونها عن المعنى الشرعي، فمنهم من قسمه إلى شرك أكبر وأصغر، ومنهم من قسمه إلى أكبر وأصغر وخفي. ومنهم من قسمه على حسب أنواع التوحيد الثلاثة. وبعضهم يقسمه إلى نوعين: شرك في الإلوهية وشرك في الربوبية.

وهذه الأقوال ليست متباينة بل بعضها يوافق بعضا فمن قسمه إلى شرك أكبر وأصغر أو أضاف عليه الشرك الخفي، نظر إلى الحكم هل هو مخرج من الملة أو هو غير مخرج من الملة. والذي قسمه إلى قسمين أدخل الشرك الخفي ضمن الشرك الأصغر. أما من قسمه إلى شرك في الإلوهية وشرك في الربوبية، فيكون أدخل الشرك في الأسماء والصفات ضمن الشرك في الربوبية. فليس هو إلا إجمال القول أو تفصيله. فهو شرك متعلق بالله تعالى. إما في الربوبية والأسماء والصفات، وإما يتعلق بصرف العبادة لغير الله تعالى، فهو في الإلوهية.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية "وقد ثبت أن الشرك جنس تحته أنواع و كله مذموم وإن كان بعضه أكبر من بعض".[5]

وكذلك قال شيخ الإسلام :"والشرك نوعان أحدهما: شرك في الربوبية والثاني: شرك في الإلهية فأما الأول: فهو إثبات فاعل مستقل غير الله".[1]

---

١ سورة المؤمنون آية، (٨٤).
٢ سورة الزمر آية، (٣).
٣ انظر أحمد بن إبراهيم بن عيسى، شرح قصيدة ابن القيم، (٢/٢٦٦و١٦٧)،.
٤ سورة سبأ آية، (٢٢).
٥أحمد بن تيمية أبو العباس، تلخيص كتاب الاستغاثة الرد على البكري، ص(٢٩٧)، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).

والثاني الشرك في الإلهية:" فإن المشركين المقرين بأنه رب كل شيء كانوا يتخذون آلهة يستجلبون بعبادتها المنافع ويستدفعون بها المضار ويتخذونها وسائل تقربهم إليه وشفعاء يستشفعون بها إليه وهؤلاء خلق من خلقه لا يملكون لأحد نفعا ولا ضرا إلا بإذنه، فكل ما يطلب منهم لا يكون إلا بإذنه وهو سبحانه لم يأمر بعبادة غيره ولم يجعل هؤلاء شفعاء ووسائل".[2]

ومن هنا نعلم أن الشرك له العديد من الصور.

الشرك في الاعتقاد يكون في نقض توحيد المعرفة والإثبات، والشرك الذي يصاحبه عمل يكون نقضاً لتوحيد القصد والطلب. ولا يشترط مساواة الشريك لله حتى يصبح مشركا **قال تعالى**: ﴿ **تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾** ﴾[3] فهم ساوهم في المحبة والخوف والرجاء لا في الخلق والإيجاد لأنهم كانوا يقلون بوحدانيته في خلقه.

وقد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة.

ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه.

ضد توحيد الربوبية هو:"اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل"[4]وشرك يتعلق بذات المعبود من اشراك مع الله غيره في خصائص الربوبية أو إنكار شيء منها ومثاله إن للكواكب القدرة على التأثير في الكون من دون الله تعالى. فمثاله: شرك التعطيل فرعون.[5] ومثال: شرك الأنداد، النصارى الذين قالوا إن المسيح إلها وأمه إلها آخر مع الله تعالى الله عما يقولون، ومن أسند النعمة لغير الله تعالى.[6]

وضد توحيد الأسماء والصفات شيئان ويعمهما اسم الإلحاد.

---

١ ابن تيمية، درء التعارض، (٣٩٠/٧).
٢أحمد بن تيمية، درء التعارض، (٣٩١/٧).
٣ سورة الشعراء آية، (٩٧ /٩٨).
٤ حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤٥٩/٢).
٥ انظر أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، تجريد التوحيد المفيد، ص(٢٤)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٦ انظر المرجع السابق، (٤٦).

"أحدهما: نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة. ثانيهما: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه"[1] وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[3] فهو أشرك مع الله غيره في خصائص الربوبية بتشبيهه بغيره أو تشبه غيره به سواء كان في أفعاله أوصفاته أو إنكارها أو جحد بعضها .ومثال النوع الأول: المعطلون الذين ينكرون أسماء الله وصفاته، من الجهمية[4] وغيرهم. ومثال النوع الثاني: اتخاذ الأنداد، إثبات صفات الصانع للمخلوق أو إدعاء علم الغيب لأحد غير الله من منجم وعراف وكاهن وغيرهم.

وضد توحيد الإلوهية هو:" صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها".[5] وهو الشرك في عبادة الله وإن كان يعتقد أنه لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله. وهو يسمى بشرك في العبادة وهو أكثر انتشارا من الأنواع السابقة.

المطلب الثالث: الشرك وكونه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر و بيان كل منهما.

الشرك نوعان أكبر وأصغر.

الشرك الأكبر: وهو الشرك المخرج من الملة، فكما أن العبادة تكون بالقلب أو بالقلب والجوارح أو بالقلب و باللسان أو باللسان فقط، كذلك الشرك يكون بهم.

ومثال الشرك الذي يكون في القلب فقط: محبة العبودية لغير الله تعالى، ومثال الشرك الذي يكون في القلب والجوارح: سائر أنواع العبادات البدنية مثل الصلاة والحج وغيرها.

١حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤٥٩/٢).
٢ سورة الشورى آية، (١١).
٣ سورة طه آية، (١١٠).
٤ الجهمية هم: المنتسبون إلى الجهم بن صفوان أبي محرز مولى بني راسب، وهو من أهل خراسان وتتلمذ على الجعد بن درهم، كما التقى بمقاتل بن سليمان، وقتل بمرو سنة(١٢٨)هجرية، والجهمية تطلق أحيانا بمعنى عام ويقصد بهم نفاة الصفاة عامة، وتطلق بمعنى خاص على أتباع الجهم بن صفوان في آرائه وأهمها: القول بنفي الصفات، والقول بالجبر، والقول بفناء الجنة والنار. انظر:أبي منصور عبد القاهر الإسفرايني، الفرق بين الفرق، ص(١٩٩) دار الأفق الجديد، بيروت، الطبعة الثانية: (١٩٧٧م)، و أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ص(٣٥)، المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر، مصر،الطبعة: الأولى، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
٥ حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤٥٩/٢).

ومثال الشرك الذي يكون بالقلب واللسان، مثل الدعاء كما قال صلى الله عليه وسلم (إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1].[2] وكذلك تلبية الكفار."عن بن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال كان الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لك قال. فيقول رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَيْلَكُمْ قد قد فَيَقُولُونَ إلا شَرِيكًا هو لك تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ يَقُولُونَ هذا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ".[3] وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ويلكم قد قد: أي قد كفاكم هذا الكلام اقتصروا عليه.[4]

والشرك الذي يكون في اللسان فقط مثل الأذكار التي تكون لله تعالى، إذا ذكر بها غير الله، مثل الشرك الخفي.

وإن الشرك الأكبر مخرج من الملة وصاحبه غير مغفور له كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾.[5]

الشرك الأصغر:[6] عرفه بعضهم "كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب المنزلة والجاه تارة، فلله من عمله نصيب، ولغيره منه نصيب".[7]

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)[8]وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (قال إن أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قالوا وما الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يا رَسُولَ اللَّهِ قال الرِّيَاءُ يقول الله عز وجل لهم يوم الْقِيَامَةِ إذا جُزِىَ الناس بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إلى الَّذِينَ كُنْتُمْ تراؤون في الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هل تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ

---

١ سورة غافر آية، ص(٦٠).
٢رواه أبي داوود في السنن ح(١٤٧٩)، (٧٦/٢). والنسائي، في السنن الكبرى، ح(١١٤٦٤). وابن حبان في الصحيح، ح(٨٩٠)، (١٧٢/٣). و ابن ماجة في السنن(١٢٥٨/٢)، ولحاكم، في المستدرك، في كتاب الدعاء والتكبير، ح(١٨٠٢)، (٦٦٧/١). وقال عنه في المستدرك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الشيخ الألباني: صحيح.
٣رواه مسلم في الصحيح، كتاب: الحج، باب: التلبية وصفتها، ح(١١٨٥)، (٨٤٣/٩).
٤ انظر أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كشف المشكل، (٤٦٤/٢)، تحقيق: علي حسين البواب دار الوطن، الرياض، سنة(١٤١٨هـ)، وعلي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح، (٤٥٨/٥)، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتاب العلمي، بيروت لبنان الأولى(١٤٢٢هـ).
٥سورة النساء آية، (٤٨).
٦ انظر محمد بن حسن بن سليمان الفقيه، كشف المبدي، ص(٣٦٦)، تحقيق: صالح بن علي المحسن، وأبو بكر بن سالم شهال، دار الفضل، الرياض، الأولى: (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
٧عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، ص (٢٣٩).
٨رواه مسلم في الصحيح، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عماه غير الله، ح (٢٩٨٥)، (٢٢٨٩/٤).

جَزَاءً)[1] فالذي أطلق الاسم عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا النوع من الشرك وإن كان لا يخرج من الملة فإن فاعله على خطر عظيم وهو ينقص من أجره الشيء الكثير وقد يحبط منه العمل وقد يكون شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

وللشرك الأصغر العديد من الأنواع منه القولي أو الفعلي أو القلبي. فالأول يكون باللسان مثاله الحلف بغير الله تعالى . قول ما شاء الله وشئت . وأما إن أعتقد المشاركة والتسوية فيصبح شركاً أكبر. والثاني: الفعلي، ما كان بعمل الجوارح، مثاله لبس الحلقة والخيط لرفع العين والبلاء، وأما إذا أعتقد تأثيرها بذاتها يكون شركاً أكبر. وثالثا: القلبي، مثاله الرياء ويكون بإطالة الركوع والسجود أو الصدقة أمام الغير لكي ينظر إليه الناس أنه عابد. وإن المرائي إنما يعمل لأجل المدح والثناء أو يعمل لدنيا يصيبها من مال أو ومنصب أو للزواج وغيرها.

الشرك الخفي: وقد عرفه الرسول فقال (الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل).[2]

وفسر الحديث بعضهم فقال" أي أن يعمل الطاعة لأجل أن يراه ذلك الإنسان أو يبلغه عنه فيعتقده أو يحسن إليه سماه شركا لأنه كما يجب إفراد الله بالألوهية يجب إفراده بالعبودية "[3] وعرف آخر بقوله: "الشرك الخفي بترك التوكل والاعتماد على الله سبحانه".[4]

إن كل من قل علمه ولو من أهل القرون الأولى المصاحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد يلتبس عليه الأمر وتخفى عليه بعض أنواع الشرك فلا يعصم منه ومن الوقوع فيه إلا الاستنارة بالسنة المحمدية والرجوع إلى كتاب الله وبيان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.[5]

وعده بعض العلماء أنه من نوع الشرك الأصغر، وعرفوه بتعريف الشرك الأصغر، والذي يوضح ذلك إن الأعمال التي أطلق عليها في بعض الأحاديث شرك أصغر هي نفسها التي أطلق عليها شرك خفي في مواضع أخرى مثل الرياء فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (إن أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ

١رواه أحمد في مسنده ح(٢٣٦٨٠)، (٥ /٤٢٨).والطبري، في المعجم الكبير،ح(٤٣٠١)، (٢٥٣/٤). وذكره أبي المنذري، في الترغيب والترهيب ح(٥٠)، (٣٤/١).وعلي بن أبي بكر الهيثمي، في مجمع الزوائد، (١٠٢/١). وقال عنه رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال عنه المنذرى رواه أحمد بإسناد جيد.

٢رواه أحمد بن حنبل ، في المسند (١١٢٧٠)، (٣٠/٣). والحاكم، في المستدرك في كتاب الرقاق، ح(٧٩٣٦)، (٣٦٥/٤) وقال عنه في المستدرك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب، ح(١١١٧)، (٧٩٤/٢)، وقال عنه الألباني: حسن في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته.

٣عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (١٧٢/٤)، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى (١٣٥٦هـ)

٤نور الدين أبو الحسن السندي، حاشية السندي على سنن النسائي (٧/ ١١٢)، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٥٥ انظر أبي شكيب محمد الهلالي، الحسام الماحق لكل مشرم ومنافق، ص(٢٠)، دار الفتح، الشارقة، الطبعة: الأولى: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

الأَصْغَرُ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ وما الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قال الرِّيَاءُ).[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل).[2] وإن من عدها نوعا ثالثا إنما أراد من ابرازها كنوع ثالث لبيان خفائها على كثير من الناس وكثرة وقوعهم فيه. ولخوف الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء)[3] فكان التحذير منه، وعليه فيجب أخذ الحذر منه لكثرة الاشتباه به فربما يعتقد في أمر أنه من الأمور الشرك الأصغر وهو في الواقع من أمور الشرك الأكبر وذلك لخفاء أمره وصعوبة معرفته.

وعليه فالشرك الخفي هو نوع من أنواع الشرك الأصغر، ويمكن أن يكون شركاً أكبر بحسب حال القائل ولذلك عده بعضهم من الشرك الأصغر وبعضهم عده من الشرك الأكبر وبعضهم قال يحتمل الأمرين.

وقال بعض العلماء:" الظاهر من النصوص المذكورة أن الشرك الخفي قد يكون من الشرك الأكبر وقد يكون من الشرك الأصغر وليس له وصف منضبط بل دائما يتردد بين أن يكون من الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر بل هو كل ما خفي من أنواع الشرك "٤ وهذا هو الراجح عندي.

خلاصة مبحث: تعريف الشرك وبيان حقيقته.

بعد تعريف التوحيد وحقيقته وبيان أهميته وأنه سبب دخول الجنة، ناسب ذكر ضدّ التّوحيد وهو الشرك، لأنه لا يكفي أنّ يعرف الإنسان التوحيد ويعمل به، بل لابد أن يعرف ضده وهو الشرك، من باب معرفة الشيء بمعرفة الضد، وبضدها تتميز الأشياء. وخشية أن يقع فيه، ويُفسد عليه توحيده، فالمشرك مشرك لأنه أشرك مع الله غيره فيما يتعلق بالعبادة لله وحده، أو فيما يتعلق بملكه وتدبيره العباد، أو تسوية الله عز وجل بغيره فيما يجب له من الأسماء والصفات أو بعدم تصديقه فيما أخبر أو فيما شرع، أوحلف بغير الله تعالى،[5] فصار بذلك مشركا بالله، الذي هو ضدّ شهادة أن لا إله إلاَّ الله أو منقص لهما، ولهذا

١سبق تخريجه، ص(٦٢).

٢سبق تخريجه، ص(٥٨).

٣رواه أحمد بن حنبل، في المسند (٤٠٣/٤)، والطبراني، في المعجم الأوسط(١٠/٣)، وقال عنه أبو محمد المنذري، في الترغيب والترهيب، رواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح وأبو علي وثقه ابن حبان. وقال عنه الألباني: حسن. ح(٣٦)، في الترغيب والترهيب. وفي الأدب المفرد، ح(٧١٦)، ص(٢٥٠).

٤أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، ص(١٧٩)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) . فقال وقد رجحه شيخنا عبد الله بن محمد الغنيمان في بعض دروسه في الحرم.

٥ انظر أبي أحمد أمان بن علي جامي، الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ص(٢٧٧)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

فإن الشرك أنواع ثلاثة: شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، وشرك في الأسماء والصفات. كما أن التوحيد ثلاثة أقسام، فالشرك ثلاثة أقسام، كل نوع من أنواع التوحيد يقابله نوع من أنواع الشرك.[1]

الشرك ينقسم إلى قسمين[2] بإعتبار من قسم التوحيد إلى قسمين:

الأول: شرك بتعلق بذات المعبود، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله. وهذا هو الشرك في الربوبية.

الثاني: شرك في عبادته، ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه – سبحانه – لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعال.وهذا هو الشرك في العبادة والألوهية. وهو ثلاثة أنواع شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي.

المبحث الرابع: خطر الشرك وتحريم الجنة علي المشرك.

تمهيد:

إن كمال العبادة أن تجتمع المحبة والتعظيم والإجلال في قلب الإنسان وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات لا توجد في غيره من الكمال الذي يستحق أن يعظم لأجلها ويحب لأجلها. وقد قال ابن القيم:. رحمه الله . "ولما كان الله سبحانه وتعالى أحق بهذا من كل أحد كان المستحق لأن يعظم ويكبر ويهاب ويحب ويود بكل جزء من أجزاء القلب ولا يجعل له شريك في ذلك وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله سبحانه أن يسوي بينه وبين غيره في هذا الحب"[3] قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [4]

فأخبر أن من أحب شيئا غير الله مثل حبه لله كان قد اتخذه ندا وقال أهل النار في النار لمعبوداتهم ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [5]

---

١ انظر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيد الحافظ عبد الغني المقدسي، ص(٣٩)، غراس، الطبعة: الأولى: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢ انظر محمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، (١٠٩/١)، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

٣ابن القيم، جلاء الأفهام، ص(١٨٦)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، الطبعة :الثانية، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٤سورة البقرة آية، (١٦٥).

٥سورة الشعراء آية، (٩٨/٩٧).

ولم تكن تسويتهم بالله في كونهم خلقوا السماوات والأرض أو خلقوهم وإنما سووهم برب العالمين في الحب لهم كما يحبون الله لأن حقيقة العبادة هي الحب والذل، ولذلك ينبغي بيان خطر الشرك، وكيف أنه سبب في تحريم الجنة على المشرك.

المطلب الأول: خطر الشرك.

الشرك من أعظم الذنوب ولهذا فإنه من الذنوب غير المغفورة. ولقد كان الأنبياء يخافون من أن يقعوا فيه أو يقع فيه أبناؤهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] وكذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفعل مع أمته وأقرب الناس إليه محذراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر (للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من جعل مع الله إله خر قال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره قال قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء)[2]ولذلك يجب أن نحذر مما حذرنا منه . صلى الله عليه وسلم . ونطيعه في ما أمر. لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[3]

ومن خطر الشرك ما يلي: أوجه خطر الشرك.

أولا: أنه أعظم الظلم.

وقد ذكر بعض علماء اللغة في تعريف الظلم أنه: " وضع الشيء في غير موضعه أو التعدي في حق غيره"[4] كما نص كل من ابن تيمية وأبو بكر الرازي في تعريفهم لمفهوم الظلم: "أن الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها"[1] ومن تعريفاته أيضاً أنه:"الجَوْرُ ومُجاوزَةُ الحدِّ "[2]

---

١ سورة إبراهيم آية، (٣٥).

٢رواه أحمد بن حنبل، في المسند (٤٠٣/٤)، والطبراني، في المعجم الأوسط(١٠/٣)، وقال عنه أبو محمد المنذري، في الترغيب والترهيب، رواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح وأبو علي وثقه ابن حبان. وقال عنه الألباني: حسن.ح(٣٦)، في الترغيب والترهيب.وفي الأدب المفرد، ح(٧١٦)، ص(٢٥٠).

٣ سوره آل عمران آية، (٣١).

٤ علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح، (٣٧٥/٥).

المفهوم الشرعي للظلم:

والتعريفات الشرعية للظلم لا تختلف كثيراً عن التعريفات اللغوية إلا من باب تقيد المطلق فيها فعرفه ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله: " الشرك أظلم الظلم لأن المشرك وضع العبادة في غير موضعها"[3] وقال الجرجاني [4] الظلم في الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد[5] وعرفه بعضهم بقوله: " ظلمت نفسي الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقيل التصرف فيما لا يملك والحدان مستمران على العاصي والظلم للنفس موافقة الهوى فيما يوجب عقوبتها وقد يكون فيما ينقص أجرها أو يفوتها فضيلة"[6] وقال ابن تيمية رحمه الله ومن هذا الباب ظلم الإنسان لنفسه،فإنه إذا أطلق تناول جميع الذنوب وذلك لأنها موجبة للعقاب.[7] ومن أعظم الظلم ظلم الإنسان لنفسه ،بالشرك بالله تعالى.

ولعل من المهم أن نشير إلى وجود أكثر من تقسيم للظلم وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: ظلم ينقل عن الملة وظلم لا ينقل عن الملة.

الظلم نوعان ظلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل.فقد يسمى الكافر ظالما وقد يسمى العاصي ظالما ."والظلم المقيد قد يختص بظلم العبد نفسه وظلم بعضهم بعضا "[8]

ثانياً :ما تنفع معه الشفاعة وما لا تنفع معه الشفاعة.

١أحمد بن تيمية، جامع الرسائل في رسالة في معنى كون الرب عادل، ص(١٢٩/١)، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).وكذلك قال أبي بكر الرازي، في مختار الصحاح، ص(١٧٠)

٢ أبو السعادات الجزري، النهاية في غريب الأثر، (٣ /١٦١).

٣ ابن القيم، إغاثة اللهفان، (٣٠٥/٢).

٤علي بن محمد بن علي الجرجاني، الحسيني، الحنفي، عالم، حكيم، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بجرجان، وتوفي بشيراز. من تصانيفه الكثيرة: حاشية على شرح التنقيح تفتازاني في الأصول، شرح التذكرة النصيرية في الهيئة، حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية على شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية في فروع الفقه الحنفي، وحاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان. توفي (٨١٦ هـ). وفي رواية: (٨١٤هـ). وفي الضوء اللامع: توفي(٨٣٨ هـ) ولم يبلغ الأربعين. وفي الفوائد البهية: ولد لثمان بقين من شعبان، ومات في ٢٢ من المحرم(٧٩٢هـ). وفي الإعلام للزر كلي: ولد في تاكو قرب استراباد. زادت مصنفاته علي خمسين مصنفا. انظر عمر كحالة، معجم المؤلفين (٢١٦/٧).

٥ انظر علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، ص (١٨٦).

٦ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، كشف المشكل، (١٢/١).

٧ انظر احمد بن تيمية، كتاب الإيمان، ص (٧٤)، تلخيص وتحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (١٤١٨هـ).

٨ عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، ص(٢٩٥).

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ الظلم ثلاثة أنواع: فالظلم الذي هو الشرك لا شفاعة فيه،وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم إلا أن يعفوا المظلوم أو يأخذ حقه، وهو لا يسقط لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطي المظلوم من الظالم.كما قد يغفر للظالم نفسه بالشفاعة.[1]

ثالثاً: الظلم المغفور والظلم غير المغفور والظلم الذي لا يتركه الله.

الظلم ثلاثة من الأنواع أو الأقسام: فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره. وظلم لا يتركه. فأما الظلم الذي لا يغفره الله: فالشرك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2] وأما الظلم الذي يغفره الله: فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3]

قالوا نكرة في سياق الشرط تعم كل ما فيه ظلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] فهذا لا يدخل فيه الشرك الأكبر، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدير: أي يأخذ. يقال دير به وعليه وأدير به أخذه لبعضهم من بعض. وقد يحف بعض الخلائق عناية إلهية فيرضى الله خصومه.[5]

ومما سبق يتبين أن التقسيمات جميعها متوافقة غير مختلفة وإن اختلفت ألفاظها وتقسيماتها، وهي تشرح بعضها البعض الآخر، ويتبين أن الشرك بالله: هو المخرج عن الملة، وهو لا شفاعة فيه، وكذلك هو الظلم الغير المغفور، وهو الظلم الأكبر.

و لما نزلت آية﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[6] (شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[7])١

١انظر أحمد ابن تيمية، كتاب الإيمان، ص (٩٢/٩٣).
٢سورة لقمان آية، (١٣).
٣ سورة آل عمران آية، (١٣٥).
٤ سورة فاطر آية، (٣٢).
٥ انظر زين الدين عبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (١٢٤/٢)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ).
٦سورة الأنعام آية، (٨٢).
٧سورة لقمان آية، (١٣).

هكذا وقع الحديث هنا في صحيح مسلم ووقع في صحيح البخاري (لما نزلت الآية قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أينا لم يظلم نفسه فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [2])[3] فهاتان الروايتان إحداهما تبين الأخرى فيكون لما شق عليهم أنزل الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن الظلم المطلق هناك المراد به هذا المقيد وهو الشرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ليس الظلم على إطلاقه وعمومه كما ظننتم إنما هو الشرك كما قال لقمان لابنه فالصحابة رضي الله عنهم حملوا الظلم على عمومه والمتبادر إلى الإفهام منه وهو وضع الشيء في غير موضعه وهو مخالفة الشرع فشق عليهم إلى أن أعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمراد بهذا الظلم[4] وإنما شق عليهم لأن ظاهر الظلم المطلق وهو ما كان بحقوق الناس وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي فظنوا أن المراد معناه الظاهر وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل العبادة لغير الله تعالى فهو أظلم الظالمين لنفسه بوضعه للعبادة في غير موضعها.

ففي هذه الآية الكريمة قال تعالى: اذكر يا محمد لقومك. موعظة لقمان لابنه، وهو أشفق الناس عليه، وأحبّهم لديه، حين نبّهه إلى خطر الشرك بالله، وما فيه من جحود نعمائه. وحذّره من ضرره، لأنه ظلم صارخ، وعدوان مبين، وما فيه من وضع الشيء في غير موضعه. فمن سوّى بين الخالق والمخلوق، وبين الإله الرازق، والمرزوق. فهو – بلا شك – أحمق الناس. وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة. وحريّ به أن يوصف بالظلم.[5]

المطلب الثاني: أنه أكبر الكبائر، وبيان أحكام نوعى الشرك.

النوع الأول: أن يجعل لله ندا، ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك وهذا الشرك الأكبر وهو أكبر الكبائر. الذي ذكره الله عز وجل **فقال:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

---

١ رواه مسلم في الصحيح كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، ح(١٢٤)، (١/١١٤).
٢سورة لقمان آية، (١٣).
٣ رواه البخاري في الصحيح كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم..باب: ما جاء في المتأولين ح(٦٥٣٨)، (٦/٢٥٤٢).
٤ انظر أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١٤٣/٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٣٩٢هـ).
٥ انظر محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، (٢٣٨/٢، ٢٣٩)، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾[2]

والآيات في ذلك كثيرة فمن أشرك بالله ثم مات مشركا فهو من أصحاب النار قطعا. كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قالوا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)[3] وقال: صلى الله عليه وسلم (اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها الشرك بالله)[4] وقال: صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه).[5]

النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو أيضاً من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر ولذا ورد التحذير منه في الكتاب والسنة ومن الشرك الرياء بالأعمال كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[6] وإن عموم الآية تشمل الشرك بنوعيه، وقيل في تفسير الآية "قال لا يرائي"[7]وقال الطبري " ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره" [8]

أي لا يرائي بعمله أحدا وان رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (إن أَخْوَفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قالوا وما الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يا رَسُولَ اللَّهِ قال الرِّيَاءُ يقول الله عز وجل لهم يوم **الْقِيَامَةِ** إذا جُزِىَ الناس بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إلى الَّذِينَ كُنْتُمْ تراؤون في الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هل تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً)[9]

١سورة النساء آية، (٤٨).
٢ سورة المائدة آية، (٧٢).
٣ رواه البخاري كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة لبزور، ح(٢٥١١)، (٩٣٩/٢).
٤رواه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: ما للوصي أن يعمل في مال اليتيم، ح(٢٦١٥)، (١٠١٧/٣).
٥ رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، ح(٦٥٢٤)، (٢٥٣٧/٦).
٦ سورة الكهف آية، (١١٠).
٧ سفيان الثوري أبو عبد الله، تفسير الثوري، ص(١٨٠).
٨محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، (٤٠/١٦) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
٩ رواه أحمد بن حنبل، في المسنده، ح(٢٣٦٨٠)، (٤٢٨/٥). وذكره عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، في الدر المنثور، (٤٧٤/٥) وقال عنه الهيثمي في مجموع الزوائد. ورجاله رجال الصحيح.وقال عنه الألباني: صحيح.السلسلة الصحيحة ح (٩٥١)، (٦٣٤/٢).

وإن نجاة المشرك من الوعيد الشديد يكون بشيء واحد وهو التوبة المأمور بها في الدنيا، فإن الشرك لا يغفره اللّه إلا بتوبة، كما **قال تعالى**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] في موضعين من القرآن، وما دون الشرك فهو مع التوبة مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة كما **قال تعالى**: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [2] فهذا في حق التائبين؛ ولهذا عمم وأطلق، وحتم أنه يغفر الذنوب جميعاً، وقال في تلك تلك الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [3] فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة فإذا كان كان الشرك لا يغفر إلا بتوبة، فيجب على مرتكبه التوبة. وأما ما دونه فيغفره اللّه للتائب، وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء.

ومن المعلوم أن هذا الشرك أعظم ما نهى عنه الله تعالى حيث قال: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4] فقرن النهي عنه بأعظم ما أمر به وهو عبادة الله التي من أجلها خلق الخلق كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5] وهو أول المحرمات التي حرمها الله تعالى على خلقه خلقه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴿١٥١﴾ ﴾ [6]

ومن خطورة الشرك في هذه الحياة أن صاحبه يخاف من كل شيء لأنه متزعزع اليقين يخاف من المجهول ومن المستقبل، يقول الله تعالى: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ﴿١٥١﴾ ﴾ [7]

المطلب الثالث: تحريم الجنة علي المشرك.

١سورة النساء آية، (١١٦،٨٤).
٢سورة الزمر آية، (٥٣).
٣سورة النساء آية، (٤٨).
٤ سورة النساء آية، (٣٦).
٥ سورة الذاريات آية، (٥٦).
٦سورة الأنعام آية، (١٥١).
٧سورة ال عمران آية، (١٥١).

أعظم ما نهى الله عنه رسوله، وحذره منه؛ الشرك، الذي هو ضد التوحيد، حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [1]

فالله تبارك وتعالى يخاطب بهذه الآية إمام الموحدين، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل الرسل أوحى الله إليهم؛ بهذا الأمر العظيم فإذا كان الله سبحانه وتعالى يحذر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم؛ من الشرك فيكون في حق غيره، فهو من باب أولى. وقال الطبري في تفسير الآية " بمعنى وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك مثل الذي أوحى إليك منه فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك "[2] ومن ذلك يتبين أن احتمال وقوعه في الشرك صلى الله عليه وسلم غير وارد، ولكن التحذير له من باب التذكير، ولبيان مدى الخطر كل من يقع فيه.

وقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي" أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ".[3]من كان عمله لمقالة الناس فلا ثواب له في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطل الله ثوابها وجعلها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس.[5]

وكما أن أنبياء الله تعالى جميعهم دعوا إلى توحد الله وإفراده بالعبادة،كذلك حذر جميعهم من الشرك وهذا الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الشرك هو كذلك في شرائع غيره من الأنبياء ففي التوراة أن التوكل يجب أن يكون على الله وليس على أي إنسان ولا على الرؤساء وأنه من توكل على الله لا يعاقب فورد في التوراة: "اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ "[6] وقوله"الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يعاقب"[7]وقول"الاحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ."[8]

١سورة الزمر آية، (٦٥).
٢محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، (٢٤/٢٤)، دار الفكر، بيروت، سنة (١٤٠٥هـ).
٣رواه مسلم في الصحيح، كتاب: الزهد والرقائق، باب: أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء، ح(٢٩٨٥)، (٢٢٨٩/٤).
٤ سورة الفرقان آية، (٢٣).
٥ انظر محمد بن عثمان الذهبي، الكبائر، ص(١١/٩). دار الندوة الجديدة - بيروت.
٦سفر المزامير، (١٥٨/٢٢).
٧سفر المزامير، (٣٤/٢٢).

إِنْسَانٍ."[1] وقوله" الاحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الرُّؤَسَاءِ"[2].وأن دين الأنبياء عليهم السلام واحد وإن تنوعت شرائعهم كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ)[3] أي أمهاتهم شتى ودينهم واحد وهو القدر المشترك بينهم أن عبادة الله وحده[4] وقدقَالَ تعَالَىٰ:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴿١٣﴾ ﴾[5]

قَالَ تعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[6]

قَالَ تعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[7] وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره من الأولين والآخرين.

كذلك لا يكون للمشرك الأمن التام والاهتداء التام فإن ما أوردناه من أحاديثه مع نصوص القرآن تبين أن أهل الشرك معرضون للخوف من حبوط الأعمال وحرمان دخول الجنة والخلود في النار ويحرمون من "فضل التوحيد وتكفيره للذنوب لأن من أتى به تاما فله الأمن التام والاهتداء التام ودخل الجنة بلا عذاب ومن أتى به ناقصا بالذنوب التي لم يتب منها فإن كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر لآية النساء والنجم وان كانت كبائر فهو في حكم المشيئة إن شاء الله غفر له وان شاء عذبه ومآله إلى الجنة"[8]

1سفر المزامير، (١١٨/٨).
2سفر المزامير، (١١٨/٩).
3متفق عليه رواه البخاري في الصحيح، كتاب: الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب مريم، ح(٣٢٥٦)، (١٢٧٥/٣). (١٢٧٥/٣). وعند مسلم في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: فضل عيسى عليه السلام، ح(٢٣٦٥)، (١٨٣٧/٤).
٤ انظر أحمد بن تيمية، التوسل والوسيلة، ص(١٥٣).
5سورة الشورى آية، (١٣).
٦ سورة المؤمنين آية، (٥١/٥٣).
7سورة الروم آية، (٣٠/٣٢).

الجنة"[1] وهو من أعظم الذنوب لأن الله تعالى أخبر أنه لا مغفرة لمن لم يتب منه، مع أنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة،﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾ [2] وذلك يوجب للعبد شدة الحذر وشدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه، ويحمله على معرفته لتوقيه؛ لأنه أقبح القبيح.[3]

وهو مخرج من الملة ويحبط الأعمال وصاحبه حلال الدم والمال وخالد مخلد في النار وحرم الله عليه الجنة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾[5] لأن المشرك ظالم لنفسه ليس له من ينصره وحرم الله تعالى عليه الجنة، فيكون مصيره إلى النار.

خلاصة مبحث: خطر الشرك وتحريم الجنة علي المشرك.

إن الإنسان لو وُلد في الإسلام وعرف التوحيد، فإن هذا لا يكفي، بل لابد أن يَسْلم من الشرك، ولا يسلم من الشرك إلاَّ إذا عرفه وعرف طرقه، حتى يتجنّبه ويحذّر منه، أما من يجهل الشيء فربما يقع فيه، لأنه لا يدري عنه؛ وإن الله تعالى حذرنا من الشرك في كثير من الآيات، وكذلك فعل الرسول عليه السلام، وهو ما فعله جميع الأنبياء مع أممهم، وهو من أعظم الظلم ظلم الإنسان لنفسه بالشرك الأكبر، والأصغر، وقد اخبرنا الله أنه سبب في حبوط الأعمال، والحرمان من مغفرة الله تعالى، وتحريم الجنة عليه، وأنه لا يغفر إلا بالتوبة قبل الموت.[6]

المبحث السادس: واقع المسلمين اليوم في ضعف التوحيد وبروز مظاهر الشرك.

١سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(٥٢).
٢ سورة الأنعام آية، (١٢).
٣انظر صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ص(٤٦)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٤ سورة الأنعام آية، (٨٨).
٥ سورة المائدة آية، (٧٢).
٦ انظر محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، (٣٦٦/٢)، دار الجليل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة: (١٤١٣هـ).صالح بن فوزان الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، ص(٨٥)، مؤسسة الرسالة، الأولى: (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦). وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (٨٨/١)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م).

من المشاهد أن كثيراً من الناس تتلبس عليهم الأمور المشروعة بالأمور الشركية والمبتدعة، كما أن كثيرا منهم قد يقع في الشرك الأكبر بسبب الجهل والتقليد الأعمى. وذلك يكون بسبب الوقوع في الشبهات، أو إتباع الشهوات. ولذلك فالواجب على أهل العلم في كل مكان وزمان أن يحذروهم من الشهوات و أن يوضحوا للناس دينهم ويبينوا لهم الشبهات التي وقعوا فيها وأن يبينوا لهم حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك، وكما يجب على أهل العلم أن يوضحوا للناس وسائل الشرك، وأنواع البدع المحدثة في الدين.

وسوف نشير فيما يلي إلى بعض المظاهر التي تبين ضعف التوحيد وبروز مظاهر الشرك في واقع كثير من المسلمين.

المطلب الأول: واقع كثير من المسلمين في ضعف التوحيد والإنحراف في مفهوم العبادة.

أولاً: ظن كثير من الناس أن العبادة هي مجرد أداء الشعائر التعبدية.

العبادة هي كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة و الباطنة. ولذلك كانت العبادة بمفهومها الواسع هي الغاية من الخلق. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ولا نستطيع أن نفهم هذه الآية حق الفهم إلا بتفسيرها أن كل نشاط الحياة هي عباده لله تعالى كما قال تعالى على لسان نبيه الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[3] وهذا المعنى للعبادة هو الذي سار عليه الرسول الكريم في جميع حياته. وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[4] وكذلك فعل الصحابة والتابعين من بعده ولم تنحصر العبادة في مفهومها الضيق وحتى الشعائر التعبدية فقدت الخشوع وصارت تؤدى بصورة تقليدية عند غالب المسلمين من المتأخرين.

١سورة الذاريات آية، (٥٦).
٢سورة الأنعام آية، (١٦٢و١٦٣).
٣سورة الحجر آية، (٩٩).
٤سورة الأحزاب آية، (٢١).

والواقع أنه لو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية وهي القيام والقعود فقط ما استحقت كل هذا العدد من الرسل والرسالات وما استحقت كل هذه الجهود التي بذله الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- وما استحقت كل هذا الجهد والأذى الذي تعرض لها الدعاة والمؤمنون على مدار الزمان! إنما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر من الشرك إلى التوحيد أي الإخلاص في العبادة.[1]

وإن واقع المسلمين الأخلاقي اليوم السيئ وبسبب فصل الدين عن واقع الحياة، أصبح يصد الناس عن الدخول في الإسلام.

ولا شك أن خروج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن مفهوم العبادة كان له أثار سيئة للغاية في تفشي المنكرات وإعلانها بها فلم يعد كثير من الناس يكترث بأمر هذه المنكرات التي يشاهدونها ما داموا يرون أنهم قد حافظوا على شعائر العبادة.

ثانياً: انتشار ظاهرة الفكر الإرجائي وامتداد أثره على واقع الأمة اليوم.

ويعد الفكر الإرجائي[2] من أشد أنواع الفكر المنحرف المؤثر في الإسلام ولسنا هنا بصدد دراسة المرجئة وتاريخها بل سنكتفي بذكر أثر هذه الفرقة في واقع المسلمين اليوم.

وتنقسم المرجئة إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: مرجئة الفقهاء: وهم عرفوا الإيمان بأنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان.

وهم طائفة معدودة من الفقهاء وتقول بأهمية العمل ووجوبه وتقول إن من لم يقر بالإيمان بلسانه أو لم يقم بقلبه شيء من أعماله (كالرضا واليقين والصدق والإخلاص) كافر لا إيمان له، ولكن انقدحت لديهم

---

١ انظر عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، تلبيس إبليس ص(١٧٣)، تحقيق: السيد الجميل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٩٠٣/٤)، دار الشروق، بيروت، الطبعة: العاشرة: (١٤١٢هـ).

٢نظر محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، التوحيد، ص(٣٨٥)، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، وغالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (١٠٧١/٣)، المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة: الرابعة: (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، وبشير علي عمر، منهج الإمام أحمد في إعلام الأحاديث، (٢٤٨/١)، وقف السلام، الطبعة:الأولى: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، وصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، (١٣٤/١٢)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، وسفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الإسلام، دار الكلمة الطيبة: الأولى: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩).

شبهة في كون الأعمال – أعمال الجوارح – تدخل في مسمى الإيمان، وفهموا خطأ أن القول بزيادته ونقصانه موافق لقول الخوارج .[1]

وهكذا نفهم أن الإرجاء لم يكن دعوة واعية مقصودة لترك العمل والتفلت من الطاعات وأنه كان في بدايته تفسيرا ضالاً لحقيقة الإيمان.[2]

دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين، ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال لا من بدع العقائد؛ فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب؛ فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء.[3]

القسم الثاني: غلاة المرجئة، وهم الجهمية ومن شابهم، وهم يقولون إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط وان ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان وزعموا إن الكفر بالله هو الجهل به وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه انه لا يكفر بجحوده وان الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه وان الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح.

وهذا القول اتفقت الأمة على شذوذه وعدم الاعتداد به، وعدم اعتباره في الخلاف، بل أخرجهم أئمة الإسلام الكبار من فرق الأمة الاثنتين والسبعين الضالة، وعدوهم أكفر من اليهود والنصارى والمجوس.[4]

ويلاحظ مما سبق أن كلا القسمين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان. وقد لقي هذا المذهب الفاسد مقاومة شديدة من قبل علماء السلف وذلك لأن السلف الصالح أدركوا خطره وما قد سينشأ عنه.[1]

---

١ أنظر سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ص (٢٩٣)، و علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثارهما في حياة الأمة،ص(٦٣). رسالة لنيل درجة الماجستير العام (١٤١٤هـ).جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.

٢انظر سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ص(١٠).

٣انظر ابن تيمية، توحيد الألوهية، (٣٩٤/٧)،

٤انظر أبي الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص (١٢٢)، تحقيق: هيلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.وسفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ص (٢٩٣).

وينتج عن ذلك أن المعاصي وإن كانت من الشرك الأكبر أو الكفر الصريح لا يكون صاحبها كذلك إلا إذا أعترف بذلك وإن الحاكم بالقوانين الوضعية لا يكفر إلا إذا علمنا أنه في قلبه يفضل الشرائع الوضعية على شرع لله تعالى وليس هنالك سبيل لمعرفة ذلك، فيكون جميع ما يقوم به هو من قبيل المعاصي وليس من باب الكفر أو الشرك وإن أصر عليها.

وكان لهذه العقيدة آثار عظيمة الأثر على الأمة بل هي في عصرنا الحاضر أساس للضلال والتخبط الواقع في مسألة التكفير ومنها نشأ التوسع في استخدام ((شرط الاستحلال)) حتى اشترطوه في أعمال الكفر الصريحة كإهانة المصحف أو سب الرسول الكريم أو إلغاء شريعة الله تعالى وقالوا لا يكفر فاعلها إلا إذا كان مستحلاً بقلبه،[2] ونتج عنه في عصرنا الحاضر كردة فعل معاكسة لهذا المذهب الفكر التكفيري الغالي رداً على الفكر الإرجائي المعاصر الذي غلا فيه أصحابه هم أيضاً.

وعندما كانت الأمة في الوقت الحاضر في تراخٍ عن العمل والتفلت في الواجبات أصبحت تؤدي الواجبات كعادات وليست عبادات، فكانت تجد في الإرجاء تفسيراً مريحاً سهلاً يبرر لها تراجعها وتقصيرها.

المطلب الثاني: واقع المسلمين اليوم في بروز مظاهر الشرك والبدع والخرافات.

إن الناظر في واقع المسلمين اليوم يرى كثيراً من صور الشرك وتعدد مظاهره واختلاف أشكاله ولقد ظهر الشرك في كثير من القرى والمدن الإسلامية فنرى القباب قد شيدت على الأضرحة وبنيت المساجد على القبور وحكموا بغير شرع الله تعالى وغير ذلك.

ولسنا هنا في مقام الرد عليهم أو نقض شبههم فقد تولى ذلك علماء أجلاء من علماء أهل السنة والجماعة في مؤلفات ضخمة من أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ وغيرهم من العلماء.[3]

1انظر ابن تيمية، توحيد الإلوهية، (٣٩٤/٧و٥٠٧). وأبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص(٢٢١). علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثارهما في حياة الأمة، ص(٤٣).

2انظر علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثارهما في حياة الأمة، ص(٧٦و ٧٧).

3من أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المماكة العربية السعودية، وكتاب كشف الشبهات، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة

وقد حذر نبي الهدى والرحمة من كل السبل المؤدية إلى الشرك في كثير من الأحاديث، والواقع أن ما حذر منه وقع وتجلى في واقع المسلمين اليوم، وسوف نشير فيما يلي إلى بعض تلك المظاهر.

المظهر الأول: ما يقع عند القبور من مظاهر الشرك وفيه العديد من التجاوزات فمنها.

أولاً: من الاستغاثة بهم،[1] وطلب شفاء المرضى، والنصر على الأعداء، ونحو ذلك، وهذا كله من الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية **قال تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[2]

والنسك هو العبادة ومنها الذبح كما **قال تعالى:** ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[3]

وإن جميع المدعوين من دونه من أنبياء أو ملائكة أو أولياء، أو جن أو أصنام لا يملكون لداعبهم نفعا ولا ضرا، وأن دعوتهم من دون الله شرك وكفر.[4]

ثانياً: ومن البدع ووسائل الشرك والغلو في أهلها،[5] ما يفعل عند القبور من الصلاة والقراءة عندها، وبناء المساجد عليها، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لَعْنَةُ اللَّهِ على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا).[1]

العربية السعودية الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ)، وعبد العزيز بن باز، في فتاوى مهمة لعموم الأمة، سفر الحوالي، في ظاهرة الإرخاء في الفكر الإسلامي، وغيرهم من علماء أهل السنة والجماعة.

١انظر سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي، النجدي، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، ص(٥٦٠)، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الخامسة، (١٤١٤هـ/١٩٩٢م)، وكشف غياهب الظلام عن أوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب، له أيضاً،، أضواء السلف، الطبعة الأولى. تحقيق: شعبي الارنؤوط، وعادل مرشد، إشراف: عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ/٢٠٠١). وعبد الله بن عبد العزيز الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي، الطبعة: الثانية. أبي عبد الله شمس الدين بن محمد الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية، دار الصميعي، الطبعة الأولى.(١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٢سورة الأنعام آية، (١٦٢).

٣ سورة الكوثر آية، (٢،١).

٤ انظر عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، ص (١٢/٩) تجميع وطباعة محمد بن عبد العزيز الشايع، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ /١٩٩٥م).

٥ انظر محمد بن أحمد عبد السلام الشقير الحوامدي، السنن المبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، (١١٠ إلى ١١٤)، تصحيح: محمد خليل هراس، دار الفكر، ومحمد خليل الهراس، الحركة الوهابية، ص(٢٥)، المحقق: أحمد بن عبد العزيز التويجري، دار السنة، الطبعة: الأولى (١٤٢٨هـ)، محمد ناصر الألباني، تحذير الساجد من أتخاذ القبور مساجد، المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة.

وقد كره مالك وغيره أن يقول الرجل" زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن هذا اللفظ لم يرد والأحاديث المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة بل كذب وهذا اللفظ صار مشتركا في عرف المتأخرين".[٢] وما كره مالك ذلك إلا من باب سد الذرائع والاحتياط الشديد من الوقوع في الشرك بكل أنواعه. والزيارة نوعان فمنها ما هو بدعي ومنها ما هو شرعي.

الأول: الزيارة البدعية: التي في معنى الشرك كالذي يزور القبر ليسأل صاحب القبر أو يسأل الله به أو يسأل الله عنده وهذا ليس خاصاً بالرسول بل بأي صاحب قبر عظموه.

ثانياً: الزيارة الشرعية: هي أن يزوره لله تعالى للدعاء له والسلام عليه كما يصلي على جنازته وهي التي حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ولتذكر الآخرة، فهذا الثاني هو المشروع ولكن كثيرا من الناس لا يقصد بالزيارة إلا المعنى الأول فكره مالك أن يقول زرت قبره لما فيه من إيهام المعنى الفاسد الذين يقصده أهل البدع والشرك.

المظهر الثاني: ما يقع فيه الكثير من الحلف بغير الله وما يكون فيه من الشرك.

ومن الحلف بغير الله تعالى[٣]: الحلف بالأنبياء، أو حياة فلان، أو برأس فلان، والحلف بالأمانة والشرف، وغير ذلك كثير من الشائع على بعض ألسن الناس بقصد التعظيم أو بغير قصد التعظيم، وقد قال رسول الله محذرا من ذلك (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).[٤]

---

١ متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح، كتاب: اللباس باب الأكسية والخمائص، ح(٥٤٧٨)، (٢١٩٠/٥).وعند مسلم في الصحيح، كتاب: المساجد ومواقع الصلاة، وباب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، (٣٧٥/١).

٢ ابن تيمية أبو العباس، التوسل والوسيلة، ص(١٥٢).

٣ انظر مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، (١٥٨، ١٥٩)، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ومحمد بن جميل زينو، توجهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، (٣٢إلى ٣٤)، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى (١٤١٨هـ)، عبد العزيز بن محمد السلمان، موارد الظمان لدروس الزمان، الطبعة: الثلثون، (١٤٢٤هـ)، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري، الزواجر عن اقتراف الكبائر، (٣٠٤/٢)، دار الفكر الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٤رواه أبي داود في السنن، كتاب الأيمان باب كراهة الحلف بالآمنة (٢٢٣/٣)، والحاكم، في المستدرك، في كتاب الإيمان والنذر، (٣٣٠/٤) وقال في المستدرك على الصحيحين هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال عنه الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة، (٦٩/٥).

والحلف بغير الله تعالى من الشرك الأصغر وقد يصبح من الشرك الأكبر إذا اعتقد حالفه تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله تعالى، أو انه ينفع أو يضر من دون الله تعالى، وكذلك من قال: ما شاء الله وشاء فلان. أو قال لولا الله وفلان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)[1]

ومنه يعلم أنه من قال: ما شاء الله ثم شاء فلان، أو قال: لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم من فلان، أنه لا حرج عليه في ذلك.

المظهر الثالث: ما يقع من التوكل على غير الله فيما لا يطلب إلا من الله تعالى.

وقد عرف ابن منظور التَّوَكُّل لغة بأنه: إِظْهارُ العَجْزِ والاعْتماد على غيرك"[2]وهو الاعتماد القلبي على الله في جلب المنافع ودفع المضار، والتوكل على الله أمر من أعظم العبادة التي يجب إخلاصها لله **قال تعالى**: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] فإن حقيقة التوكل تعلق القلب بالله وحده وهي من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفي من توكل عليه كما **قال تعالى**: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴿٣﴾ ﴾ [4]

والتوكل على غير الله تعالى.[5] فهو نوعان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على الأموات والغائبين في رجاء تحقيق المطالب من الرزق والنصر والحفظ والشفاعة فهذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفر إلا بالتوبة النصوح.

١رواه أحمد بن حنبل، في المسند،(٣٨٤/٥). وأحمد أبي بكر البيهقي ،في سنن البيهقي الكبرى. كتاب: الجمعة، باب، ما يكره من الكلام في الخطبة، (٢١٣/٣). وابن حيان في الصحيح ح(٥٧٢٥)،(٣٢/١٣).والنسائي في سنن النسائي الكبرى،ح(١٠٨٢٠)، (٥٢٤٤/٦). والحنبلي المقدسي في الأحاديث المختارة ح (١٥٥)(١٤٤/٨) وقال: إسناده صحيح، وقال عنه الألباني: صحيح. في السلسلة الصحيحة.

٢ابن منظور، لسان العرب، (١١ /٧٣٦).

٣سورة المائدة آية، (٢٣).

٤سورة الطلاق آية، (٣).

٥ انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (١٣٥إلى٤٢٨)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). وناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، (٢٨٠)، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

الثاني: التوكل على الأحياء، من ولاة الأمور ونحوهم فيما لهم قدرة عليه من الرزق أو دفع أذى ونحو ذلك، فهذا شرك حتمي في الأسباب العادية الظاهرة، وهو أيضاً نوع شرك أصغر. والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان أخاه في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، ولكن ليس الإعتماد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليه، بل يعتمد على المسبِّب الذي أوجد السبب والمسبب.

وإن التوكل بالقلب من الإيمان ولا يتنافى مع الأخذ بالأسباب ونجد أن من وقع فيه صنفان:

أما الأول: من تعلق قلبه بغير الله في قضاء حوائجه.

وأما الثاني: من نفي الأخذ بالأسباب.

ومن ذلك يتبين أن الصنفين كليهما خطر على عقيدة الواقع فيهما وأنه من طعن في الحركة يعني في السعي والكسب فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته،[1] وهو من الشرك الأصغر وقد يصبح من الشرك الأكبر إذا اعتقد المتوكل تعظيم المتوكل عليه مثل توكله على الله تعالى، أو انه ينفع أو يضر من دون الله تعالى.

المظهر الرابع: ما يقع من التوسل الممنوع ومتى يكون معصية ومتى يكون من الشرك.

إن الناس لا يفرقون بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع،[2] بسبب الجهل وقلة من ينبههم ويرشدهم إلى الحق، ومعلوم أن بينهم فرقا عظيما.

فالتوسل المشروع هو الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وخلق من أجله الثقلين، وهو عبادة الله تعالى ومحبته ومحبة رسوله عليه السلام ومحبة جميع الرسل والمؤمنين والإيمان به وكل ما اخبر الله به ورسوله من البعث والنشور، والجنة والنار، وسائر ما أخبر الله به ورسوله. فهذا كله من التوسل المشروع، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ومحبته، والإيمان به وبجميع الأعمال الصالحة التي شرعها لعباده وجعلها وسيلة

١.انظر زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رحب البغدادي الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (٤٣٧/١)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة (١٤١٧هـ).

٢ انظر تامر محمود متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، (٤٩٨ إلى ٥٠٥)، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى: (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، وعبد الله بن عبد العزيز الجبرين، تسهيل العقيدة الأسلامية، (٤٩٧ إلى ٥١٢)، ومحمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، (٢٧١ إلى ٢٧٨)، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

إلى مرضاته والفوز بجنته، وبتفريج الكرب وتيسير الأمور في الدنيا والآخر كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾[1]

ومن التوسل المشروع التوسل إلى الله بمحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، والإيمان به، وإتباع شريعته لأن هذا من أعظم الأعمال الصالحة، ومن أفضل القربات.

وأما التوسل بجاهه أو بذاته، أو بحقه، أو بجاه غيره من الأنبياء والصالحين أو ذواتهم أو حقهم، فمن البدع التي لا أصل لها بل من الشرك الأصغر وقد تصبح من الشرك الأكبر إذا اعتقد المتوسل تعظيم المتوسل به مثل تعظيم الله تعالى أي أنه يتوسل بأسمائهم معتقداً أن لها مالأسماء الله تعالى من الإجلال، أو أن التوسل بها خير وأفضل في الإجابة من توسله بأسماء الله تعالى. لأن الصحابة . رضي الله عنهم . وهم أعلم الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم وبحقه لم يفعلوا ذلك، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، ولما أجدبوا في عهد عمر . رضي الله عنه . لم يذهبوا إلى قبره ولم يتوسلوا به ولم يدعوا عنده، بل استسقى عمر . رضي الله عنه . بعمه، صلى الله عليه وسلم أي بدعائه فقال وهو على المنبر:

(اللهم إِنَّا كنا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قال فَيُسْقَوْنَ).[2]

ثم أمر العباس أن يدعو فدعا وأمن المسلمون على دعائه فسقاهم الله . عز وحل .[3] وقصة أهل الغار مشهورة وهي ثابتة في الصحيحين.

ومن ذلك يتبين أنه لا يصح أن يقال أسألك بفلان أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك كالذي تقدم أنه منهي عنه وتقدم أيضا أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره.ولو كان يصح ذلك لكان الأولى أن يتوسلوا برسوله.

وقد تبين ما في لفظ التوسل من الاشتراك بين ما كانت طائفة من الصحابة تفعله وبين ما لم يكونوا يفعلونه "فإن لفظ التوسل والتوجه في عرف الصحابة ولغتهم هو: التوسل والتوجه بدعائه وشفاعته ولهذا يجوز أن يتوسل ويتوجه بدعاء كل مؤمن وإن كان بعض الناس من المشايخ المتبوعين يحتج بما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال" إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور" أو "فاستعينوا بأهل

١ سورة الطلاق آية، (٢).

٢أورده البخاري في الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر العباس بن عبد الطلب، ح (٣٥٠٧)، (١٣٦٠/٣).

٣انظر عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحفة الأخوان، ص (١٨،٢٠).

القبور" فهذا الحديث كذب مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة وقد قال وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا".[1]

وقد قالوا كفار قريش إنهم لم يعبدوا الأصنام من باب العبادة وإنما كان ذلك من باب التوسل بها ليقربوهم إلى الله تعالى فقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2] وهذا هو التوسل الممنوع الذي أدى تعظيم المتوسل به إلى حد العبادة.

المظهر الخامس: ما يقع فيه البعض من التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم والتبرك بالأشجار والبقاع وغيرها ومتى يكون معصية ومتى يكون من الشرك.

التبرّك أي: طلب البركة، وهي حصول ا لخير ونماؤه وثبوته وكثرته.٣

فنجد من يتبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم مستدلين بما ثبت من تبرك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالنبي عليه الصلاة والسلام. "ولا يجوز التبرك بأحد غير النبي، لا بوضوئه ولا بشعره، ولا بعرقه، ولا بشي من جسده، بل هذا كله خاص بالنبي، ـ عليه الصلة والسلام ـ لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة.

ولهذا لم يتبرك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بأحد منهم لا في حياته ولا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم، فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص بالنبي، صلى الله عليه وسلم ".[4]

ولا يلزم من جواز الشيء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم جوازه بعد موته "فان بيته كانت الصلاة فيه مشروعة وكان يجوز أن يجعل مسجدا ولما دفن فيه حرم أن يتخذ مسجدا كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا

---

١ أحمد بن تيمية، التوسل والوسيلة، ص(١٥٣). وقد رجعت إلى كتب الحديث فلم أجد هذه الأحاديث.
٢سورة الزمر آية، (٣).
٣صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، أعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (١/١٥٥).
٤انظر عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحفة الأخوان، ص (٣٤/٣٥).

ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا)[1] "[2] وفي صحيح مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن من كان قبلكم كانوا يتخذوا القبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)[3] وقد كان صلى الله عليه وسلم في حياته يصلي خلفه وذلك من أفضل الأعمال ولا يجوز بعد موته أن يصلي الرجل خلف قبره. وكذلك في حياته يطلب منه أن يأمر وأن يفتي وأن يقضي وأن يشفع وأن يدعي ولا يجوز أن يطلب ذلك منه بعد موته وأمثال ذلك كثيرة.

وإن التبرك بريق أحد غير النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يصح باستثناء الرقية بالقرآن حيث إن هذا يُشكل مع ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها – « أن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يقول في الرقية: (بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا)[4]وقد: ذكر بعض العلماء أن هذا مخصوص برسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبأرض المدينة فقط وعلى هذا فلا إشكال.

ولكن رأى الجمهور أن هذا ليس خاصّا برسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بأرض المدينة بل هو عام في كل راق وفي كل أرض ولكنه ليس من باب التبرك بالريق المجردة بل هو ريق مصحوب برقية وتربة للاستشفاء وليس لمجرد التبرك.[5]

وقد نهى العلماء[6] عن التبرك[7] بالأشجار والأحجار معللين ذلك بقولهم: " فهذه الأبواب كلها مؤدّاها الاعتقاد بغير الله سبحانه وتعالى أنه يضر أو ينفع، وهذا شرك، لأن الذي يقدر على دفع الضر وجلب النفع هو الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، هو القادر سبحانه وتعالى على ذلك، لا يشاركه

١متفق عليه: رواه البخاري في الصحيح: كتاب: الجنائز، باب: صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز. ح(١٢٦٥)، (٤٤٦/١).ورواه مسلم في الصحيح: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور...ح(٥٢٩)، (٣٧٦/١).

٢ أحمد بن تيمية، التوسل والوسيلة، ص (١٥٢ /١٥١).

٣ رواه مسلم، في الصحيح كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور.ح(٥٣٢)، (٣٧٧/١).

٤متفق عليه رواه البخاري في الصحيح، كتاب: الطب، باب: الرقي بفاتحة الكتاب، ح(٥٤١٣)، (٢١٦٨/٥). وعند مسلم في الصحيح، كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين، ح (٢١٩٤)، (١٧٢٤/٤).

٥انظر محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمعها ورتبها: فهد بن إبراهيم السليمان، (١٠٨/١). دار الوطن ،الطبعة : الأخيرة (١٤١٣هـ).

٦وقال به أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد، في مختصر معارج القبول، ص(١٣٨). مكتب الكوثر الرياض، الطبعة الخامسة (١٤١٨هـ).

٧ انظر محمد بن عبد الوهاب التميمي، الجواهر المضية، ص(٢٦)، دار العاصمة، الرياض. سلمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، ص(٢١٣)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

أحد، وإن كان هناك أشياء يترتّب على استعمالها أو أكلها أو شُربها ضرر، أو يترتّب عليه نفع؛ فهذه أسباب فقط، أما الذي يخلق ذلك فهو الله سبحانه".[1]

وإن العامة لا تقتصر في التبرك على حد تقف عنده، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ بجهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن حد، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه، وهذا التبرك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله عليه وسلم، بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية فخاف عمر. رضي الله عنه . أن يتمادى الحال في الصلاة إلى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله، فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم.[2]

ومن الملاحظ أن بعض الناس اتخذوا من العبادات نوعًا من التبرك فقط؛ مثل ما يشاهد من أن بعض الناس يمسح الركن اليماني من باب التبرك لا التعبد، وهذا جهل، وقد قال عمر في الحجر: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك).[3]

المظهر السادس: ما يقع فيه البعض من تعلق القلوب بغير الله تعالى.

إن الإنسان إذا يئس من شيء استغنى عنه، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه، فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه ولا يطمع به فلا يبقى قلبه محتاجاً إليه ولا إلى من يفعله له. وأما إذا طمع في أمر من الأمور، رجاه وتعلق قلبه به. وقد قال ابن تيمية . رحمه الله . العبودية في الحقيقة هي:"رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده، ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع   والحر عبد ما طمع.[4]

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول "إياكم والطمع فان الطمع فقر واليأس غنى".[5]

وهذه الأمور نوعان:

١صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، أعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (١/١٥٥).

٢ انظر إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، (٤٨٣،٤٨٤)، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٣متفق عليه رواه البخاري، في الصحيح، كتاب:الحج، باب: ما ذكر في الحجر الأسود، ح(١٥٢٠)، (٢/٥٧٩) .ورواه مسلم في الصحيح، كتاب: الحج، باب: استحباب تقبيل الحجر الأسود، ح(١٢٧٠)، (٢/٩٢٥).

٤ أحمد بن تيمية، العبودية، ص(٥١)، المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة(١٤٢٦هـ/ ٢٠٠م).

٥عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، (١/٨٨)، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، (١٢٧١هـ/١٩٥٢ م).

الأول: ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله، ويرغب إليه فيه، فيكون المال بمنزلة راكبته التي يركبها، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده.

الثاني: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به، فإذا تعلق قلبه به، صار مستعبدا له، وربما صار معتمدا على غير الله في طلبه، فلا يبق معه حقيقة العبادة لله، ولا حقيقة التوكل على الله، بل فيه من العبادة لغير الله، ونوع من تعلق القلب على غير الله.[1]

وقال: رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (تَعِسَ عبد الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إن أُعْطِيَ رضي وَإِنْ لم يُعْطَ لم يَرْض).[2]

وهذا حال من أشرك مع الله تعالى هواه، وما تعلق قلبه به، فصار قلبه مشغولا به وعقله وكل كيانه وصار شغله الشاغل أن يرضي ميل قلبه، وما استهوى القلب واستعبده فهو عبد لذلك الشيء الذي تعلق قلبه بها. فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم المال و اللباس وكل ما تعلق القلب به وكيف يصير الإنسان عبدا له ويشركه مع الله تعالى عندما يكون قلبه قد تعلق بغير الله تعالى، فهو إن طلبه من الله إن أعطاه الله رضي، وإن لم يعطى سخط، فكيف حال من طلبه من غير الله تعالى، فيما لا يقدر عليه إلا الله، من توسل بالصالحين في قبورهم من جلب الرزق، أو إنزال المطر، أو طلب الوظيفة، وشفاء المريض، وطلب الولد، والزواج وغير ذلك كثير لا حصر له.

ولا يقتصر تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والإله لغير الله، وإنه يسمي اليوم بالولي والقبر كما يفعله كثير من المسلمين بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء أطلق عليه ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم.

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين

---

١ انظر ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص(٢٤٠)، تحقيق: ربيع بن هارون المدخلي، الطبعة الأولى: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٤م) ومجموع الفتاوي، (٢٩٤/١)، وابن القيم، الجواب الكافي، ص(١٨١)، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).وعبد المحسن بنحمد العباد البدر، من أخلاق الرسول الكريم، ص(١١)، دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى: (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).وصالح بن عبد العزيز ال الشيخ دروس ألقاها، التمهيد في شرح كتاب التوحيد، ص(١٢٤)، دار التوحيد، الطبعة: الأولى: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢ رواه البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب: ما يتقي من فتنة المال وقوله تعالى "إنما أموالكم." الآية ح(٦٠٧١)، (٢٣٦٤/٥).

في القبور فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله.[1]

فكيف بمن أحب الأنداد اكبر من حب الله وكيف بمن لم يحب الله أصلا ولم يحب إلا الند وحده أياً كان ذلك الند.

ولكي ينجو الإنسان من كل ذلك ينبغي عليه أن يسأل الله تعالى القلب السليم قال صلى الله عليه وسلم: (قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا اعلم وأستغفرك لما لا اعلم يقولها ثلاث مرات.)[2]

فأصل الإيمان في القلب، وبصلاح ما في القلب أو فساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، قال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ)[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[4]

فالقلب السليم "هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته. وقال ابن عباس[5] أن يشهد أن لا إله إلا الله وقال سعيد بن المسيب[6] القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴿١٠﴾

١ انظر محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، تكملة «الصّارم المنكي»، ص(٣٤١). وتحقيق: صالح بن علي المحسن، أبو بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة، الرياض الطبعة: الأولى(١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).

٢ سبق تخريجه في خطر الشرك، رواه أحمد بن حنبل، في المسند (٤٠٣/٤)، و الطبراني، في المعجم الأوسط(١٠/٣)، وذكره ابن كثير (٤٩٦/٢)، وقال عنه أبو محمد المنذري، الترغيب والترهيب، رواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح وأبو علي وثقه ابن حبان.

٣ متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح (٥٢)، (١٢٦/١) مع الفتح، ورواه مسلم في الصحيح: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال، ح(١٥٩٩)، (١٢٢٠/٣).

٤سورة الشعراء آية، (٨٨/٨٩).

٥عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه وقال عمر لو أدرك بن عباس أسناننا ما عشره منا أحد مات سنة ثمان وستين بالطائف، انظر تقريب التهذيب ص (٣٠٩)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى،(١٤٠٦هـ /١٩٨٦م)، ومشاهير الأمصار ص(٩)، والجرح والتعديل (١١٦/٥).

٦سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل وقال بن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علما منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. انظر أبي الفضل أحمد بن حجر، تقريب التهذيب ص(٢٤١)، وأبي الحسن، معرفة الثقات ص(٤٠٥)، والذهبي، تذكرة الحفاظ (٥٤/١).

﴾[1] قال أبو عثمان النيسابور ي[2] هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة.[3] وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه).[4] والمراد باستقامة إيمانه استقامة أعمال جوارحه جوارحه فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب ومعني استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته. فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه ويمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له ولو كان في السموات والأرض إله يؤله سوى الله لفسدت بذلك السموات والأرض كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5]

فعلم بذلك أنه لا صلاح للعالم كله حتى تكون حركات أهلها كلها لله وحركات الجسد تابعة لحركات القلب وإرادته فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله وإن كانت حركة القلب وإراداته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب فجعل الله علامة الصدق في محبته إتباع رسوله فدل على أن المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة.[6] وقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إنا نحب ربنا حبا شديدا فأحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل الله هذه الآية.[7] ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[8]

١سورة البقرة آية، (١٠).

٢سعيد بن أبي سعيد وهو سعيد بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو عثمان النيسابوري قدم بغداد وحدث بها وتوفى أبو عثمان عند انصرافه من الحج في جمادى الأولى سنة تسع وستين وثلاثمائة.انظر أحمد الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (٩ /١١١).

٣انظر ابن كثير، تفسير ابن كثير، (٣٤٠/٣).

٤ رواه أحمد بن حنبل في المسند، ح(١٣٠٧١)، (١٩٨/٣).والطبراني، في المعجم الكبير، ح(١٠٥٥٢)، (٢٢٧/١٠). وقال أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد (٥٣/١). وأحمد وفي إسناده علي بن مسعدة وثقه جماعة وضعفه آخرون، وقال عنه الألباني: حسن، في صحيح الترغيب والترهيب.ح(٢٥٥٤)و ح (٢٨٦٥).وقال عنه صحيح قي السلسلة الصحيحة، (٨٢٢/٦).

٥ سورة الأنبياء آية، (٢٢).

٦ انظر ابن رجب البغدادي الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الحديث الرابع والأربعون، (٧٥/١).

٧انظرمحمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، (٢٣١/٣).

٨سورة آل عمران آية، (٣١).

ومن ذلك نعلم أنه لن نحب الله حتى نحب طاعته. وليس من علامات الحب أن نحب ما يبغضه الحبيب. وكل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره ويجتنب نواهيه فدعواه باطلة. وأنه ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

المظهر السابع: ما يقع فيه البعض من أنواع الشرك الخوف من غير الله ومتى يكون شركاً.

قد عرف ابن منظور الخوف لغة فقال: خَوَّف الرجلَ إذا جعل فيه الخوف، و خَوَّفْتُهُ إذا جعلته بحالة يخافه الناس و خَوَّف الرجلَ جعل الناس يخافونه. وفي التنزيل العزيز: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴿١٧٥﴾ ﴾[1]: أَي يجعلكم تخافون أَولياءه.[2] وقال أبو بكر الرازي: خَافَ يخاف خَوْفا و خِيفَةً و مَخَافةً فهو خَائِفٌ وقوم خُوَّفٌ على الأصل و خُيَّفٌ على اللفظ والأمر منه خف بفتح الخاء.[3]

ومن تعريفاته أيضاً أن الخوف من الله تعالى هو: أن يخاف العبد من أن يعاقبه الله إما في الدنيا أو في الآخرة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[4]

ونص ابن عباس في تفسير الآية "يقول الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه"[5] ومدح الله الملائكة بقوله تعالى: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[6] **وقال تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[7] و **قَالَ تَعَالَىٰ:** **تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[8] فدلت هذه الآيات على أن الخوف من الله تعالى من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه وتمام مشيئته في خلقه، وإن إنكار ذلك إنكار لعبوديته سبحانه.

وللخوف أنواع منه:

١سورة آل عمران آية، (١٧٥).
٢انظر ابن منظور، لسان العرب، (٩/٩٩).
٣انظر أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(٨١).
٤سورة آل عمران آية(١٧٥).
٥ الطبري، تفسير الطبري، (١٨٣/٤).
٦سورة الأنبياء آية، (٢٨).
٧سورة البقرة آية، (٤٠).
٨سورة الرحمن آية، (٤٦).

أولا :خوف السر، وهو الخوف من المقدس أو المعبود، أن يصيبه بما شاء متى يشاء من مرض أو فقر أو موت ونحو ذلك بقدرته ومشيئته.

الثاني: الخوف من الناس، مثل ترك الإقدام على فعل الواجبات الثقيلة كالجهاد، ويعرف ذلك بالجبن.

الثالث: الخوف من وعيد الله الذي توعد به العصاة.

الربع: الخوف الطبيعي، الخوف من سبع أو غرق.وغير ذلك.[1]

ولكل نوع من هذه الأنواع حكم يخصه:

فأما النوع الأول: خوف السر، وهو الذي لا يجوز صرفه لغير الله تعالى فإنه ليس هنالك من يصيب ما شاء متى شاء غير الله تعالى، ونجد في العصر الحاضر من يعتقد في الولي أو صاحب القبر أنه يستطيع أن يعاقب أحدا بما شاء فهم ممن يخاف أولياء الشيطان وقد نهوا عن ذلك، **قال تعالى**: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥** ﴾[2] وعن النبي صلى الله عليه عليه وسلم قال: (أَسْرَفَ رَجُلٌ على نَفْسِهِ فلما حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فقال إذا أنا مُتُّ فاحرقوني ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ أذروني فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا ما عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا قال فَفَعَلُوا ذلك بِهِ فقال لِلْأَرْضِ أدى ما أَخَذْتِ فإذا هو قَائِمٌ فقال له ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ فقال خَشْيَتُكَ يا رَبِّ أو قال مَخَافَتُكَ فَغَفَرَ له بِذَلِكَ).[3]

وأما النوع الثاني: فالخوف من الناس، وهو الذي يجعل الإنسان يترك الإقدام عن فعل الواجبات الثقيلة مثل الجهاد، ويمنعه من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، بسبب الخوف من الناس وإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كان يَتَعَوَّذُ مِنْهُ دُبُرَ الصَّلَاةِ (اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْجُبْنِ)[4]وهو يدل على ضعف الإيمان ومذموم شرعاً.

١انظر أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، (١٠٨٥/٢).
٢آل عمران آية، (١٧٥).
٣ متفق عليه: رواهالبخاري في الصحيح، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٢٦٦)، (١٢٧٢/٣)، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب: النبوة، باب: في سعة رحمة الله..ح(٢٧٥٦)، (٢١١٠/٤).
٤ روه البخاري في الصحيح، كتاب: الجهاد، باب: من طلب الولد للجهاد، ح(٢٦٦٧)، (١٠٣٨/٣).

وأما النوع الثالث: فالخوف من وعيد الله وهذا هو الخوف المطلوب وهو من العبادة **فقال تَعَالَىٰ**:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [١] بشرط عدم القنوط من رحمة الله تعالى.[٢]

وأما النوع الرابع: فالخوف الطبيعي، وهو الخوف من الأسد أومن العدو وغيره فهو لا يخلوا منه حتى الأنبياء **قال تعالى**: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [٣] وكذلك هذا الخوف لابد فيه من التوكل على الله تعالى في الخلاص منه.

الفصل الثاني: الأمثال الواردة في تقرير التوحيد.

وفيه عدة مباحث. وفي كل مبحث عدة أمثال.

وسوف نستعرض تلك الأمثال من خلال المطالب الأتية:

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

من أي اطلاقات كلمة مثل أطلق. ومن أي أنواع القياس هو.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وسوف نتكلم في هذا المطلب عن بيان الممثل به من حيث شرح معاني مفردات المثل ومن أقوال المفسرين للآية أو الحديث.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وسوف نتناول بيان الممثل له من شرح معاني مفردات المثل ومن صورة الممثل به والقياس عليها إن لم يذكر في المفردات ما يختص بالممثل له، ومن أقوال المفسرين للآية أو الحديث.

المطلب الرابع: شرح المثل.

وسوف نبين فيه المراد من المثل بشكل عام والربط بين الممثل به والممثل له وكل ما يتعلق بالمثل.

١سورة الرحمن آية، (٤٦).

٢انظر أبي حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص(٧٢)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، قبرص، الطبعة، الولى: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٣سورة القصص آية، (٢١).

المبحث الأول: الأمثال المضروبة لنفي استواء الموحدين والمشركين.

مقدمة:

ذكر الله تعالى والمؤمنين الموحدين، والكافرين المشركين، وضرب الأمثال لكليهما، ووصف المشركين بالشقاء والمؤمنين الموحدين بالسعادة وبين أنه لا يستوي هذا وذاك في الصفة ولا في الحال ولا في المآل وطلب أن يفرق بينهم كل ذي عقل سليم ويختار من أي الفريقين يكون، وقد ورد ذلك كثيراً في القرآن الكريم والسنة الشريفة. ونذكر منه عدة أمثال وردت في القرآن الكريم، و أمثال وردت في الحديث النبوي الشريف.

وفيما يلي عرض لأهم الأمثال المضروبة لنفي استواء الموحدين والمشركين.

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

المثال الثالث:

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3]

المثال الرابع:

١سورة الزمر آية، (٩٢).
٢سورة هود آية، (٢٤).
٣سورة النحل آية، (٧٥).

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ ﴾[1]

المثال الخامس:

فقال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ من الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ لَا تَزَالُ حتى يَكُونَ انْجِعَافُهَا)[2]

المثال الأول:

قَالَ تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

من حيث التشبيه: هو تشبيه مركب.

وذلك أن كلا من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة[4] من جملة أفراد تعطي في مجموعها الوصف المعتبر والحكم المشترك بين المشبه والمشبه به.

حيث شبهت أعمال المشركين وتخبطهم وحيرتهم في محاولة إرضاء ما أشركوهم بالله وعجزهم عن إرضائهم، بحال العبد الذي يحاول أن يرضي أكثر من سيد. وحال الموحد الذي يملكه سيد واحد.

ومن حيث القياس هو قياس تمثيلي.[5]

١سورة النحل آية، (٧٦).

٢رواه البخاري،في الصحيح، كتاب:المرضى ،باب:ما جاء في كفارة المرض...ح(٥٣١٦).(٢١٣٧/٥).

٣سورة الزمر آية، (٢٩).

٤ انظر أبي القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٨٠/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: (١٤٠٧هـ).

٥ انظر محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، (٢١٦/١) ، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

حيث جعلت صورة الكافر والمشرك بالله تعالى في عبادته غير الله والمحاول كسب رضاه، بحال العبد المملوك لأكثر من شخص في صعوبة رضاهم، وبينما صورت حال الموحد بحال العبد المملوك لشخص واحد.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

توضيح المفردات لبيان صورة الممثل به.

تعريف الشركاء: جمع الشريك وشاركه صار شريكه والاسم الشرك وجمعه أشراك.[1]

متشاكسون: أي يملكه جماعة مختلفون متنازعون سيئة أخلاقهم من قولهم رجل شكس إذا كان سيئ الخلق.[2] ومن تفسيراته أيضاً، الشَّكِس الْعسر لا يرضى بالإنصاف والعدل.[3]

سلما: اختلف القراء في قراءة قوله ورجلا سلما فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة ورجلا سالما وتأولوه بمعنى رجلا خالصا لرجل، وفسرها عبد الله بن عمر[4] رضي الله عنه فقال خالصا لرجل قائما يعني مستسلما لرجل، وقيال: ليس فيه لأحد شيء.وقيل بمعنى: صلحا.[5]

وكما بين الطبري وابن منظور. رحمهما الله . وجه الاختلاف في القراءة والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتان المعنى فبآيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن السلم مصدر من قول القائل: سلم فلان لله سلما بمعنى خلص له خلوصا. وأن السا لم من صفة الرجل وسلم مصدر من ذلك. وقراءة سالماً: أي خالصاً، وقراءة سلماً: أي مُسلمٌ لا منازع له فيه والمعنى: أن من وحد الله مثله مثل السا لم لرجل لا يشركه فيه غيره.[6]

وقال أيضاً ابن حرير: وأما الذي توهمه من رغِب من قراءة ذلك، سلما من أن معناه: صلحا، فلا وجه للصلح في هذا الموضع لأن الذي تقدم من صفة الآخر إنما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه. دون

١انظر أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص (١٤٢).

٢انظر الطبري، في تفسيره (٢١٣/٢٣)، وابن كثير، في تفسيره، (٣/٤).

٣ انظر بدر الدين العيني، عمدة القاري، باب تفسير سورة الزمر، (١٤٢/١٩)، إحياء التراث العربي، بيروت.

٤ عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو بن أربع عشرة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعا للأثر مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. انظر تقريب التهذيب ص (٣١٥)، و الإصابة في تميز الصحابة (١٨١/٤)،و مشاهير الأمصار ص(١٦).

٥انظر الطبري في تفسيره (٢١٣/٢٣).وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠ /٣٢٥٠)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة (١٤١٩ ه). وذكر عند السيوطي، الدر المنثور، (٢٢٥/٧).

٦انظر ابن جرير الطبري، في تفسيره، (٢١٣/٢٣)، وابن منظور، لسان العرب، (٢٩١/٢١).

الخبر عن حربه بشيء من الأشياء. فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد. لا شريك له. ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع.[1]

ومما تقدم يتضح أن الممثل به: هو صورة العبد الذي يملكه أكثر من سيد شركاء متنازعين مختلفين سيئة أخلاقهم، وهم يتنازعون في ذلك الشخص المشترك بينهم، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه.

وصورة العبد الذي لا يملكه إلا سيد واحد وهو مستسلم له وهو خالص له، وليس لأحد غيره فيه شيء.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

لم يرد في ألفاظ المثل شيء مما يتعلق بالممثل له، ويمكن الاستدلال عليها من الممثل به. وذلك أن صورة الممثل به كلها عبارة عن وجه شبه مشترك بين الممثل به والممثل له، ويمكن من خلال التأمل و القياس عليها استخلاص حقيقة الممثل له، وكذلك من خلال أقوال المفسرين لهذه الآية الكريمة. والله المستعان.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال الرجل يعبد آلهة شتى". [2]

ومنهم من فسره بقوله:"شركاء متشاكسون قال هو الكافر والشركاء المتشاكسون هم الشياطين ورجلا سالما لرجل فهو المؤمن يعمل لله". [3]

وقال ابن جرير:"مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطيع جماعة من الشياطين والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد".[1]وقال: أيضاً في ذلك"قوله رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل قال هذا هذا مثل إله الباطل وإله الحق".[2]

---

١ انظر الطبري، في تفسيره ، ج (٢١٣/٢٣و٢١٤).
٢ ابن أبي حاتم، في تفسيره، (٣٢٥٠/١٠)، وورد في الدر المنثور في نفس المعنى (٢٢٤/٧)
٣ الصنعاني، في تفسيره، (١٧٢/٣). وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى،(١٤١٩هـ).

ومن تفسيرها أيضاً[1]"فهذا مثل ضربه الله تعالى لأهل الأوثان ورجلا سلما يعبد إلها واحدا ضرب لنفسه مثلا " [3] ورجلا سلما لرجل "قال هذا المؤمن أخلص لله الدعوة والعبادة". [4]

وقال ابن القيم: ـ رحمه الله ـ" هذا مثل ضربه الله سبحانه، للمشرك والموحد"[5]

ومما تقدم ذكره نقول:

إن صورة الممثل له: هم أهل الأوثان من الكفار والمشركين الذين يعبدون آلهة شتى و يطيعون جماعة الشياطين الذين لا يمكنهم رضاهم أجمعين وصورة المؤمن الموحد الذي أخلص لله الدعوة والعبادة. وصورة رجل في قلبه شركاء متشاكسون وهي شهواته التي تغلي في صدره فقد سبى قلبه أسباب تلك الشهوات، ورجل قد انفرد قلبه للواحد وخلا من جميع الأسباب والشهوات، فهذا مثل للمشرك وما يعبد من آلهة الباطل وهو كل ما أشركه المشركين مع الله سبحانه وتعالى. وللموحد وما يعبد من إله الحق هو الله الواحد الأحد.

المطلب الرابع: شرح المثل.

يذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ قبل ذكر المثل أهمية ضرب الأمثال الواردة في القرآن الكريم وحكمته؛[6] وذلك تمهيداً لما ذُكر فيها من المثل؛ وليجذب الانتباه للتدبّر والتأمّل وأخذ العبرة. وللتذكّر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى.

فهذا مثل ضربه الله سبحانه، للمشرك والموحد.[7] أي ضربه الله تعالى لكم من واقعكم لكي يدركه المشركون فيبتعدوا عن الشرك، ويثبت الموحدون على توحيدهم. فشبههم بصورة العبد الذي يملكه أكثر من مالك وهو يسعى لإرضائهم جميعهم بتنفيذ طلباتهم ولكنهم كلهم سيئو الخلق ليس منهم واحد إلا تلقاه بأسوأ استخدام وذلك نظير ما دفع فيه من ماله لذلك كل واحد منهم له عليه سلطان وله منه مطالب وهم فيما بينهم متشاكسون مختلفون. فهذا مثله مثل من يشركون مع الله تعالى آلهة وجعلوا لها في أعناقهم

١ابن جرير الطبري، في تفسيره، (٢١٣/٢٣).
٢المرجع السابق (٢٣ /٢١٤).
٣ابن أبي حاتم في تفسيره، (٣٢٥٠/١٠).
٤ الدر المنثور، (٢٢٤/٧).
٥ ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٨٤).
٦ قال تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الزمر، آية، (٢٦، ٢٧).
٧انظر ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٨٤).

حقوقا. وبصورة العبد الذي لا يملكه ألا واحد لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته فيكرمه على عمله. وإذا أخطأ عفا له عن زلته، وكل ذلك من رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، هذا مثله مثل الذي يعبد الله وحده لا يشرك معه شيء.

ففي هذا المثل تقرير لتوحيد الربوبية، وذلك بقبح حال من يتلقى أوامره من آلهة متعددة، ومن يتلقى من إله واحد.

وفيهي أيضا تقرير لتوحيد الألوهية، بحسن حال من يعبد إلها واحدا، ممن يعبد يعبد آلهة متفرقة.

وقوله:" هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ " فأي هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقل تعبا ونصبا. [1] كما روى ذلك عن بن عباس وقال ابن كثير مفسرا الآية : "هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ" أي لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا "[2] وقيل هل يستويان مثلا ولم يقل مثلين لأنهما كلاهما ضربا مثلا واحدا فجرى المثل بالتوحيد كما قال جل ثناؤه وجعلنا بن مريم وأمه آية إذ كان معناهما واحدا في الآية.[3]

فالعقل والفطرة تقولان: لابد من رب واحد، يكون التأله له وحده. وفي هذا المثل نقض الشرك، بأنه مما تستقبحه الفطر والعقول السليمة.

وقوله:" ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ " يقول الشكر الكامل والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه.

وقوله" بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ "يقول جل ثناؤه وما يستوي هذا المشترك فيه والذي هو منفرد ملكه لواحد بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله.[4]

وكان هذا المثل ظاهرا واضح الدلالة، قال تعالى: الحمد للّه على إقامة الحجة عليهم، وعلى أن الحمد للّه تعالى لا لغيره، وعلى التوفيق للإسلام والحق، بل أكثر الناس وأكثر أهل مكة والكفار لا يعلمون هذا الفرق ولا يعلمون ما ينتظرهم من العذاب يوم القيامة، فيشركون باللّه غيره، لفرط جهلهم وعدم معرفتهم.

١انظر الطبري في تفسيره، (٢٣ /٢١٤).
٢ابن كثير في تفسيره، (٥٣/٤).
٣ انظر الطبري، في تفسيره، (٢١٥/٢٣).
٤ ابن جرير الطبري، في تفسيره،(٢١٥/٢٣).

من فوائد المثل:

١. يذكر الله تعالى في الآية تباين الأوصاف التي يعرف العقلاء بالبداهة التفاوت بينها ويدع التصريح بالمفاضلة للعقلاء، فهذه القاعدة في القرآن كثيراً ما يذكرها في المقابلة بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك، وبين إلهية الحق وإلهية من سواه.[١]

٢. وفيها وضوح أثر التوحيد والشرك على كل إنسان. وإنهما لا يستويان، فالذي يخضع لسيد واحد ينعم بالراحة والاستقرار، ووضوح الطريق، والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب متوتر، لا يستقر على حال، ولا يرضي واحداً منهم، فضلاً على أن يرضي الجميع.

٣. وفي المثل بيان أن الموحد مرتاح الضمير مطمئن البال، لتعبده لإله واحد يعرف ما يطلبه منه وما يرضيه وما يسخطه منه، فيتجه بكل حاجاته لإله واحد يرجوه ويخافه ويتقي غضبه ويطلب رضاه؛ لأنه وحده هو المالك الخالق الرازق المانع المانح، فلا تصادم عند الموحد بين عقيدته وفطرته كما هو حال المشرك، ولا يعبد ما كتب عليه الهلاك والفناء، إنما يعبد الذي يغير ولا يتغير ولا يلحقه فناء ولا هلاك، لذا نجد المشرك دائمًا مضطربًا في وجهته وغايته ودوافع عمله وسلوكه، ولن يستوي من يعبد الباقي الحي الذي لا يموت وله الكمال المطلق، ومن يعبد الفاني الموصوف بالنقص، والفرق بين النقص والكمال كالفرق بين الشرك والتوحيد.[٢] وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك في جميع الأحوال.

المثل الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ ﴾[٣]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

---

١ انظر محمود عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن، (١٧٧/٢٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤١٨هـ).

٢انظر محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٣٢،١٣٣)، مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٣سورة هود آية، (٢٤/٢١).

فمن تفسيراته أنه"تشبيه تمثيلي أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم". [1]

وهو أيضاً "تشبيه مفرد لا مركب". [2] قاس أمراً من قبيل الفكريات والوجدانيات وهو الممثل له. بأمر آخر محسوس ظاهر وهو الممثل به.

وهو حال الكفار المشرك من دعوتهم إلى الحق. وعدم إتباع نور الهدى، بحال الإنسان الذي فقد حاستي السمع والبصر. وحال المؤمن الموحد الذي سمع صوت الحق، وأبصر نور الهدى. بالإنسان الذي يسمع ويبصر.

المطلب الثاني: بيان الممثل به.

إن كل ألفاظ الآية للمثل وردت لبيان الممثل به والآيات السابقة وسياق الآيات هي التي أظهرت صورة الممثل له.

وإن صورة الممثل به: واضحة وبينة من الألفاظ الواردة في الآية. بحال من حجب عنه نور البصيرة والبصر، وقال ابن جرير الطبري مبين صورته: "كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئا والأصم الذي لا يسمع ". [3] والبصير السميع المنتفع بسمعه وبصره، ونستطيع أن نقسمهم إلى قسمين.

الفريق الأول: كمثل الذي ولد أعمى لا يرى شيئا، والأصم الذي لا يسمع شيئا فهو منطمس أدوات الإدراك الحسي، وبانطماسها تحجب عنه المعرفة بكل أنواعها.

ومثل الفريق الثاني: كمثل البصير شديد البصر حاده، وقوي السمع مرهفه، فهو مدرك لكل ما يجري حوله، فهو سليم أدوات الإدراك الحسي، إذاً هو قادر على اكتساب المعارف بكل أنواعها المفيدة له أو غير المفيدة.

المطلب الثالث: بيان الممثل له.

١محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، (٣٣٤/٤).دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة(١٤١٥هـ).
٢محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، (١٢ / ٤٠).
٣ابن جرير الطبري، في تفسيره، (٢٥/١٢).

لم يرد في ألفاظ المثل مما يتعلق بالممثل له، إلا ما دلت عليه الآيات السابقة، وما ورد عند المفسرين.

فقال ابن عباس مثل الفريقين "كالأعمى والأصم والبصير والسميع قال الأعمى والأصم الكافر والبصير والسميع المؤمن".[1]وكما قال به غيره من المفسرين،[2] هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه وعمي عنه، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به.[3]

وعن قتادة قوله: مثل الفريقين كالأعمى والأصم هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن أما الكافر فأصم عن الحق فلا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا ينتفع به.

و عنه أيضاً قوله : والبصير والسميع أما المؤمن فسمع الحق فانتفع به ووعاه وحفظه.[4]

ومما تقدم يتضح أن صورة الممثل له هي:

الفريق الأول: الذين أشركوا وكفروا وصدوا عن سبيل الله والذين عموا عن رؤية الحق وصموا عن سماعه. وهم الذين لا يفرقوا بين الخالق والمخلوق.

الفريق الثاني: الذين آمنوا ووحدوا الله تعالى وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم ،أي تواضعوا وخشعوا لربهم وسكنت إليه قلوبهم وأنفسهم. وهم الذين يفرقون بين الخالق والمخلوق.

المطلب الرابع: شرح المثل.

ضرب الله تعالى مثلا للمشركين والمؤمنين فقال" **مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ** " أي الذين وصفهم أولا بالشقاء والمؤمنين بالسعادة فأولئك في حالة الصد النفسي والقلبي والفكري عن الهداية الربانية وعن الاستجابة لنداءاتها كالأعمى والأصم في خلقته وهو من جمع بين العمى والصمم، ومن جمع بين البصر والسمع. فهناك تشبيهان: الأول تشبيه حال الكفرة الموصوفين بالتعامي والتصامّ عن آيات اللّه وهم يكرهون الحق كراهة شديدة، بحيث يثقل عليهم سماعه وهم كما يقول أمثالهم: إنني لا أقدر على رؤية فلان، ولا أقدر أن أسمع كلامه. بحال من خلق أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا إشارة والثاني في حالة الاستجابة النفسية والقلبية

1ابن جرير الطبري قي تفسيره، (٢٥/١٢).

2انظر بن كثير، في تفسيره، (٣١٥/٤)، والقرطبي، في تفسيره، (٢١/٩)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م). وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٠٢٠/٦).

3انظر ابن جرير الطبري، في تفسيره، (٢٥/١٢).

4محمد بن إدريس الرازي في تفسيره، (٢٠٢١/٢٠٢٠).

والفكرية للهداية الربانية وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم، بحال من هو كامل البصير والسميع. فهو سليم أدوات الإدراك الحسي فهو مدرك لما يجري حوله وقادر على اكتساب المعارف.

وفي المثل تقرير وجود الله تعالى، وذلك بمجرد رؤية آيات الله الكونية، والإنتفاع بأسماعهم وأبصارهم. وفيه أيضا تقرير لربوبية الله تعالى، وذلك بالتفريق بين الخالق والمخلوق. وفيهي أيضا تقرير توحيد الآلوهية، وذلك بعدم صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تعالى. وفيه تقرير توحيد الأسماء والصفات، وذلك بالتفريق بين أسماء الله تعالى وصفاته الكاملة، وصفات غيره المتصفة بالنقص. وفيه نقض الإلحاد، وذلك بنقض الشرك بجميع أنواعه، وبتقبيح المساواة بينهما.

وقال ابن كثير:"فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا والآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به و **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾**[1] وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يرجع إليه"[2]

ويقول تعالى" **هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا** " أي:" هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس "[3] فإنهما لا يستويان عند الإنسان في واقعه فكذلك الحال من باب أولى أن لا يستويان الكافر والمؤمن عند الله تعالى.

أما قوله تعالى:"**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** "أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء "[4]

أفلا تذكرون يقول الله عز وجل ثناؤه أفلا تعتبرون أيها الناس فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتتراجعون عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن العمى إلى البصيرة، ومن الصمم إلى السمع فالأعمى والأصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة، وفي المعنى اثنان ولذلك قيل هل يستويان مثلا وقيل كالأعمى والأصم، والمعنى كالأعمى الأصم وكذلك قيل والبصير والسميع والمعنى البصير السميع كقول القائل قام الظريف والعاقل وهو ينعت بذلك شخصا واحدا.[5]

١سورة الأنفال آية، (٢٣).
٢ابن كثير في تفسيره، (٢/٤٤٤).
٣ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٢/٢٥).
٤ابن كثير في تفسيره، (٢/٤٤٣).
٥انظر ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٢/٢٥).

ويحتمل أن يكون هناك أربع تشبيهات، بأن يعتبر تشبيه حال كل من الفريقين: الفريق الكافر والفريق المؤمن، بحال اثنين. أي مثل الفريق الكافر كالأعمى، ومثله أيضا كالأصم ومثل الفريق المؤمن كالبصير، ومثله أيضا كالسميع.بدليل العطف ليتأمل العاقل كل تشبيه وحده. ومن الإيجاز في الآية عطفه هذه الصفات المتقابلة للفرقين، وتركه للسامع والقارئ التفريق بين ما لكل منهما من التشبيهين.

والراجح أنه ليس أربع تشبيهات بل تشبيهان ويدل على ذلك قوله هل يستويان ولم يقل هل يستوون. وهو ما رجحه ابن جرير الطبري وغيره.[1]

من فوائد المثل:

١. لفت عقول المخاطبين إلى المقارنة بين الفريقين، ونتيجة المقارنة مسلمة عندهم.
٢. نفي التسوية بين الفريقين، وجعل النفس تميل إلى الفريق الأول وتنفر من الفريق الآخر. فشبه حالهم مع ما أنزل الله تعالى من الوحي الذي فيه حياة قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم فهو سميع للهدى بصير له، والمشرك أعمى لا يبصر الهدى واصم لا يسمعه. فأخبر اللّه تعالى أنهم لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع القلب وبصره اللذين بهما تنال حقائق المسموعات والمبصرات.[2]
٣. إثبات البصر والسمع للقلب: وذلك موجود في كتب اللغة فقد قال ابن منظور: "البصر نفاذ في القلب و بصر القلب نظره وخاطره و البصيرة عقيدة القلب قال الليث البصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر وقيل البصيرة الفطنة تقول العرب أعمى الله بصائره أي فطنه".[3] وقد أثبتوا علماء الدين تلك الصفات للقلب.[4]

---

١ انظر المرجع السابق، والبغوي، في تفسيره، (١٧٠/٤)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠هـ).

٢ انظر محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٨٠). عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،(٢٠٩/٢)،مكتبة وهبة، الطبعة، الأولى: (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة، (٤٩/١٢)، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، (١٤١٨ه).

٣ابن منظور، لسان العرب، (٦٥/٤).

٤ انظر أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإبانة، ص(٦١)، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة: الأولى: (١٣٩٧هـ). وأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص(٦٢)، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). وابن القيم، مدارج السالكين، (٢٥٣/١)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤١٦ه/ ١٩٩٦م)..

٤. إقرار المخاطبين بالمثل، بأن تحقق وصف الكمال أكمل ممن تحقق فيه وصف النقص. ويظهر من قوله هل يستويان مثلا.

المثل الثالث:

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾[1]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال النموذجية، حيث جعلت نتيجة المقارنة بين المثلين. العبد المملوك، ومن رزقه الله تعالى الرزق الحسن. أنموذجاً منصوباً أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه ويعتبر به فيسوي بين المتماثلات في الأحكام ويفرق بين المختلفات.

نوع القياس:

قال ابن القيم. رحمه الله. مبيناً نوع القياس في هذا المثل والمثل الذي ذكره الله. عز وجل. بعده[2]: "وهذان مثلان متضامنان قياسان من قياس العكس، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه.

فإن القياس نوعان: قياس طرد: يقتضي إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه. وقياس عكس: يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه".[1]

١سورة النحل آية، (٧٤).

٢﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾سورة النحل آية، (٧٦).

إذا هذا المثل من القياس الشمولي، ويقوم على التفرقة بين المختلفات.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

صورة الأنموذج المنصوب أمام عقل السامع ليقيس عليه. تناول المثل للصورة المأخوذة من حياتهم الواقعية، حتى يكون العقل على إدراك كامل بحقيقة الموقف الذي ينحاز إليه.

فقال ابن جرير الطبري: "كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فينفقه".[٢]

ودل الكتاب والسنة على:" أن العبد لا يكون مالكاً مالاً بحال وأن ما نسب إلى ملكه إنما هو إضافة اسم ملك إليه لا حقيقة كما يقال للمعلم غِلْمَانُك وللراعي غَنَمُك".[٣]

ومن تفسيراته الموافقة للمعنى "لا يقدر على شيء: أي لا يملك ما بيده وإن كان باقياً معه لأن للسيد انتزاعه منه".[٤]

والصورة الثانية التي قال عنها ابن جرير: " الحر الذي آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا يقول بعلم من الناس وغير علم"وقال به غيره.[٥]

والمراد في تفسير هل يستوون يقول :"هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه وهذا الحر الذي قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف".[٦]

ومن تفسيراته أيضاً: هل يستوون بالجمع "لأن المعنى هل يستوي الأحرار والعبيد فالمراد الشيوع في الجنس لا التخصيص".[٧]

ومما تقدم يتضح أن صورة الممثل له هي العبد الذي لا يملك شياً ليتصرف فيه كيف يريد بل هو وماله ملك لسيده والحر الذي يملك نفسه وآتاه الله مالاً فهو ينفق منه سراً وجهراً بما ينفعه وكيفما يشاء.

١ابن القيم، أمثال القرآن ، ص(٤٣).
٢ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٤٩/١٤).
٣محمد بن إدريس الشافعي، الأم، (٤٣/٥)، دار المعرفة ، بيروت،(١٤١٠ه/١٩٩٠م)..
٤وبدر الدين العيني،عمدة القاري ،(١٠٠/١٣).
٥ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٩/١٤)وبدر الدين العيني،عمدة القاري ،(١٠٠/١٣).
٦ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٩/١٤).
٧بدر الدين بن محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري (١٠٠/١٣).

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

للمفسرين في المراد بالمضروب له المثل قولان:

الأول: أنه مثل ضربه الله لنفسه ـ تعالى ـ والآلهة التي تعبد من دونه. وقال به ابن تيمية،[1] ومجاهد ـ رحمهم الله ـ وغيرهم.[2]

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر. وقال به من السلف : ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة ـ رحمه الله ـ وغيرهم.[3]

واختار ابن جرير الطبري القول: "أنه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته ومثل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرا ومثل المؤمن الذي وفقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله كالحر الذي بسط له في الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق فغير جائز أن يمثل أفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن".[4]

المطلب الرابع: شرح المثل.

جاءت الآيات السابقة لهذا المثل لتوضح حقيقة المشركين الذين يؤمنون بالباطل ويكفرون بنعم الله عليهم. وأن الله نهى المشركين والجاهلين عن ضرب الأمثال له سبحانه: "أي الأشباه والأشكال إن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة "[5] معللاً بأنه يعلم وهم لا يعلمون فضرب لهم مثلاً يعلمهم به الفرق بين المؤمن والمشرك. ولبيان تفرد الله تعالى بالخلق، والملك، والرزق، والتدبير، ونفي ذلك عن غيره، ففيها تقرير لجميع أنواع التوحيد، وفيها نقض للشرك.

فصور ذلك العبد المملوك : وإنما ذكر المملوك" ليبين الفرق بينه وبين الحر لأن اسم العبد يقع عليهما إذ هما من عباد الله تعالى"[6] هو الذي فقد حريته وأصبح خاضعاً لغيره يتحكم في وقته وجهده فما يجنيه من عمله يحصل عليه سيده .

---

١ انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٦/ ٨٠).
٢انظر الطبري في تفسيره (١٥٠/١٤)، السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥١)، وابن كثير في تفسيره (٥٨٠/٢).
٣انظر المراجع السابقة.
٤ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٥١/١٤).
٥بدر الدين بن محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري، (١٠٠/١٣).
٦المرجع السابق.

وهذه صورة ذلك المشرك والكافر الذي رزقه الله ولكنه لم يعمل ما ينفعه به بصرفه على ما أشركه مع الله تعالى فهو عبد لذلك الشريك.

هل يستوي هذا بمن رزقه الله الرزق الحسن مع الخير الذي عنده وهو السيد المالك لأمره المتصرف في أمر نفسه، فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سراً وجهراً.

وهذه صورة المؤمن الموحد أعطاه الله مالا "رزقا حلالا فعمل فيه بطاعة الله وأخذه بشكر ومعرفة حق الله فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة ".[١]

وقوله الحمد لله يقول: الحمد الكامل والخالص لله دون ما تشركون من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا وحده وذلك لأنه هو المتفضل على خلقه بجميع النعم وهو المستحق للعبادة ، وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول: إنه ما للأوثان من فضل عليهم ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد لله وحده. ولكن أكثر هؤلاء المشركين الذين يعبدونها لا يعلمون ذلك فهم بجهلهم يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد وكل ما يجب صرفه لله وحده دون ما سواه.

من فوائد المثل:

١. إقامة الحجة العقلية على بطلان الشرك والأمر بتوحيد الله تعالى، ولو كان الأمر فقط بالشرع لما كان للأمثال معنى. ولأنه من الأمور التي تعلم بالعقل أن العقول الصحيحة التي لم تغير فطرتها، ولم تفسد بالعقائد الفاسدة، تعلم علما يقينا حسن التوحيد والإخلاص لله، كما تعلم قبح الشرك، وهنا تظهر أهمية ضرب الأمثال الواردة في كتابه الكريم يضرب سبحانه مثلاً للكافر المشرك به والمؤمن الموحّد له؛ ليدلّ على قبح الشرك وشناعته؛ وحسن الإيمان بالله وفضيلته. ويكون ذلك بالسمع والعقل والفطرة السليمة.[٢] وقد قال بذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن نفاة التحسين والتقبيح يجوز عندهم في العقل أن يأمر بالإشراك به وبغيره! وإنما علم قبحه بمجرد النهي عنه! فأي فائدة تبقى في تلك الأمثال والحجج والبراهين الدالة على قبحة في صريح العقل والفطرة؟ وأنه أقبح القبايح وأظلم الظلم؟ وأي شيء يصح في العقل إذا لم يكن فيه علم بقبح الشرك الذاتي، وأن

١جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (١٥٠/٥).

٢انظر أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر ال سعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص(٣٤٤)، وزارة الشؤن الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى: (١٤٢٢ه). وعماد زهير حافظ، حمد الله ذاته الكريمة في آيات الكتاب الحكيمة، ص(٧٢)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

العلم بقبحه بديهي معلوم بضرورة العقل، وأن الرسل نبهوا الأمم على ما في عقولهم وفطرهم من قبحه.[1]

٢. عدم صحة مساواة من لا يقدر على شيء بمن بيده إنفاق ما يشاء، واتفق مع موضوع المثل الذي يعالج ويبين تفرد الله بالإلوهية وإبطال الشرك، وذلك لنفي استواء الموحد والمشرك.

٣. وصف المشركين بعدم العلم، فلو علموا حقيقة العلم، وعرفوا الله تعالى حق معرفته لم يتجرؤوا على الشرك. قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[2]

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[3]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال النموذجية: حيث جعلت نتيجة المقارنة بين الرجل الذي يتكلم ويدل على الخير والرجل الناقص الأبكم الذي لا يأتي بخير، أنموذجاً أمام عقل السامع ليقيس عليه. وفيه وجهان:

الأول: القياس في هذا المثل من القياس الأولى الشمولي. وهو يختلف عن القياس الشمولي الذي يقوم على دخوله كفرد من أفراده، وإنما باستحقاق ذلك عن طريق الأولى. وهو من قياس العكس القائم على التفرقة بين المختلفات.[4]

وقياس الأولى: كغيره من البراهين العقلية "لا بد أن تبدأ من مقدمات يقر بها المخالف، ينقل منها عن طريق الإلزام إلى الإقرار بما ينكره، على مبدأ المساواة بين المتماثلات، والتفرقة بين المختلفات، وتسرية الحكم إلى المماثل الذي تحقق فيه الوصف المؤثر، وكون الأكمل في الوصف هو الأولى بالحكم".[5]

١انظر ابن القيم، مدارج السالكين، (٢٥٣/١).
٢سورة النحل آية، (٧٤).
٣سورة النحل آية، (٧٦).
٤ كما تقدم ذكره في المثال السابق، ص(١٢).
٥عبد الله الجربوع، الأمثال في القرآن، (١٠٢٢/٣).

الثاني: هو قياس تمثيلي، يقوم على تشبيه حال المؤمن والكافر بحال العبد الأبكم، والآخر المتكلم الذي أمر بالخير وينهي عن الشر.

وهو تشبيه مركب كما سيتم بيانه في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

صورة الأنموذج المنصوب أمام عقل السامع ليقيس عليه، تناول المثل لصورة من حياتهم الواقعية، حتى يدرك العقل الصحيح إلى أي الفرقين يختار أن ينضم إليه.

فقال ابن جرير الطبري: "كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء فهو كل على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم،أينما يوجهه لا يأت بخير يقول: حيثما يوجهه لا يأت بخير لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد فهو لا يفهم ولا يفهم عنه".[1]

وقال أيضاً :"ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو إليه"[2] وكذلك قال به ابن تيمية . رحمه الله . "بين الأبكم العاجز وبين الآمر بالعدل الذي هو على صراط مستقيم". [3]

ومن تفسيراته "الأبكم الذي ولد أخرس فهو أخص من مطلق الأخرس"[4] وفي القاموس: "البكم محرك الخرس كالبكامة أو مع عيّ وبله أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر وبكم كفرح فهو أبكم وبكيم والجمع بكم، وبكم ككرم امتنع عن الكلام تعمدا".[5]

ومن تعريفاته :"الأبكم من ولد أخرس فكل أبكم أخرس ولا عكس والأبكم من له نطق ولا يعقل الجواب".[6]

وعلى هذا يتميز عن الأخرس بأنه لا يفهم ولا يفهم أما الأخرس فيفهم بالسماع أو بالإشارة ويفهم بالإشارة.

١ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٥٠/١٤).
٢ المصدر السابق.
٣ابن تيمية ،توحيد الإلوهية، (٨٨/٣).
٤محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٣٣٨/٥).
٥محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص(١٣٩٧).
٦محمد عبد الرءوف المناوي، التعاريف، ص(٣٠).

(كَلٌّ) : ثقيل على من يلي أمره ويعوله[1] وفي القاموس وغيره:"مصدر كل يكل من باب تعب كلّا وكلة وكلالة وكلولا وكلالة وكلولة تعب وأعيا والضعيف والذي لا ولد له ولا والد وقفا السكين أو السيف والوكيل والصنم والمصيبة تحدث والعيّل والعيال والثقل ويطلق الكلّ على الواحد وغيره وبعضهم يجمع المذكر والمؤنث على كلول".[2]

ومن تفسيراته: وهو المطبق الذي لا ينطق ولا يسمع. وهو كَلٌّ على مولاه أي: على وليه. هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بالعدل وَهُوَ على صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ أي: هل يستوي القادر التام التمييز، والعاجز الذي لا يسمع ولا يتكلم ولا يأتي بخير؟ فهما لا يستويان عندكم لاختلاف أحوالهما فمن باب أولى عدم تساوي إله الحق بآلهة الباطل.[3]

ومما سبق ذكره يتبين أن صورة الممثل به هي صوره الأبكم الذي ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم منه، وصورة من هو ناطق متكلم يفهم ويفهم منه ويأمر بالحق ويدعو إليه.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

للمفسرين في المراد بالمضروب له المثل قولان:

الأول: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر أي الموحد والمشرك.

وقال به من السلف: ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره.[4]

الثاني: أنه مثل ضربه الله لنفسه تعالى ـ والآلهة التي تعبد من دونه. وقال به مجاهد و ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ وغيرهما.[5]

ورجح ابن جرير القول الثاني معللاً ذلك بقوله" فإنه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الأبكم الذي لا يقدر على شيء والكفار لا شك أن منهم من له الأموال الكثيرة ومن يضر أحيانا الضر العظيم بفساده

١محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٣٣٨/٥)

٢محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص(١٣٦١)،والرازي، في مختار الصحاح، ص(٢٤٠)، وابن منظور، في لسان العرب، (٥٩٤/١١).

٣انظر أبو محمد مكي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية،(٤٠٥٠/٦)، تحقيق مجموع رسائل جامعية،إشراف:الشاهد أبو شيخي، جامعة الشارقة،الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

٤ انظر: الطبري في تفسيره(١٤/ ١٥١،١٥٠)، وابن كثير في تفسيره، (٥٨٠/٢)،البغوي في تفسيره (٨٩/٣).

٥انظر: المصادر السابقة ،وابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية، ص(١٠٢)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار الكتب، الإسلامية.

فغير كائن ما لا يقدر على شيء، كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة .فإذا كان ذلك كذلك كان أولى المعاني به تمثيل ما لا يقدر على شيء كما قال تعالى ذكره بمثله ما لا يقدر على شيء وذلك الوثن الذي لا يقدر على شيء بالأبكم الكل على مولاه الذي لا يقدر على شيء كما قال ووصف".[١]

ويتضح مما سبق أن الراجح هو ما رجحه ابن جرير: وأن اعتبار المراد بالمثل المؤمن والكافر أو المشرك، هو خروج من كون المثل حجة على المشركين إلى كونه خبراً لا يسلم به الكافر ويسلم به المؤمن فقط.

ولأن الكفار لا يقرون بذلك وينكرون أن تكون حالهم وهم كفار مثل الأبكم الذي لا يقدر على شيء ويستدلون بحالهم وحال أغلب المسلمين في مكة حيث إن غالب الأموال والزعامة بأيدي المشركين، والغالب على المسلمين الضعف والفقر والرق.

المطلب الرابع: شرح المثل.

هذا المثل هو حجة يبينها الله تعالى لإبطال الشرك وأن التسوية بين صفات الكامل والنقص غير صحيحة في دلالة العقول مع الدلالة السمعية. ودلالة القرآن بضرب الأمثال تشملهما الشرعية والعقلية. فهي شرعية: لأن الشارع دل عليها، وعقلية: لأنها تُعلم صحتها بالعقل. ولا يقال إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر. وكماله يكون فطرياً في حق من سلمت فطرته.[٢] وبذلك يبطل ما يزعمه المشركون من التسوية بين الله تعالى والأصنام حيث جعلوها آلهة مع الله تعالى عن ذلك.

وقد ضرب الله تعالى ذلك مثلاً لنفسه. وفيه تقرير لتوحيد الربوبية فهو سبحانه عالم عادل قادر يأمر بالعدل.[٣] وتضمن المثل ذكر حال رجلين أحدهما: أبكم لا يقدر على شيء، وهو عالة على من حوله، والآخر: متكلم عادل مستقيم.كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ "فعاب الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء إذ كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقص فالنطق والقدرة صفة كمال"[٤] والمراد لفت عقول المخاطبين إلى المقارنة بينهم، للوصول إلى القطع بعدم استوائهما، وأن تحقق الوصف الكامل في الله تعالى من باب أولى بهذا الحكم لأن الفرق بينه وبين تلك الأصنام أعظم مما بين المخلوقين ممن ذكرت أوصافهم.

١الطبري في تفسيره، (١٥١/١٤).
٢ انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (٦/ ٧١، ٧٣).
٣ انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (١٠/ ١١٥، ١١٦).
٤ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، ص(١٠٢).

من فوائد المثل:

١. إن الأمثلة في باب التوحيد ذكرها الله تعالى ليبين للعالمين قبح الشرك، وأن الإنسان العاقل إنما يلجأ إلى من يتصف بصفة الكمال ليعبده وينفر ممن أتصف بصفات النقص.
٢. بيان أن المراد من المثل هو: إقامة حجة لإثبات تفرد الله بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة، وبطلان الشرك، وعدم صحة المساواة بينه وبين الأصنام أو غيرها من المخلوقات في الألوهية.
٣. بيان أن أقوال أهل العلم تدور في تفسير هذا المثل على أنه يدل على إلزام المشركين ببطلان التسوية بين الله المتصف بالكمال والغنى والقدرة التامة، وبين الأصنام ونحوها المتصفة بالنقص والعجز، في الألوهية واستحقاق العبادة.[1]

المثال الخامس:

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم كلاً من المؤمن والمشرك ومثل لحال كل منها وبين أنه لا يستوي المؤمن والمشرك في صفة ولا حالاً ولا مالاً.

فقال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ من الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ لَا تَزَالُ حتى يَكُونَ انْجِعَافُهَا)[2] وورد المثل في موضع آخر بلفظ الكافر بدل المنافق فقال عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ من حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فإذا سَكَنَتْ اعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حتى يَقْصِمَهَا الله إذا شَاءَ)[3] وورد المثل في موضع آخر بلفظ سنبلة بدل لفظ خامة الزرع قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّنْبُلَةِ مَرَّةً تَسْتَقِيمُ وَمَرَّةً تَمِيلُ وَتَعْتَدِلُ وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الأُرْزَةِ مُسْتَقِيمَةً لاَ يُشْعَرُ بها حتى تَخِرَّ)[4]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

١انظر محمد أحمد الملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (١٢٢). و محممود بن أحمد الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين لدين الإسلام، (٤٥١/١).
٢رواه البخاري،في الصحيح، كتاب:المرضى ،باب:ما جاء في كفارة المرض...ح(٥٣١٦).(٢١٣٧/٥).
٣رواه البخاري ،في الصحيح، كتاب:التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة...ح(٧٠٢٨)،(٢٧١٦/٦).
٤رواه أحمد بن حنبل، في مسنده،ح(١٥٢٨٢)، (٣٩٤/٣)،وعبد بن حميد، في مسنده ح(١٠١٠)، ص(٣١١)، ورواه الشهاب، في مسنده،ح(١٣٦٠)، (٢٨٠/٢) وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٣/٥)، صحيح.

نوع المثل من جهة القياس: هو قياس تمثيلي، يقوم على تشبيه حال المؤمن عندما يصيبه البلاء بحال خامة الزرع عندما يهزها الريح، وحال الكافر كحال الأرزة حين يصيبها الريح فيقسمها.

ونوعه من حيث التشبيه: هو تمثيل مركب.

وذلك أن كلاً من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة من جملة أفراد تعطي في مجموعها الوصف المعتبر.

حيث شبهت أحوال المؤمن مع ما يصيبه من المصائب والفتن وكذلك الكافر بحال خامة الزرعة والأرزة وما يصيبها من الرياح.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

إن ألفاظ المثل وردت مبينة للممثل به وبعض من صورة الممثل له. وسوف نبدأ بدراسة الألفاظ الموضحة للممثل به.

قال ابن منظور وغيره الخامةُ من الزرع: أي الخامات من النبات: وهي أول ما ينبت منه ويكون غضاً أو رطباً أو لينة أو ضعيفاً.[1] سوا قيل ضعيفة أو قيل رطبة أو غضة فالمعنى متقارب كله.

السُّنْبُلة: "الزَّرْعة المائلة".[2] وهي سنابل الزرع من البر والشعير والذرة الواحدة سنبلة.[3] وقد سَنْبَلَ الزرع خرج سنبله.[4]

وفي قوله تُفيئها: أي تُميلها كذا وكذا، حتى ترجع من جانب إلى جانب.[5] وكذلك قال ابن منظور :الفَيْءِ وهو الرُّجوع.[6]

تكفئها أي تقلبها وتحولها.[1] التَّكفِّي: التَّمايُلُ إلى قُدَّام.[2] وأصْل الوَكْف في اللغة المَيْل.[3]

١انظر ابن منظور، لسان العرب، (١٩٢/١٢).ابن حجر العسقلاني، في مقدمة فتح الباري (١١٥/١)، ابن الأثير، جامع الأصول، (٢٧٢/١)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى.

٢ابن منظور، لسان العرب، (١١/ ٣٢١).

٣انظر المصدر السابق، (٣٤٨/١١).

٤أبو بكر الرازي، مختار الصحاح ص(١٢٠).

٥ابن الأثير، جامع الأصول، (٢٧٢/١)،

٦ابن منظور، لسان العرب، (١٢٦/١).

كالأَرَزَةِ: بفتح الراء: شجرةُ الأرزِن، وهو خشب معروف، وبسكونها: شجرة الصنوبر.[٤]

صماء: الصماء المكتنزة، التي لا تخلخل فيها.[٥] وقيل هو المصمت أو الشيء الذي لا ينثني.[٦]

يقصِمُها: القَصْمُ: الكسر، يقال: قَصَمْتُ الشيء قَصمًا: كسرته حتى يبين وينفصل.[٧] وقال ابن منظور: قَسِيم هذا أَي شَطْرُه.[٨]

إنجعافُها: الإنجعاف: الانقلاع، وهو مطاوع: جعَفْتُ الشيء: إذا قلعته.[٩]
ومن تفسيراته: الجَعْفُ: شِدَّةُ الصَّرْعِ. و جَعَفَ الشيء جَعْفَاً: قَلَبَهُ. و جَعَفَ الشيء والشجرة يَجْعَفُها جَعْفاً فانْجَعَفَتْ: قَلَعَها.[١٠]

ومما سبق يتبين أن صورة الممثل به هي أول ما ينبت من النبات ويكون غضاً و رطباً وليناً و ضعيفاً، أو بالسنبلة الزَّرْعة المائلة وهي سنابل الزرع من البر والشعير والذرة، عندما تتعرض إلى الرياح تُميلها كذا وكذا، حتى ترجع من جانب إلى جانب فيزيدها ذلك نمواً. وحال الأرز، التي لا تخلخل فيها و المصمت التي لا تنثني، وعند تعرضها إلى الريح يكون انقلاعها.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

لم يرد في ألفاظ المثل مما يتعلق بالممثل له إلا قوله في بداية المثل :"مثل المؤمن" وقوله في ختام المثل:" وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ"وقوله"ومثل الكافر" أما بقية حال الممثل له فلم تذكر اكتفاء بدلالة الممثل به عليها، وترك الأمر للسامع للاستدلال عليها.

البلاء: و بَلاَهُ جربه واختبره، وحسن البلاء النعمة والاختبار بالخير ليتبين الشكر وبالشر ليظهر الصبر.[١]

١بدر الدين بن أحمد العيني، عمدة القاري، (١٤٦/٢٥).
٢ابن منظور، لسان العرب،(١٤١/١).
٣المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر،(٢١٩/٥).
٤ انظر ابن الأثير، جامع الأصول، (٢٧٢/١)، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثر، (٣٨/١)، الرازي، مختار الصحاح، ص (٦).
٥ابن الأثير، جامع الأصول،(٢٧٣/١).
٦انظر الرازي، مختار الصحاح، ص (١٥٥)
٧ابن الأثير، جامع الأصول، (٢٧٣/١).
٨ ابن منظور، لسان العرب، (١٢/ ٤٧١).
٩ابن الأثير، جامع الأصول، (٢٧٣/١).
١٠ابن منظور، لسان العرب، (٢٧/٩).

ومما سبق يتبين أن المؤمن كثير الآلام في بدنه وأهله وماله وذا مكفر لسيئاته رافع لدرجاته والكافر قليلها وإن حل به شيء لم يكفر بل يأتي بها تامة يوم القيام.

المطلب الرابع: شرح المثل.

أن من كمُل توحيد الله في قلبه. هانت عليه المصائب، لعلمه أنها من الله تعالى، وكل ما يصيبه من الله فهو خير له. والفرق بين الموحد وغيره عند نزول المصائب والبلاء يكون بقدر ماوقر في قلبه من الإيمان وتوحيده لله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته. فيظهر في مدى صبره عليها، وذلك هو توحيد القصد والطلب. ويظهر يقينه عندها، وعلمه بأن الله قدرها. فيسكن قلبه ويسلم. ويكون ذلك سبب في زيادة إيمانه. وأما الكافر فيجزع ويتسخط عند نزول المصائب والبلاء به، ومن ليس عنده إيمان فإن نفسه تتغلب عليه وتجنح إلى المحرمات. فتكون سبب هلاكه. ولذلك شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنبات الغض وهو أول ما ينبت على ساق أو الطاقة من الزرع وما لان وضعف من الزرع الغض أو السنبلة من حيث أتتها الريح كفتها أي أمالتها وفي رواية كفأتها وفي رواية تفيئها الرياح أي تحركها وتميلها يمنة ويسرة "وأصل التفيئة إلقاء الفيء على الشيء وهو الظل فالريح إذا أمالتها إلى جانب ألقت ظلها عليه "[2]الفَيْءُ أيضا "ما بعد الزوال من الظل سمي فيئا لرجوعه من جانب إلى جانب "[3]فإذا سكنت الريح اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء فالمؤمن لا يخلو من بلاء يصيبه فهو يميله تارة كذا وتارة كذا وهو مثل السنبلة تميل أحيانا وتقوم أحيانا أي هو كثير الإسقام في بدنه وماله . ويصاب بالمرض أو نقص في الأموال أو الأنفس ويخلو من ذلك أحيانا فينعم و به يكون البلاء الحسن وذا مكفر لسيئاته رافع لدرجاته وسئل النبي صلى الله عليه وسلم (أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فإذا كان الرجل صلب الدين يبتلى الرجل على قدر دينه فمن ثخن دينه ثخن بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه)[4] والكافر قليلها وإن

١انظر ابن منظور، لسان العرب، (١٦٣/٨)، والجزري،في النهاية في غربي الأثر، (١٥٥/١)، و الرازي، مختار الصحاح، ص(٢٦).

٢عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٥١٣/٥).

٣الرازي، مختار الصحاح، ص(٢١٦).

٤رواه أحمد بن حنبل في مسنده، ح(١٤٨٠)، (١٧٢/١)، والنسائي، في سننه، ح(٧٤٨١)، (٣٥٢/٤)، والحاكم النيسابوري، في المستدرك، ح(٢٩٠١)، (١٦١/٧)وقال عنه هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال عنه الألباني، صحيح، في صحيح وضعيف الجامع الصغير، ح(٩٩٣).

حل به شيء لم يكفر بل يأتي بها تامة يوم القيام. ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله تعالى إذا شاء أي في الوقت الذي سبقت إرادته أن يقصمه فيه.

من فوائد المثل:

١. إن ما يصيب المؤمنين بالله ورسوله من مصائب بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في طاعة الله ورسوله. أو للإمتحان. فتكون مكفرة لذنوبه. وقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام. كما لحقهم يوم أحد ويوم حنين، وكذلك ما امتحنوا به من الضراء وأذى الكفار لهم، ليس هو بسبب نفس إيمانهم وإنما امتحنوا به. لينقيهم الله من الذنوب، والنفوس فيها ما هو من مقتضى طبعها فالامتحان يمحص المؤمن من ذلك الذي هو من موجبات طبعه.[1] كما قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2]

وقيل في المصائب:

المرء يصاب مصائب لا تنقضي

حتى يواري جسمه في رمسه[3]

فمؤجل يلقى الردى في غيره

ومعجل يلقى الردى في نفسه[4]

أي يعلم أن القدر قد سبق بذلك قال الله عز وجل ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[5] ثم قال سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[6]

١انظر بن تيمية، توحيد الألوهية، (٣٥٢/٦)، و ابن القيم، شفاء العليل، ص(١٦٥)، ومحمد بن نصر اليماني ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، ص(١٥١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية: (١٩٨٧م).

٢سورة ال عمران آية، (١٥٤).

٣الرمس: هو موضع القبر، وقيل التراب، وقيل تراب القبر، انظر ابن منظور، لسان العرب، (١٠٢/٦).

٤أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، الثبات عند الموت، ص(٢٩)، مؤسسة الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٦هـ).

٥سورة الحديد آية، (٢٢).

٦سورة الحديد آية، (٢٣).

٢. إن الدنيا دار الابتلاء والكرب لا يرجى منها راحة ومما يوضح الأمر في ذلك أنه سبحانه لما قال: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴾[1] عقب ذلك بقوله ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2] وذلك يتضمن أشياء منها تنبيه أمته على أن رسوله الذي شهد له بالرسالة إذا أصابه ما يكره فمن نفسه فما الظن بغيره ومنها أن حجة الله قد قامت عليهم بإرساله فإذا أصابهم سبحانه بما يسوءهم لم يكن ظالما لهم في ذلك لأنه قد أرسل رسوله إليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم وما يجلبها لهم وما فيه مضرتهم وما يجلبها لهم.[3]

٣. بيان ما في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[4] من تبشير وتحذير: وذلك إذ أعلمنا أن المصائب التي تصيبنا في الدنيا عقوبات لذنوبنا، وتبشير: وذلك أن الله تعالى هو أرحم أن يثنى العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه (تُبَايِعُونِي على أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شيئا ولا تَزْنُوا ولا تَسْرِقُوا ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله إلا بِالْحَقِّ فَمَنْ وفي مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ على اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ شيئا من ذلك فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ له).[5]

٤. بيان حال المؤمن مع ما يصيبه من البلاء، من الصبر على ذلك البلاء فهو مأمور به قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[8] وأما منزلة الرضا فقد أجمع العلماء على استحبابه، وذلك لأنه لم يجيء الأمر به كما جاء الأمر بالصبر وإنما على مدح أصحابه، وليس من شرط الرضا ألا يحس ويشعر بالألم، بل ألا يعترض على الحكم ولا يسخطه.[9] قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا

١سورة النساء آية (٧٩).
٢سورة النساء آية (٧٩).
٣انظر أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، الثبات عند الموت، ص(٢٩).
٤سورة الشورى آية، (٣٠).
٥متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الحدود، باب: الحدوم كفارات لأهلها، ح(٦٤٠٢)، (١/٢٤٩٠)، (١/٢٤٩٠)، وروا د مسلم، في الصحيح، كتاب: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها، ح(١٧٠٩)، (٣/ ١٣٣٣).
٦ سورة البقرة آية، (١٥٣).
٧ سورة البقرة آية، (١٥٥).
٨ سورة ال عمران آية، (١٤٢).
٩ انظر ابن القيم، مدارج السالكين، (١٧٣/٢).

ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١] ومن المؤمنين من بلغ منزلة الشكر وهي أعلى المنازل وفوق منزلة الرضا وهو مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه.[٢] قال قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [٣]

خلاصة مبحث: الأمثال المضروبة لنفي استواء الموحدين والمشركين.

إن الغرض من هذه الأمثال هو تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب مع غرض الترغيب والتنفير، والمدح والذم لهما. وذلك لأن هذه الأمثال يخاطب بها الله تعالى أصحاب العقول والفطرة السليمة، فأوضح الله تعالى في هذه الأمثال حال كل من المؤمن والمشرك وصفاتهم ومالهم في كلٍ من الدنيا والآخرة فالمؤمن يوفقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ويستر علية ذنوبه يوم القيامة كما سترها عليه في الدنيا وكما قال الرسول عليه السلام في الحديث القدسي(يُدْنَىَ الْمُؤْمِنُ يوم الْقِيَامَةِ من رَبِّهِ عز وجل حتى يَضَعَ عليه كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فيقول هل تَعْرِفُ فيقول أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ قال فَإِنِّي قد سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لك الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ على رؤوس الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على اللَّهِ).[٤]

فوصف الله تعالى المؤمن الموحد الذي أخلص لله العبادة بمثل العبد المملوك لشخص واحد وهو رحيم بحاله يرأف به يتغاض عن زلته وكذلك المؤمن مع ربه، و حال الموحد الذي سمع الحق وأبصر نور الهدى وأتبعه، بحال كامل حواس الإدراك من السمع والبصر. وكذلك المؤمن الموحد في عبادته لله وحده مثله بحال الحر الذي رزقه الله تعالى الرزق الحسن فهو ينفق منه كيفما يشاء سراً وعلانية ليتقرب بها إلى الله. ووصف حال المؤمن وما يصيبه من البلاء وصبره عليه ورضاه به وبالقضاء والقدر وكيف ذلك يزيد من الرفعة المكانة والثواب في الدنيا والآخرة.[٥]

١ سورة الفجر آية، (٢٧، ٢٨).
٢ انظر ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٢٣٢).
٣ سورة البقرة آية، (١٥٢).
٤متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح، كتاب: المظالم، باب: قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين، ح(٢٣٠٩)، ح(٢٣٠٩)، (٨٦٢/٢). ورواه مسلم في الصحيح ،كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، ح(٢٧٦٨)، (٢١٢٠/٤)،
٥ انظر أبي نعيم أحمد الأصبهاني، حلية الأولياء، (٥٦/٤)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة: (١٤٠٥هـ).

ووصف المشرك الكافر الذي يشرك مع الله غير، بمثل العبد الذي يملكه أكثر من سيد كلهم سيئو الخلق متنازعون فيه كل واحد منهم يريد أن يستعمله بما له من الحق وهو لا يستطيع إرضاءهم جميعهم. والذين كفروا لم يعجزوا الله في الدنيا ولا في الآخرة ووصفهم أنهم لا يعقلون القرآن من شدة انهماكهم في الكفر ولوازمه من الباطل وإتباعهم الشهوات صاروا يكرهون الحق والهدى بحيث يثقل عليهم سماع ما يبينه من الآيات وثقل عليهم فهمه وإبصار ما فيه من الحق وكأنهم فقدوا السمع والبصر فهم خسروا الدنيا والآخرة. وكذلك وصفهم بحال العبد الذي لا يملك من أمره ولا من ماله شياً فهو وماله لسيده. وكذلك وصف حالهم وما يصيبهم من البلاء مثل الأرزة عندما تتعرض إلى الرياح تقتلعها من أساسها، وكذلك البلاء يزيد الكافر في الانغماس في الكفر وعدم رضاه بالقضاء والقدر يتعبه ويخسره الدنيا والآخرة.

والبلاء يصيب المؤمن والكافر، وهو يستعمل في الخير والشر. وأصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان. لأن الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] يقول: اختبرناهم.[2] وكما قال جل ذكره ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[3]

وعندما كان الاهتداء إلى الإيمان أو الانغماس في ظلمات الكفر والشرك بالله تعالى بسبب من الإنسان واختياراً منه وبإرادته فإن الله تعالى يزيد المؤمنين توفيقاً منه إلى الخير، ويترك الكافر والمشرك في شركه. وقال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[4]

فأوضح الله تعالى حال وصفات ومال كلاً من الموحد والكافر المشرك كي يستطيع كل ذي عقل سليم أن يختار من أي الفريقين يكون وإن كان من المشركين فيكون لا احد أظلم لنفسه منه وتكون الحجة قائمة عليه.

المبحث الثاني: الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وأثره القلبي والنفسي.

تمهيد:

١ سورة الأعراف آية، (١٦٨).
٢ انظر الطبري في تفسيره، (٢٧٥/١).
٣ سورة الأنبياء آية، (٣٥).
٤سورة الأنعام آية، (١٢٢).

لاشك أن للتوحيد ثماراً عظيمة وآثاراً ظاهرة يذوق حلاوتها الصادق في توحيده ويحرم منها ذلك الذي لم يعلم حقيقة التوحيد. قال تعالى:﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]

فهذا حال المعرضين عن ذكر الله وحال قلوبهم وما أصابها من قسوة إذ تتلى عليها آيات القرآن الكريم فلا تستجيب ولا تخشع، والحال أن الجبل، وهو جماد ومتصف بالصلابة والثقل، لو خُوطب بكلام الله –عز وجل– بأن كان له مثل ما للإنسان من أسباب التلقي، لكان حاله الخشوع والتصدع من خشية الله تعالى فالكل أمام سلطانه سواء لا إله إلا هو.

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ليكون التأثر بتلك الصورة أشد وأقوى من الأفكار المجردة، كثر ذكر هذا الأسلوب في القرآن الكريم والسنة النبوية ومنها الأمثال الواردة في تقرير التوحيد وأثره القلبي والنفسي.
وفيما يلي عرض لأبرز الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وأثره القلبي والنفسي.

المثال الأول:

قوله تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[2]

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]

المثال الثالث:

---
١ سورة الحشر آية، (٢١).
٢ سورة الرعد آية، (١٧).
٣ سورة النور آية، (٣٥).

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ منها أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بها الناس فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ منها طَائِفَةً أُخْرَى إنما هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ قال أبو عَبْد اللَّهِ قال إِسْحَاقُ وكان منها طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي من الأرض).[1]

المثال الأول:

قَالَ تعَالَى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[2]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل متضمن لذكر مثلين، وهما من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بهما عن طريق القياس التمثيلي.

وبهذين المثلين: شبه أمر معقول: وهو الحق الذي نزل به الوحي لحياة القلوب والأسماع والأبصار، بأمر مشاهد محسوس: وهو الماء النازل من السماء لحياة الأرض بالنباتات. وكذلك مما يوقد عليه في النار من الذهب وغيره وكيف يصبح نقيا لينتفع به الناس، وكذلك الحق والإخلاص كيف ينقيان الشكوك والشرك من قلب المؤمن حتى ينتفع المؤمن بإيمانه في الدنيا والآخرة.

وكل من المشبه به والمشبه له عبارة عن هيئة مركبة، كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي من المطالب.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

---

١ متفق عليه: رواه البخاري في الصحيح، كتاب: العلم باب: فضل من علم وعلم، ح(٧٩)، (٤٢/١).وعند مسلم في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم، ح(٢٢٨٢)، (١٧٨٧/٤).
٢ سورة الرعد آية، (١٧).

لقد بينت الآية صورة الممثل به بوضوح، وهذا المثل مكون مما يلي: الماء النازل من السماء، والأودية، والزبد، وما يوقد عليه في النار، وما ينفع الناس فيمكث في الأرض، ولبيان صورة الممثل به نورد أقوال المفسرين وبيان معاني مفردات الآية.

قال ابن كثير . رحمه الله .:"أنزل من السماء ماء: أي مطرا.

فسالت أودية بقدرها: أي أخذ كل واد بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير وسع بقدره"[1]

ومنهم من فسرها على القول بما قدر لها.[2]

وقوله:"فاحتمل السيل زبدا رابيا قال: ربا فوق الماء".[3]

وقال الطبري . رحمه الله .: "فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء زبدا عاليا فوق السيل".[4]

الزبد هو:" ما ينفيه الماء عن جوهره بالحركة، ويحتمله على سطحه من شوائب تنفخ بالهواء فيربو مظهرها، وتبرق ألوانها، ثم تنفجر وتنطفئ، وتظهر حقيقتها الحقيرة، حينما يقذف بها الماء على شاطئيه".[5]

وقوله مما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية: " الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه".[6]

أو متاع زبد مثله: "مثل الزبد كل شيء يوقد عليه في النار الذهب والفضة والنحاس والحديد فيذهب خبثه ويبقى ما ينفع في أيديهم".٧

وقوله زبد مثله: أي يعلو هذه الأشياء زبد كما يعلو السيل، وما يوقد عليه في النار من الجوهر ومن الذهب والفضة مما ينبث في الأرض من المعادن فقد خالطه التراب، فإنما يوقد عليه ليذوب فيزايله تراب الأرض.٨

---

١ ابن كثير في تفسيره، (٥٠٩/٢).
٢ انظر وهبة بن مصطفي الزحيلي، في التفسير الوسيط (١١٥٨/٢)، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ). وانظر تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٠٥/٩).
٣ الصنعاني، في تفسيره، (٣٣٤/٢).
٤ الطبري في تفسيره، (١٢٤/١٣).
٥ عبد الرحمن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(٤٠٤).
٦ الطبري في تفسيره، (١٣٦/١٣).
٧ المصدر السابق، (١٣٧/١٣).
٨انظر أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،تفسير القرطبي، (٣٠٥/٩).

وقوله: ما ينفع الناس فيمكث في الأرض: أي"وبقي الماء في الأرض فنفع الناس وبقي الحلي الذي صلح من هذا فانتفع الناس به".[1]

ومما تقدم يتضح أن صورة الممثل به هي:

صورة مياه السيول التي تجمعت من الأمطار في الأودية منها الكبيرة ومنها الصغيرة كل بحسب استيعابه وبحسب ما قدره الله تعالى له، وبشدة تدفق السيول يحمل معه ما وجد في المياه من الشوائب، ثم يقذفها إلى الشاطئ، أما الزبد فيذهب ويختفي وأما ما ينفع الناس فيمكث داخل الأرض.

وكذلك صورة ما يوقد عليه من النار من المعادن ما يستخدم للحلي للتزين به من الذهب والفضة وغيرها أو ما يستعمل وينتفع به من آنية وأوعية وغيرها، فهي عندما توضع في النار يحصل لها زبد آخر مثل زبد الماء ينقيه من الشوائب العالقة به ويبقى ما ينتفع به الناس من المعادن الصافية.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

لم يرد في ألفاظ المثل مما يتعلق بالممثل له إلا ما دل عليه **قوله تعالى**:﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾[2] وبقية حال الممثل له يمكن الاستدلال عليه من الممثل به، و أقوال المفسرين للآية.

فعن قتادة قال "مثل ضربه الله للحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء قال يتعلق بالشجر فلا يكون شيئا فهذا مثل الباطل وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض فهذا يخرج النبات وهو مثل الحق".[3]

وقيل هو مثل ضربه الله تعالى للوحي الذي أنزله حياة للقلوب.[4]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قوله: أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها:" فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله".[5]

---

١ الطبري في تفسيره، (١٣٧/١٣).
٢ سورة الرعد آية، (١٧).
٣ عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، (٣٣٤:٣٣٥/٢).
٤ انظر عمر بن سليمان العتيبي، الرسل والرسالات، ص(٣٢)، مكتبة الفلاح ، الكويت، الطبعة الرابعة(١٤١٠هـ الرابعة(١٤١٠هـ /١٩٨٩م).
٥ الطبري في تفسيره، (١٣٥/١٣).

وقال الطبري . رحمه الله .:"كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لأهله"[1]

وقال ابن كثير . رحمه الله .:فسالت أودية بقدرها " إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها".[2]

ومن خلال النصوص السابقة يمكن القول بأن صورة الممثل له هي:

صورة الحق والوحي والدعوة إلى التوحيد الله تعالى والقرآن الذي أنزله من السماء عن طريق رسله لإحياء القلوب. وشبه القلوب وما وعته من العلم وما استفادته من الوحي واليقين بالأودية، فقلب كبير يسع علماً عظيماً، وقلب صغير يسع بحسبه وبقدره. إذا خالط الهدى والعلم ما في القلوب من شبهات وشهوات وشرك ينتزعها من القلب، حتى يتركه سليما صافيا بالتوحيد خاليا من الشرك وبهذا يظهر أثر التوحيد على المؤمن. "كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكرب بها شاربه، وهي من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليذب بها فإنه لا يجامعها ولا يساكنها "[3]، وهكذا يضرب الله الحق والباطل، وأن الباطل لا يبقى وإن ظهر فترة من الزمن.

المطلب الرابع: شرح المثل.

أتى هذا المثل عقب آية قرآنية في بناء العقيدة الصحيحة. من الاعتقاد والإيمان بالله رب السماوات ولأرض، وفي ذلك تقرير لتوحيد الربوبية. وانه الجدير بالعبادة وحده، وذلك تقرير لتوحيد الألوهية. والنهي عن الانحراف والشرك بالله باتخاذ الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، وذلك نقض للشرك، فلا يصح في حكم العقل أن يتساوى الناقص بالكامل، والأعمى والبصير، والظلمات والنور، والخالق، وغير الخالق، وفي ذلك تقرير لتوحيد الأسماء والصفات. فالله خالق كل شيء الواحد القهار كما قال تعالى:
﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ

١ المرجع السابق، (١٣٦/١٣).
٢ ابن كثير في تفسيره، (٥٠٩/٢).
٣ ابن القيم، الأمثال في القرآن، ص(٣٠).

عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] في المثل موقفان متقابلان، للحق واليقين وتوحيد الله تعالى في ثباته وبقائه، وللباطل والشك والشرك في اضمحلال عمله وفنائه.

وتشبيه الحق والوحي الذي به حياة القلوب الذي أنزله الله على الرسول صلى الله عليه وسلم هو التوحيد الخالص الذي لا شوائب فيه من الشرك، بالغيث الذي ينزل من السماء وبه حياة الأرض بالنبات. فالماء الذي ينزل من السماء ماء مصفى مقطر لا شوائب فيه، ويحمل في ذراته خصائص مباركة، وهو قريب عهده بربه، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ [2]

وهذا المثل ضربه الله تعالى للحق والباطل وأثرهما في القلوب كل إنسان، فأنزل الله تعالى القرآن فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك والشرك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين والإخلاص فينفع الله به أهله، فأما الزبد: وهو الشك. فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس: فيمكث في الأرض وهو اليقين.

وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين والإخلاص وأهله ويترك الشك والشرك وأهله. يقول: احتمل السيل ما في الوادي من عوالق غير نافعة. وكذلك مما توقدون عليه في النار: فهو الذهب والفضة من الحلية والمتاع فللنحاس والحديد وغيرها من المعادن التي يوقد عليها في النار خبث وعوالق، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت. فجعل ذاك مثل العمل الصالح الخالص لله تعالى يبقى لأهله والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك الهدى والحق جاءا من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض وكذلك الحديد لا يستطاع أن يعمل منه شي حتى يدخل في النار فتذهب خبثه ويخرج جيده فينتفع به. فكذلك يضمحل الباطل، فإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيزيغ الباطل وأعمال المشركين فيهلكون. وينتفع أهل الحق بالحق فيدخلهم الله تعالى به الجنة فهذا ما مكث وانتفعوا به في الآخرة كما انتفعوا به في الدنيا.[3]

من فوائد المثل:

١ سورة الرعد آية، (١٣).
٢ سورة ق آية، (٩).
٣ انظر ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٣٥/١٣)، وابن كثير، في تفسيره، (٥٠٩/٢).

١. إن الحق مهما توارى زمنا وأُمتحن أهله لا بد وأن يعلو، والباطل مهما ارتفع واغتر أهله به فإنه لا محال زائل، وقد ضرب الله المثل حتى لا ييأس أصحاب الحق ومن أخلصوا العمل لله تعالى. وحتى لا يغتر أصحاب الباطل من المشركين بالله تعالى وغيرهم بباطلهم.[١]

٢. إفادة المثل على حقائق علمية ثابتة في نفسها، وإن لم تكن مسلمه عند كل المشتغلين بتلك العلوم، ومنها دلالة المثل على أن ما ينفع الناس يمكث في الأرض مثل العلوم المفيدة والمعادن وكل ما ينفع الناس.

٣. بيان أن ما ينفع الناس يمكث في الأرض وأما غير النافع وغير الخالص لله تعالى فيمحقه الله. وإن من ظن غير ذلك فإنه ظن غير ما يليق به سبحانه. أي: لأن الذي يليق به سبحانه أنه يظهر الحق على الباطل وينصره، فلا يجوز في عقل ولا شرع أن يظهر الباطل على الحق.[٢] قال تعالى:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾[٣] وقال تعالى:﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[٤] وذلك من أهم أثار التوحيد القلبية والنفسية.

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[٥]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

---

١ انظر أبي حامد الغزالي، فضائح الباطنية، ص(١٩٦)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب، الكويت. ومحمد متولي الشعراوي، في تفسيره، الخواطر، (٢١٥١/٥)، مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧م).

٢ انظر ابن حجر، فتح الباري، (٤٧٤/٨).

٣ سورة الأنبياء آية، (١٨).

٤ سورة الإسراء آية، (٨١).

٥ سورة النور آية، (٣٥).

أن هذا المثل هو من أمثال القياس لأمور عقلية بأمر من الأمور المحسوسة وهو تشبيهي ويتم إيضاح كل من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي.

والممثل به والممثل له: كلاهما عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

وفي هذا المثل شبه نور العلم والإيمان الماثل في قلوب المؤمنين، بأمر محسوس وهو نور المصباح الوارد في الآية الكريمة.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ظهرت صورة الممثل به في الآية في قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ﴾[1] وهذا المثل مكون من المشكاة، والمصباح، والزجاجة التي للمصباح، والذي يوقد المصباح، والنور الذي ينبعث من المصباح. ولإيضاح صورة الممثل به، نوضح أجزاء الممثل به.

ذكر المفسرون وأصحاب اللغة عدة معاني للمشكاة فأطلقت كلمة المشكاة على ثلاث معاني فمنها: المشكاة الكوة غير النافذة.[2] وقيل المشكاة (كوّة أو طاقة) لينبعث النور في اتجاه معين تقتضيه الحاجة،[3] وهي موضع المصباح في الجدار بما يشبه الرف الصغير.

وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل.[4] وقد رجح ابن حرير الطبري هذا القول حين قال: "المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك"[5]

وقبل هي موضع الفتيلة من القنديل،[1] وهو العامود المجوف الذي يوضع فيه الفتيلة، وقد رجح ابن كثير هذا القول بعد أن ذكر الأقوال الأخرى فقال: "والقول الأول أولى وهو أن المشكاة هو موضع الفتيلة من القنديل".[2]

---

١ سورة النور آية، (٣٥).
٢ انظر ابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٥٩٥/٨).وانظر ابن منظور، لسان العرب، (٤٤١/١٤).
٣ وهبة بن مصطفى الزحيلي، تفسير المنير، (٢٤٤/١٨).
٤ انظر ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٤٠/١٨)، وعبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٥٩٥/٨)، وابن منظور، لسان العرب، (٤٤١/١٤).
٥ ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٤٠/١٨).

والظاهر أن جميع المعاني المذكورة متقاربة وتدور حول المكان أو الشيء الذي يوضع فيه المصباح، وإن كان تفسير المشكاة بالكوة أقرب وذلك لأن الإضاءة تكون أكمل لأنه يكون محصوراً وينير كافة جوانبها.وهذا المعنى الذي اختاره ابن القيم حيث قال:" وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلا بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر"[٣]

وقد توافقت أقوال المفسرين في بيان معنى كلمة مصباح: بقوله فيها مصباح وهو: السراج.[٤] وقال ابن منظور: "المصابيح إنما توقد في الظلم".[٥]

ثم قال المصباح في زجاجة: يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل وهو الزجاجة.[٦]وقال ابن كثير:" أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية".[٧]

الكوكب الدري: أي هو الكوكب المضيء.[٨] وقال ابن منظور: من قرأه بغير همزة نسبه إلى الدر في صفائه وحسنه وبياضه والكوكب الدري في أفق السماء أي الشديد الإنارة وهو عند العرب العظيم المقدار.[٩]

وقال ابن منظور: "توقد الشيء تلألأ".[١٠] أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة،[١١]وقال المفسرون إن المراد من الوصف لا شرقية ولا غربية، انه من أجود ما يكون لجودة زيتها، واختلفوا في المواد من كونها لا شرقية ولا غربية على قولين.

القول الأول:

---

١ انظر ابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٥٩٥/٨)، وابن كثير في تفسيره، (٢٩١/٣).
٢ ابن كثير في تفسيره، (٢٩١/٣).
٣ ابن القيم، الوابل الصيب من كلام الطيب، ص(٧٥)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة،(١٩٩٩ م).
٤انظر ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٤٠/١٨). وعبد الرحمن السيوطي، في الدر المنثور، (١٩٨/٦)، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٥٩٥/٨)، وابن كثير في تفسيره، (٢٩١/٣).
٥ ابن منظور في لسان العرب، (٥٠٦/٢).
٦ ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٤٠/١٨). وانظر عبد الرحمن السيوطي، في الدر المنثور، (٢٠٠/٦)، وانظر ابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٥٩٧/٨).
٧ ابن كثير، في تفسيره، (٢٩١/٣).
٨ عبد الرزاق بن هشام الصنعاني، في تفسيره، (٦٠/٣)، وابن أبي حاتم ،في تفسيره، (٢٥٩٨/٨)، وعبد الرحمن السيوطي، في الدر المنثور، (١٩٦/٦).
٩ انظر ابن منظور، لسان العرب، (٢٨٢/٤).
١٠ ابن منظور، لسان العرب، (٤٦٦/٣).
١١ ابن كثير، في تفسيره، (٢٩١/٣).

لا شرقية ولا غربية: أي لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب، وهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت.[1]

القول الثاني:

قال ابن كثير وغيره من المفسرين: إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية.[2]

ورجح ابن جرير الطبري القول بأن الشمس دائما تشرق عليها فقال: "وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال إنها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهي شرقية غربية"[3]

وكذلك فعل ابن كثير حينما رجح هذا القول فبعد أن عرض جميع الأقوال في الآية قال"وأولى هذه الأقوال القول الأول وهو أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تقرعه من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قال غير واحد ممن تقدم ولهذا قال تعالى: يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار".[4]

قال ابن جرير :قوله يكاد زيتها يضيء يقول تعالى: ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول: فكيف إذا مسته النار ".[5]

ومن صفات المصباح الإنارة وهذا المصباح زيته ذو نور لكنه ليس ناتجاً عن إضاءة وإنما ناتج من صفائه وحسنه وانعكاس الضوء الوارد عليه من غيره.

النور المنبعث من المصباح.

ولما كان نور المصباح هو أهم أجزاء المشبه به. قال الله تعالى بعدما أتم أوصاف المصباح: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾.

١ انظر الطبري، في تفسيره، (١٨/ ١٣٧)، وابن كثير في تفسيره، (٢٩٢/٣).
٢ ابن كثير في تفسيره، (٢٩٢/٣)، وانظر ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٤٢/١٨).
٣ ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٤٢/١٨).
٤ ابن كثير، في تفسيره، (٢٩٢/٣).
٥ ابن جرير، في تفسيره، (١٤٣/١٨).

وقال ابن جرير: نور على نور "يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار".[1]وهو "يضيء بعضه بعضاً".[2]أي نور الزيت المستمد من انعكاس غيره عليه، ونور النار المنبعث من نفسه.

وخلاصة القول في الممثل به:

إن صورة الممثل به ظاهرة من الآية وهي صورة لنور المصباح المنبعث منه كأحسن ما يكون من الإشراق والصفاء والشدة والثبات، وذلك لجودة الزيت الذي يوقد منه وكأنه يضيء بنفسه من غير النار، وصفاء الزجاجة التي تحيط بالمصباح فهي تمنع الرياح من التلاعب بنوره، وتجعله ثابت، وهو بفتيلة جيدة و موجود في الكوة التي وضع بها المصباح لذلك كان نوره مضاعفا ثابتا ينير جميع جوانبه.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

هذا المثل مضروب لبيان النور المضاف إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ في المراد بالضمير(الهاء)وفي قوله نوره أربعة أقوال للمفسرين هي:[3]

القول الأول:

مثل نوره: مثل نور المؤمن: أي أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه.

القول الثاني:

مثل نوره: أي أن الضمير عائد على اسم الله تعالى.

القول الثالث:

١ المصدر السابق.
٢ ابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٥٩٤/٨).
٣ انظر الطبري في تفسيره، (١٣٦/١٨)، والبغوي في تفسيره(٤١٥/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره، (٢٥٩٣/٨)، والقرطبي ،في الجامع لأحكام القرآن،(٢٦٠/١٢). وابن كثير ذكر قولين ولم يذكر القول الثالث تفسيره بمحمد عليه السلام.(٢٩١/٣). وإبرهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، (٣٠٧/٤)، مؤسسة سجل العرب، (١٤٠٥هـ).

مثل نوره: نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره.

القول الرابع:

أي مثل نوره مثل محمد: هَذَا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يقول إنه نبي.

وقد رجح ابن جرير القول إن الضمير يرجع إلى الله تعالى حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به فقال مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة ".[١]

وجميع الأقوال الأربعة تصح في تفسير الآية وهذا النور يضاف إلى الله تعالى باعتباره واهبه، ويضاف إلى المؤمنين باعتبار، وهو محل هبة الله له، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم باعتبار، وهو أحد المؤمنين وأفضلهم. وإلى القرآن باعتباره النور الذي يضيء قلب الموحد.

الله نور السماوات والأرض: وإضافته للسماوات والأرض للدلالة على سَعَة إشراقه أَو لاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراك البشري لهذه الأنوار.[٢]

المشكاة: صدر المؤمن، وقال هو مثل نور الله من الأيمان والقرآن الذي في قلب المؤمن، وما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة.[٣]وقال: "والزجاجة قلبه فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري يقول مضيء وتوقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له."[٤]

---

١ ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٤٠/١٨).
٢ انظر مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، ص(١٩٤)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى: (١٤٠٦هـ).
٣ انظر الصنعاني، في تفسيره، (٦٠/٣)، وابن جرير، في تفسيره، (١٣٥/١٨). وأبي الحسين يحيى الشافعي، الإنتصار في الرد على القدرية الأشرار، (٤٠٩/٢)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤١٩ه/١٩٩٩م).
٤ انظر الطبري، في تفسيره،(١٣٨/١٨)، وعبد الرحمن السيوطي، في الدر المنثور، (١٩٧/٦).

زيتونة لا شرقية ولا غربية قال "فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصله شيء من الفتن وقد ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين أربع خلال إن قال صدق وإن حكم عدل وإن أعطي شكر وإن ابتلي صبر".[1]

قوله نور على نور "يعني إيمان المؤمن وعمله".[2] وكذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه".[3] وقيل نوره الذي فطره الله تعالى عليه فاجتمع نور الوحي إلى نور الفطرة نور على نور.[4] وهو يضيء بعضه بعضا ليضيء للموحد طريقه وبذلك يظهر أثره.

وخلاصة الممثل له:

من المعطيات السابقة ومن صورة الممثل به، يتبين أن صورة الممثل له هي النور المركب من نور الإيمان وعمله أو نور القرآن والإيمان، أو نور الفطرة والإيمان، المجتمعان في قلب المؤمن الموحد ويكون ذلك بالإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له فينفعه الله تعالى به بإنارة طريقه إلى الحق في الدنيا وإنارة طريقه في الآخرة على الصراط لدخول الجنة.

المطلب الرابع: شرح المثل.

ولقد وصف الله نفسه بأنه نور السماوات والأرض، وهو مثل ضربه الله للهداية في قلب أهل الإيمان فقال مثل نور الله الذي أنار به لعباده طريق الحق والذي أنزله إليهم. وذلك تقرير لتوحيد المعرفة والإثبات. فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوبهم. وذلك تقرير لتوحيد القصد والطلب. فمثله بمشكاة هو الكوة مكان وجود القنديل في الجدار، ثم قال فيها مصباح وهو السراج مثلا لما في قلب المؤمن من الهدى والرشاد، ثم قال المصباح في زجاجة يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل الهدى الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله

---

١ عبد الرحمن السيوطي، في الدر المنثور، (١٩٧/٦).
٢ ابن جرير الطبري، في تفسيره، (١٣٩/١٨).
٣ انظر ابن كثير، في تفسيره، (٢٩٢/٣).
٤ انظر ابن القيم، الوابل الصيب، ص (٧٧).

والشك فيه واستنارته بنور الإيمان واستضاءته بآيات ربه ومواعظه فيها بالكوكب الدري فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كوكب دري.[1]

والله هادي أهل السماء والأرض بما أنزل إليهم من آياته، وتصديقه في آية أخرى يقول:﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[2] فهو المصدر الوحيد للهداية، وهم أولئك القوم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وهذا هو النور الذي أودعه الله تعالى في قلب المؤمن من معرفته والإيمان، وهو نوره أنزل لهم آيات هي نور لعقولهم وقلوبهم فبه يستطيع الإنسان أن ينجو في الدنيا والآخرة، وبإخلاصه في العبادة تكون حمايته وحماية قلبه من الوقوع في المعاصي. "فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصله شيء من الفتن وإن أصابه شيء منها و ابتلي بها فيثبته الله فيها فهو بين أربع خصال إن قال صدق وإن حكم عدل وإن أعطي شكر وإن ابتلي صبر"[3]، ولا يكون ذلك إلا لمن أخلص العبادة له وحده. وهم أهل النور الذين جمع اللله لهم نور العلم وهو معرفة الله تعالى بتوحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته. والذي هداهم إلى نور العمل بكل ما يحبه الله تعالى. فهذا المؤمن وحماية الله له شبهه بالمصباح في حسن إنارته وصفائه و حماية الزجاجة للنور من أن تتلاعب به الرياح، ووصف الزيت الذي ينير منه المصباح بأنه ينير ولو لم تمسه النار، وكذلك المؤمن بفطرته السليمة وما أنزله الله له من الحق يكون هداية على هداية، ونور على نور، يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.[4]

من فوائد المثل.

١ انظر الطبري، في تفسيره، (١٨٢/١٩)، والبغوي، في تفسيره، (٤١٨،٤١٧/٣)، والقرطبي، في تفسيره، (٢٦٠،٢٥٩/١٢)، أبي الحسن يحي بن أبي الخير الشافعي، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، (٤٠٩/٢). وإبرهيم الأبياري، الموسوعة القرآبية، (١٠/ ٣٩٨).
٢ سورة الزمر آية، (٢٢).
٣ عبد الرحمن السيرطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (١٩٧/٦).
٤ سورة الحديد آية، (١٢).

١. إن لكل مؤمن نوراً في قلبه يهديه إلى طريق الحق في الدنيا، ويصبح طريقه واضحاً جلياً وهو الذي يوصله إلى الجنة، وبذلك النور يكون إبصاره لمواضع نجاته أو هلاكه، فيعرف ما ينفعه وما يضره بنور الإيمان في قلبه، وذلك بمعرفته لربه حق المعرفة. كما يعرف طريقه في الدنيا ببصره، وبصيرته التي في قلبه. فيجتنب مواضع الخطر ويسلك طرق الأمان. وذلك بإتباع شرع الله تعالى وهو توحيد القصد والطلب الناتج عن معرفته بربه. وقال تعالى في ذلك: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [١] هذا في الدنيا وأما في الآخرة فكذلك هم على جسر جهنم بحسب قوة إيمانهم وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجوم وأخر كالسراج وأخر يعطي نورا على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى فأعطي على الجسر بمقدار ذلك الإيمان الذي كان في قلبهم في الدنيا و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ منهم مُنَافِقٍ أو مُؤْمِنٍ نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ من شَاءَ الله ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاء نَجْمٍ في السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ). [٢]

٢. بيان أن الهداية للإيمان تكون بفعل الله تعالى حيث يشرح صدر عبده الذي اقتضت حكمته أن يهدى فيقذف نور الهداية في قلبه، وهو يظهر من قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [٣] وإن سبب الهداية تكون من العبد بالفطرة السليمة والاستجابة للوحي وهذا هو النور الثاني في قوله تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [٤] ومن ذلك يتبين أن القرآن الكريم هو كذلك من أسباب الهداية للعبد.

المثل الثالث.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ منها أَجَادِبُ

١ سورة الحج آية، (٤٦).
٢ رواه مسلم في الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح(١٩١)، (١٧٧/١).
٣ سورة النور آية، (٤٠).
٤ سورة النور آية، (٣٥).

أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بها الناس فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ منها طَائِفَةً أُخْرَى إنما هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ قال أبو عَبْد اللَّهِ قال إِسْحَاقُ وكان منها طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي من الأرض).[١]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل مكون من مثلين قياسيين لأمور عقلية بأمر من الأمور المحسوسة وأمر حسي بأخر حسي وهو تشبيهي، ويتم إيضاح كل من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي.

وهو مثل للحق النازل من السماء على القلوب فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والإخلاص والشك والجهل.

وهذه أمثال ضربت فالأول لمن يقبل الهدى ويعلم غيره فينتفع وينفع والثاني لمن ينفع غيره بالعلم ولا ينتفع والثالث لمن لا ينفع نفسه ولا غيره.

والممثل به والممثل له كلاهما عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ظهرت صورة الممثل به في الحديث ظاهرة في قوله عليه السلام (كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ منها أجادب أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ الله بها الناس فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ منها طَائِفَةً أُخْرَى إنما هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً) وهذا المثل مكون من الغيث ، والأرض النقية التي انبتت الكلأ، والأجادب التي أمسكت الماء فنفع الله بها، والقيعان التي لا تنفع نفسها ولا غيرها.

١ متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح، كتاب: العلم، باب: فضل من علم وعلم، ح(٧٩)، (٤٢/١).وعند مسلم في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم، ح(٢٢٨٢)، (١٧٨٧/٤).

والمراد من قوله كمثل غيث: وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] وإنزال الغيث من أعظم نعم الله وإحسانه إلى عباده لما اشتمل عليه من منافعهم فلا يستغنون عنه أبدا.[2]

والأرض النقية التي انبتت الكلأ والعشب: مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ وهو اليابس وقيل اليابس والرطب والعشب وهو النبات ولا يكون إلا رطباً وكان كثيراً فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم.[3]

والأجادب التي أمسكت الماء فنفع الله بها: وأما الأجادب فهي من الجدب والمراد الأرض الصلبة التي تمسك الماء فلا تشربه سريعا وقيل هي الأراضي التي لا نبات بها، وهي الممسكة للماء التي يستقي منها الناس ووردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.[4]

والقيعان التي لا تنفع نفسها ولا غيرها: وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وهي من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها.[5]

ومما تقدم يتبين أن صورة الممثل به هي:

صورة المطر النازل بعد قنوط من نزوله، على ثلاث أنواع من الأراضي:

النوع الأول: هي الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم.

---

١ سورة الشورى آية، (٢٨).
٢ انظر ابن كثير في تفسيره، (٣١٣/٤). ومحمد عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(٤٠٤).ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٢٠)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). ابن القيم، شفاء العليل، ص(٢٢٨).
٣ انظر ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٢٦و ٢٧)، وأبو عبيد الأندلسي، معجم ما استعجم، (٣٣٤/١)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٣هـ). وابن منظور، لسان العرب، (١٤٨/١)،و أبو الحسن الرامهرمزي، أمثال الحديث،ص(٢٩).
٤ انظر أبي زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، (٤٦/١٥)، دار إحياء التراث، بيروت، (١٣٩٣هـ). و علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح، (٣٥١/١)، وأبو الفرج الجوزي، كشف المشكل، (٤١٠/١)، وابن منظور، لسان العرب، (٢٥٦/١). ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٢٦و ٢٧).
٥ انظر ابن كثير، في تفسيره، (٢٩٧/٣). وأبو زكريا النووي، شرح النووي، (٤٨/١٥). وأبو الفرج الجوزي، كشف المشكل،(٣٥٨/١).

النوع الثاني: هي الأرض الأجادب فهي من الجدب واليبس وهي الأرض الصلبة التي تمسك الماء فلا تشربه سريعا وقيل هي الأراضي التي لا نبات بها. وهي الممسكة للماء التي يستقي منها الناس ووردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به وهي أقل من النوع الأول.

النوع الثالث:القيعان: هي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وهي من الأرض السباخة التي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم:(مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهُدَى وَالْعِلْمِ) وفي قوله (فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ)

من المعطيات السابقة ومن صورة الممثل به، يتبين أن صورة الممثل له هي: في بيان أقسام الناس في الهدى ومدى تأثير التوحيد في قلوبهم: [١]

القسم الأول من هؤلاء: أهل الفقه فيه والفهم والتعليم وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده وبلغوه إلى الأمة واستنبطوا أسراره.

القسم الثاني: هم الذين حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والتفقة في مراد الشارع فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه.

فهاتان الطائفتان من أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله –صلى الله عليه وسلم– وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأساً.

القسم الثالث: وهم أشق الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم.

ومنهم من قسم المشبه له قسمين فجعلوا النوع الأول والثاني نوعاً واحداً والنوع الثالث هو النوع الثاني وذلك بالنظر إلى حال قلوب الناس ومدى استجابتهم للهدى وإخلاصها للعبادة لله أو عدم

١ انظر ابن تيمية، جامع المسائل، (١٢٥/١). وسلمان بن سحمان الخشعمي، كشف غياهب الظلام، ص(١٦٦). و أبو زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، (٤٦،٤٨/١٥)، وبد الدين محمود بن أحمد العيني، عمدة القارى، (٧٧،٨١/٢).

استجابتهم، ومنهم من قسمهم إلى ثلاث أقسام، وذلك موافق لتقسيم المشبه به وهي أنواع الأراضي التي نزل عليها الغيث.[1]

المطلب الرابع: شرح المثل.

بين – صلَى اللَّه علَيه وسلَّم – أن مثل ما أرسله اللهُ به من توحيد الله تعالى. كالماء، والماء يختلف أثره باختلاف المحل الذي يصل إليه، فهكذا ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم. يختلِف أثره باختلاف القلوب التي يصل إليها، فكما أن الزرع يحصل من الماء ومن التربة الطيبة، فهكذا الهدى، يحصل من هداية الأنبياء ومن القلوب القابلة لذلك الهدى.

فقد بين أن مثل ما بعثه الله به من الهدى والعلم. وهي الدعوة إلى معرفة الله تعالى وعبادته وحده. مثل الغيث أي المطر الذي تشربه الأرض، فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فكلها أسماء للنبات لكن العشب والكلأ مقصوران مختصان بالرطب فقط وقيل العشب اليابس والكلأ الرطب واليابس، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم، وشَبَّه القلوبَ بالأرض، والهدى والعلم الذي أنزله الله تعالى: أي توحيده. بالماء الذي نزل على الأرض، وجعل الناس ثلاثة أنواع: النوع الأول: من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه ويحيي قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع. والأرض الثانية: وهي الأرض التي لا تنبت كلأ و تمسك الماء فلا يسرع فيه النضوب وهي مالا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب وكذا النوع الثاني: من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ولا يستنبطون المعاني والأحكام وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به فهؤلاء نفعوا بما بلغهم وهم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم (نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحملها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).[2] وأرضٌ ثالثة: السباخ التي لا تنبت فهي لا تنتفع بشربه ولا تمسكه لغيرها وكذا النوع الثالث: من الناس ليست لهم قلوب حافظة فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم وهم رده ظاهرا وباطنا وكفر به ولم يرفع به رأسا يعني تكبر يقال ذلك ويراد به أنه لم يلتفت إليه من غاية تكبره. أي عدم رفع

---

[1] أنظر المراجع السابقة.

[2] رواه أبو داود، في سسن أبو داود،كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم، ح(٣٦٦٠)، (٣٢٢/٣).وأحمد بن حنبل، في مسنده، ح(١٣٣٧٤)، (٢٢٥/٣)، والحاكم النيسابوري، في المستدرك على الصحيحين، ح(٢٩٧)، (١٦٤/١). و ابن حبان، في صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، ح(٦٨٠)، (٤٥٥/٢).وقال عنه الألباني : صحيح، السلسلة الصحيحة، (٧٦٠/١).

رأسه بالعلم كناية عن عدم الإنتفاع به لعدم العمل أو الإعراض عنه إلى حطام الدنيا وهذا مثل الطائفة التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ولم يقبل هدى الله. [1] وقد وصف ابن القيم بعض الفرق فقال:

رفعوا به رأسا ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان

فهم كما قال الرسول ممثلا بالماء مهبطه على القيعان

لا الماء يمسكه ولا كلأبها يرعاه ذو كبد من الحيوان.[2]

من فوائد المثل.

١. إن القلوب تشرب ما يُنزله الله من الإيمان والقرآن بقدر ما فيها من اليقين وعدمه، وذلك شراب لها، وبه تكون حياتها كما أن المطر شراب للأرض، والأرض تعطش وتروى، وبهذا يكون حياتها كذلك القلب يعطش إلى ما ينزله الله ويروى به.[3] وهو سبحانه الذي يطعمه هذا الشراب بقدر إخلاصها في التوحيد ومن هنا يظهر واضحاً جلياً أهمية أثر التوحيد في قلوب المؤمنين على حياتهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.
٢. إن الله أنزل القرآن وما أوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هداية للناس، فمن اهتدى به هداه، ومن أعرض عنه أضله وأخزاه. ويظهر من قوله. (مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهُدَى وَالْعِلْمِ). فوصف عليه السلام ما بعث به بالهدى.
٣. بيان أن من أهم أسباب استمرار الهداية وزيادتها التمسك بكتاب الله تعالى وما جاء به الوحي من الحق. والاهتداء بهدي نبيه.

خلاصة مبحث: الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وأثره القلبي والنفسي.

إن العارف لحقيقة التوحيد هو الذي يجد أثره في نفسه فتتحقق له تمام معرفته بخالقه وبتمام معرفته تكون محبته وحسن عبادته وإخلاصها له وحده، ومتى ذاق القلب ذلك لا يمكنه أن يقدم عليه حب غيره،

---

١ انظر أبو زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، (٤٦/١٥). و علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح، (٣٥١/١)، وأبو الفرج الجوزي، كشف المشكل، (٤١٠/١)، ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٢٦و ٢٧).
٢ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، شرح قصيدة ابن القيم، (٤٢٧/٢).
٣ انظر ابن تيمية، جامع المسائل، (١٢٥/١).

وذلك يكون سبب راحة أنفسهم واطمئنانهم وسعادتهم، فهم لا يتلقون الأوامر إلا من واحد وكذلك النواهي لا تكون إلا من واحد، ولتسكن القلوب و لتطمئن لا يكون ذلك " إلا لله وحده فلا تطمئن القلوب إلا به ولا تسكن النفوس إلا إليه و لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فكل مألوه سواه يحصل به الفساد ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له"[1] ولذلك لو كان في القلب معبود غير الله تعالى لفسد فساداً لا يكون صلاحه إلا بخلوص العبادة لإله واحد لا شريك له، ولكي يشعر القلب بالراحة والسعادة فهو مطالب بإرضاء إله واحد ولو غضب عليه أهل الأرض جميعهم، وإن جميع الأعمال إذا عملها الإنسان وكانت خالصة لله تعالى تكون باقية الثواب ويدوم نفعها، وتحتمل القلوب للحق بقدر اليقين والإخلاص الذي فيها، وبه يكون النور المجتمع في قلب المؤمن نور الهدى ونور الإيمان ونور الفطرة التي بها يسير المؤمن في طريقه في الدنيا الموصل إلى الجنة ليستضي به كذلك على الصراط.

المبحث الثالث: الأمثال المضروبة لبناء استحقاق الألوهية على الربوبية.

تمهيد:

التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية، والأولان وسيلة إلى الثالث فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر، وكلها متلازمة، وذلك لأنه لا يكون إلها مستحقا للعبادة إلا من كان خالقا رازقا مالكا متصرفا مدبرا لجميع الأمور موصوفا بكل كمال منزها عن كل نقص، فإن صفات الله عز و جل لا تنبغي إلا له و لا يشركه فيها غيره. فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو و لا تجوز لغيره، ولا يعبد إلا من تفرد بصفات الربوبية.

ومن المعلوم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما قي قوله:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ ﴾ [2] وعند الإفراد يجتمعان فقول الملكين للرجل في القبر من ربك؟ معناه من إلهك. لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها. وقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [3] فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران.[4]وقد ضرب الله تعالى ونبيه الكريم الأمثال لبيان ذلك.

---

١ ابن تيمية، توحيد الإلوهية، ص(٥٥).
٢ سورة الناس آية، (٢،١).
٣ سورة الأحقاف آية، (١٣).
٤ انظر محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية، (مطبوعة ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة الجزء السادس)، ص(١٧)، تحقيق: صالح بن فوزان الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام

وقد أقرت أكثر الأمم بتوحيد الربوبية، خصوصاً الذين كانوا في وقت نزول القرآن من كفار قريش وكفار العرب كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، فهم يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق، المحيي، المميت، المدبر يعترفون بذلك كما جاءت آيات في القرآن الكريم تبين ذلك قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [1] قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) ﴾ [2]قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3]قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [4] هذا الإقرار لا يدخلهم في الإسلام، فمن أقر به واقتصر عليه ولم يقر بالنوع الثاني وهو توحيد العبادة، ويأت به فإنه لا يكون مؤمنا وذلك لأن المعرفة لا تكفي بمفردها بل يجب أن يصاحبها العمل وهي حجة عليهم وذلك لأن المعرفة الحقيقية تلزمهم العمل بها.

وإن الواجب على كل مسلم إثبات الإلوهية لمن آمن بربوبيته، ولا يقتصر على الربوبية فقط، وقد أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة، على بناء الألوهية على الربوبية وعدم نفع الإقرار والمعرفة دون العمل.

وفيما يلي عرض لأبرز الأمثال المضروبة لبناء استحقاق الألوهية على الربوبية.

المثال الأول:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [5]

سعود، الرياض. وأبي عبد الله شمس الدين بن محمد أشرف الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبوريه، ص(٢٣٨، ٢٣٩).

١ سورة العنكبوت آية، (٦١).

٢ سورة المؤمنين آية، (٨٦/٨٧).

٣ سورة المؤمنين آية، (٨٨).

٤ سورة الزخرف آية، (٨٧).

٥ سورة الفتح آية، (٢٩).

المثال الثاني:

قَالَ تعَالَى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [1]

المثال الثالث:

قَالَ تعَالَى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [2]

المثال الرابع:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لَا يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ). [3]

المثال الخامس:

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ له عَمَلًا يَوْمًا إلى اللَّيْلِ على أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا له إلى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لنا إلى أَجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لنا وما عَمِلْنَا بَاطِلٌ فقال لهم لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هذا وَلَكُمَا الذي شَرَطْتُ لهم من الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حتى إذا كان حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ قالا لك ما عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الذي جَعَلْتَ لنا فيه فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا ما بَقِيَ من النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا له بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ

---

١ سورة الجمعة آية، (٥).
٢ سورة الأعراف آية، (١٧٥/١٧٦).
٣ متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح: كتاب: الأطعمة، باب: ذكر الأطعمة، ح(٥١١١)، (٢٠٧٠/٥)، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، ح(٧٩٧)، (٥٤٩/1).

فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حتى غَابَتْ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ ما قَبِلُوا من هذا النُّورِ).[1]

المثال الأول:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[2]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل مكون من مثلين الأول وصفي والثاني قياسي: لأمر حسي بأخر حسي، وهو تشبيهي ويتم إيضاح كل من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي.[3]

وهذان مثالان ضربا لبيان صورة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من تبعه، في نشأتهم التي عرفوا الله تعالى بها حق معرفته فكانت عبادتهم أفضل ما يكون وقرنهم خير القرون، ونماءهم وتكاثرهم بصورة النبات يكون ضعيفاً فيقوى.

والممثل به والممثل له كلاهما عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[4]

معنى أخرج شطاه: أي أخرج نباته، وقيل قوائمه، وقيل سنبله وهو فرخ الزرع.[1]

---

١ رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الإجارة ، باب: الإجارة من العصر إلى الليل، ح(٢١٥١)،(٧٩٢/٢).
٢٢ سورة الفتح آية، (٢٩).
٣ انظر عبد الرحمن حبنكة الميداني، أمثال القرآن، ص(٣٤).
٤ سورة الفتح آية، (٢٩).

ومعنى فآزره فأستغلظ: أي فَآزَرَ الصغارُ الكبارَ حتى استوى بعضه مع بعْض. أي أعانه وتقوى به.[2]

صورة الممثل به:

أي هو الزرع النامي القوي، يخرج فرخه من قوته وخصوبته. ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده ويقويه. أو أن العود هو الذي آزر فرخه فشد أزره. فصار الزرع غليظاً وضخمت ساقه وامتلأ بعد ما كان دقيقاً. فاستقام على قصبه أي لا معوجا ولا محنيا. وهو يعجب زارعيه بقوته وغلظة وحسن منظره.[3]

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ ﴾[4] ومن قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾.[5]

وهو مثل ضربه الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله وحيداً ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به، وهو يأزرهم ويعرفهم بربهم ليقوى إيمانهم ويخلصوا العبادة لله تعالى وحده، ثم يكثرون، وهم أيضاً الذين يدخلون في الإسلام إلى يوم القيامة، والذين يوازوهم الداعون إلى المعروف والناهون عن المنكر فيكثرون فيغيظ الله تعالى بهم الكفار، وذلك لكثرتهم ولصفاتهم التي وصفهم الله بها في الآية.[6]

المطلب الرابع: شرح المثل.

وصف الله تعالى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في التوراة بصورة وصفية تعبيرية، وفي الإنجيل بصورة تشبهيه.

فوصفهم في التوراة بثلاث صفات:

---

١ انظر ابن كثير، في تفسيره، (٣٣٨/٧)، والزجاج، في معاني القرآن وإعرابه، (٢٩/٥)،
٢ انظر المراجع السابقة.
٣ انظر المراجع السابقة، وابن جرير، في تفسيره، (٢٢/ ٢٦٩).
٤٤ سورة الفتح آية، (٢٩).
٥٥ سورة الفتح آية، (٢٩).
٦ انظر ابن جرير الطبري، في تفسيره، (٢٦٩/٢٢)، وابن كثير، في تفسيره، (٣٣٨/٧).

أولاً: شدة بأسهم في قتال الذين كفرو، وتظهر في قتالهم وغزواتهم.

ثانياً: رحمتهم وتواضعهم فيما بينهم، وتظهر في صورة التآخي والتواضع.

ثالثاً: تعبدهم لله تعالى، وتظهر في كثرة ركوعهم وسجودهم وإخلاصهم العبادة لله تعالى وذلك لمعرفتهم الصادقة بربهم فكانت عبادتهم بقدر تلك المعرفة.

وصف الله تعالى المؤمنين الموحدين ورسوله الكريم. بكثرة الركوع والسجود مع الإخلاص في العبادة. فإنها لا تكون إلا لله وإبتغاء الأجر منه. وهي ناتجة عن معرفتهم الصحيحة لربهم. فهؤلاء النخبة المختارة هم الذين فهموا هذه الشريعة فعبدوه حق عبادته. لأنها ناتجة عن عقيدة صحيحة.

وشبههم في الإنجيل: بالزرع إذا نثر متفرقاً، فتنبت كل واحدة منها، فتلقى المؤازرة من حولها فتقوى وتشتد فتستوي على ساقها، فيعجب زارعوه بحسن نباته. وقال ابن جرير:" فهو مثل ضربه الله لأهل الكتاب إذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع فيبلغ فيهم رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم يغلظون، فهم أولئك الذين كانوا معهم وهو مَثل ضربه الله لمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: بعث الله النبيّ وحده، ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به، ثم يكون القليل كثيرا، ويستغلظون، ويغيظ الله بهم الكفار".[١]

ولقد كرم الله تعالى هذه الجماعة، وأغاظ بهم عدوهم، ولم يكن ذلك بسبب إيمانها فقط بل كان أيضاً بسبب تعبدهم لله تعالى الناتج عن إيمانهم ومعرفتهم لكماله المطلق، ونتج عن معرفتهم لربهم تعبدهم له حتى صارت صفاتهم التي يوصفون بها فذكر منها. أنهم أشداء على الكفار. وفيهم آباؤهم وإخوانهم وأقربائهم وأصحابهم، ولكنهم قطعوا هذه العلاقات جميعها. وقال عنهم أنهم رحماء فيما بينهم وهي إخوة الدين، وهي قرابة الدين والعقيدة، وهي تقوم على العقيدة وحدها، ليس لأنفسهم فيها شيء، بل هي خالصة لله تعالى. ومن صفاتهم أنهم دائمو الركوع والسجود، وهي هيئتهم التي يراهم الرائي عليها كثراً، وتدل على حالة العبادة. ثم وصف حالتهم النفسية وهي، أنهم كل ما يشغل بالهم، وتتطلع إليه نفوسهم فضل الله ورضوانه. ولا شيء غير ذلك يشغلهم. وأثر العبادة ظاهر على سماتهم وفي وجوههم، من الإشراق في وجههم، وذكر السجود والمقصود منها سائر العبادات، وذكر السجود لأنه يمثل حالة الخشوع.[٢] وهذا

---

١ ابن جرير، في تفسيره، (٢٦٩/٢٢).

٢ انظر الطبري، في تفسيره، (٢٧٠/٢٢)، وابن كثير، في تفسيره، (٣٣٧/٧،٣٣٨،٣٣٩)، وسيد قطب، في ظلال القرآن (٦ / ٣٣٣١،٣٣٣٢)، والزجاج، في معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٩)، جلال الدين بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي، في تفسير الجلالين ص(٦٨٤)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، وأبي السعود العمادي محمد بن مصطفى، في تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١١٥/٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الخشوع والإخلاص تمكن من القلب وأشرق فيه ففاض على الجوارح فيرى أثره في الوجه والعين ويظهر في القول والعمل.

من فوائد المثل.

١. إن ذكر الله تعالى لصفات المؤمنين من كثرة السجود والركوع ليس ذلك معناه الاقتصار على العبادة فقط بل هم أيضاً الموحدون الله. وذلك لأن توحيد العبادة مستلزم لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهو متضمن لهما أيضاً. [١] فعبادتهم ناتجة من معرفتهم بالله تعالى، وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه ولذلك ذكر الله تعالى إكرامه لأهل التوحيد وطاعته وأثر ذلك الإيمان على المؤمن فقال بعضهم: "إن للحسنة نور في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس". [٢] فهذه صورتهم في ذاتهم وفي نفوس أهل الإيمان، من البهجة والإعجاب. وأما وقعه في نفوس الكفار فهو الغيظ والحسرة. ووعد الله تعالى كل الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة، ممن آمن بالله ورسوله وعمل صالحاَ أي بما أمرهم الله ورسوله به. بأن يغفر ويعفوا عما مضى من ذنوبهم، وبالثواب الوافر في الجنة. ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يتبدل، ويكون ذلك لكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. وكانت عبادته مبنية على علمه بصفات الله تعالى وكماله المطلق وبذلك يكون بناء توحيد الإلوهية على الربوبية. وأما من أبغضهم . رضوان الله عليهم أجمعين . فهو يكون بذلك قد اتصف بصفات الكفار. [٣]

٢. إن جميع الأدلة: السمعية، والعقلية، والفطرية، قد قامت شاهدة بتوحيد الله، معترفة بانفراده بالخلق والتدبير، وأن من هذا شأنه، لا يستحق العبادة إلا هو، وجميع الرسل متفقون على هذا الأصل العظيم، ولم ينكره إلا معاند مكابر. فالأدلة السمعية كما هو موجود في كثير من آيات القرآن الكريم، والأدلة العقلية كما هو في ضرب الأمثال، والأدلة الفطرية كما يجد الإنسان في نفسه ميل إلى عبادة من اتصف بالكمال المطلق وشعر أنه محتاج إليه. [٤]

١انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، ص(٢٣).

٢ ابن كثير، في تفسيره، (٣٦١/٧).

٣٣ انظر أبي بكر أحمد الجرجاني، إعتقاد أئمة الحديث، ص(٧٣)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ). وطاهر بن محمد الاسفراييني، التبصرة في الدين وتميز الفرق الناجية من الفرق الهالكين، ص(٤٢)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة: الأولى: (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). والشاطبي، في الإعتصام، ص(٤٢).

٤ انظر عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص(٩٥٥)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولى: (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٣. معرفة الله تعالى بصفاته العظيمة وتوحيده في كماله المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو، ومعرفة صفات المخلوقات وما هي عليه من نقص وافتقار إلى غيرها وإلى ربها في كل شئونها. وأنه ليس لهم من الكمال إلا ما تفضل عليهم به ربهم، فهذا أعظم برهان على بطلان إلهية ما سواء الله تعالى.

المثل الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾[١]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

تشبيه تمثيلي وهو الذي يتم إيضاح المعنى منه عن طريق القياس التمثيلي: وفيه تشبيه غير مدرك بالحس الظاهر بمدرك بالحس الظاهر، فقد شبّه اليهود حيث لم ينتفعوا بما في التوراة من الدلالة على الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلم وترك العمل، بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ووجه الشبه عدم الانتفاع بما هو حاصل وكائن فهم عرفوا الله تعالى ولم يخلصوا له العبادة فالحمار يمشي في طريقه وهو لا يحسّ بشيء مما يحمله على ظهره إلا بالكد والتعب وكذلك اليهود قرؤوا التوراة وحفظوها ثم لم يعملوا بها فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لغيرهم ممن هم في حكمهم ممن علم ولم يوصله ذلك العلم إلى العمل به.

والتشبيه له قولان منهم من قال: هو "تشبيه مركب من أحوال الحمار، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع، مع تحمل التعب في استصحابه"[٢]. ومنهم من اعتبره تشبيها مفردا وذلك بالقول إنه تشبيه مفرد بمفرد آخر.[٣]

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ورد في ألفاظ المثل صورة الممثل به وهي ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾[١] وكذلك من أقوال المفسرين للآية الكريمة:

---

١ سورة الجمعة آية، (٥).
٢ وهبة بن مصطفى الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٤٠/١).
٣ انظر عبد الرحمن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصرو من أدبه الرفيع، ص (٢٠).

ومعنى كلمة السفر هو: السفر بالكسر الكتاب والجمع أسفار قال الله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا و السفرة الكتبة قال الله تعالى بأيدي سفرة.٢

وفي قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا: أي مثل الحمار يحمل كتبا وتوراة على ظهره، كما تحمل المصاحف على الدواب.لا يدرون ما على ظهورهم.٣

صورة الممثل به:

هي صورة الحمار الذي يحمل الأسفار من الكتب النافعة ولا يدري ما على ظهره، وليس له نصيب منها غير التعب، فأي حزي أعظم من التمثيل بالحمار وذلك للتنفير من ترك العمل بما علم.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

هذا المثل ضرب لبيان استحقاق الإلوهية على الربوبية. ويظهر ذلك من صورة الممثل له من قوله تعالى :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا ﴾[٤] **ومن قوله تعالى:** ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥]

ومن صورة الممثل به ومن أقوال المفسرين تظهر صورة الممثل له وهي:

مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى قال كتبا لا يدري ما فيها ولا يدري ما هي فحملوا العمل بها ثم لم يحملوها يقول ثم لم يعملوا بما فيها، يضرب الله لهذه الأمة أي وأنتم إن لم تعملوا بهذا الكتاب كان مثلكم كمثلهم.[٦]

ومما تقدم يتضح أن صورة الممثل له هي:

صورة اليهود والنصارى والمسلمين الذين أوتوا الكتب السماوية من التوراة أو الإنجيل أو القرآن فحملوا العمل بها ثم لم يعملوا بما فيها وهم كل من لم تدفعه معرفته بربه إلى عبادته وحده، وتحملوا مشقة

---

١ سورة الجمعة آية، (٥).
٢ انظر الرازي، مختار الصحاح، ص(١٢٦). وابن منظور، لسان العرب، (٣٦٨/٤و ٣٧).
٣ انظر الصنعاني، في تفسيره، (٢٩١/٣)، والطبري، في تفسيره، (٨٩/٢٨)، والقرطبي، في تفسيره، (٩٤/١٨).
٤ سورة الجمعة آية، (٥).
٥ سورة الجمعة آية، (٥).
٦ انظر الطبري في تفسيره، (٩٧/٢٨)، و انظر جلال الدين السيوطي، في الدر المنثور، (١٥٤/٨).

حفظها ولكنهم لم ينتفعوا بها بشيء، لأن معرفتهم بها لا تنفعهم إلا إذا عملوا بما عرفوا. وهو توحيد القصد والطلب الذي لم يأتوا به.

المطلب الرابع: شرح المثل.

إن الإيمان بالمعرفة والإقرار فقط دون القصد والطلب والعمل بما عرف غير مقبول ولذلك نفر الله تعالى منه بتشبيهه بأحقر صورة. إذا تبين له أن الله تعالى واحد في ربوبيته وجب على الفور أن يوحده ويفرده بالعبادة، وتوحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الألوهية، وبه احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلوهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلها مستحقاً للعبادة إلا من كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرفاً مدبراً لجميع الأمور حياً قيوماً سميعاً بصيراً عليماً حكيماً موصوفاً بكل كمال منزها عن كل نقص، غنياً عما سواه مفقراً إليه خلقه، فاعلاً مختاراً ولا معقب لحكمه لا راد لقضائه ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخف عليه خافية، وهذه صفات الله تعالى لا تنبغي إلا له، ولا يشركه فيها غيره، فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون سواه لا يشركه معه في عبادته أحد.[1]

وقاس سبحانه من حمله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأ به بغير تدبر ولا تفهم ولا إتباع له، ولا تحكيم له، ولا عمل بموجبه، كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا لا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم بالكتاب الذي أوتوا. حفظوه لفظا. ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه، وحرفوه، وبدلوه، فهم أسوأ حالا من الحمير. لأن الحمار لا فهم له. وهؤلاء لهم أفهام لم يستعملوها. ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[2] وقوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله يقول: بئس هذا المثل مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله يعني بأدلته وحججه والله لا يهدي القوم الظالمين يقول تعالى ذكره والله لا يوفق القوم.[3]

---

١ انظر أبي عصام هشام بن عبد القادر، مختصر معارج القبول، ص(٨٣).
٢ سورة الأعراف آية، (١٧٩).
٣ انظر ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٥١). وابن كثير في تفسيره، (٣٦٥/٤) وابن جرير، في تفسير الطبري، (٢٨/ ٩٨).

من فوائد المثل:

١. إن الإيمان بالربوبية يوجب عليهم توحيد الله تعالى في إلوهيته، ومن ذلك يتبين عظم ذنب المشرك وقباحة ذنبه وأنه أظلم الظلم وأكبر الكبائر.[١] وذلك يظهر في المثل حين كان إيمانهم أقتصر على المعرفة والإقرار فقط دون القصد والطلب. وهذا هو الشرك في الألوهية ولذلك نفر الله تعالى منه بتشبيهه بأحقر صورة. وبه يتبين استحقاق الألوهية على الربوبية، وعدم الاقتصار على توحيد الربوبية فقط.

٢. إن من عرف الله تعالى حق معرفته يلزمه إفراده بالعبادة. ولا تكفيه المعرفة فقط. وإن من عبد الله تعالى فهو متضمن لمعرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

٣. إن توحيد القصد والطلب الذي هو توحيد الألوهية والعبادة متضمن لتوحيد الربوبية ولا عكس. لكن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية. ومعلوم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي عن الإتيان بلازمه وهو توحيد الألوهية.

٤. إن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، بمعنى أن الإيمان بوحدانية الله وتقديم العبادة له لا يحصل إلا ممن أقر بأن هذا الإله المعبود رب العالمين، لأن العبادة لا تصرف حقيقة إلا للرب المتصف بالكمال المنزه عن النقص.[٢]

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[٣]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

---

١ انظر حافظ بن أحمد بن على الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢ / ٤٨٦).
٢ انظر محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٢٣). وصالح بن عبد الله العبود، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، (١١٢٤/٢). الطبعة الثانية: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
٣ سورة الأعراف آية، (١٧٥،١٧٦).

مثل الله تعالى لمن لم يعمل بما علم ومن عرف الله تعالى وعرف أسمائه وصفاته وكماله المطلق ولم يفرد العبادة له وحده، بمثلين أحدهما بالمنسلخ والآخر بالكلب، وهذان المثلان من الأمثال التشبيهية التي يتم إيضاح المعنى منها عن طريق القياس التمثيلي.

تشبيه غير مدرك بالحس الظاهر بمدرك بالحس الظاهر"، فقد صور حال الذي أعطى العلم ولم يعمل به فسلبه الله تلك النعمة، فأشبه في حالته تلك الحية التي تنسلخ من جلدها، وتتركه على الأرض".[1] وحال الذي اخلد إلى الدنيا ساعيا خلفها بصورة الكلب الذي لا يترك هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبدا .وهو تشبيه مركب كما يتضح فيما يلي.

المطلب الثاني: بيان الممثل به.

تظهر صورة الممثل به من **قوله تعالى**:﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾[2] أي كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم. **ومن قوله تعالى**﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ﴾[3]

وقال ابن منظور الانسلاخ: "كل شيء يُفْلَقُ عن قِشْر فقد انْسَلَخَ مِسْلاخ الحية سَلْخَتها جِلْدَتها التي تَنْسَلِخُ عنها".[4]

وهو كحال أحقر الحيوانات، وهي حالة الكلب في دوام لهثه، سواء في حالة التعب أو الراحة، أو طردته أو تركته.[5]

ومما تقدم يتبين أن صورة الممثل به هي:

صورة الحية التي تسلخ جلدها. وصورة الكلب الذي ينبح إن حملت عليه أو تركته، وهو يلهث في حالت المرض والصحة والتعب والراحة فهو يلهث في جميع حالاته وهو ميت الفؤاد.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

---

١ علي أحمد الطهطاوي، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، ص(٢٥٣).
٢ سورة الأعراف آية، (١٧٥).
٣ سورة الأعراف آية، (١٧٥).
٤ ابن منظور، لسان العرب، (٢٥/٣).
٥ انظر الطبري في تفسيره، (١٢٨/٩)، و الزحيلي في التفسير المنير، (١٦١/٩)، و ابن كثير، في تفسيره، (٢/ ٢٦١).

وتظهر من قوله تعالى تَعَـالَىٰ:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[1]

ومن أقوال المفسرين، ومن صورة الممثل به تظهر صورة الممثل له.

ومعنى قوله: انسلخ منها: أي هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناها إياه في تركه العمل بما آتيناه من العلم.[2]

ومعنى قوله تعالى: كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به، إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها وإن ترك لم يهتد للخير، هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما أميت فؤاد الكلب.[3]

وقد اختلف المفسرون من المقصود بالآية. يقول بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعورا ويقول بعضهم أمية بن أبي الصلت، ويقال هو رجل أعطاه الله تعالى ثلاث دعوات، وقيل هو مثل للكافر وقيل للمنافق، وقيل هم اليهود والنصارى، وقال من أهل العلم بالتأويل، عام في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به.[4]

أولى الأقوال بالصواب من قال إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه وأن معناه سواء وعظ أو لم يوعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه كما سواء حمل على الكلب أو طرد أو ترك فلم يطرد في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه.[5]

ومما تقدم يتبين أن صورة الممثل له هي:

---

١ سورة الأعراف آية، (١٧٥،١٧٦).
٢ انظر ابن جرير في تفسيره، (٩/ ١٣٠).
٣ انظر ابن جرير، في تفسيره، (١٢٨/٩، ١٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور، (٦١٠/٣).
٤ انظر ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٢٨/٩)، والصنعاني، في تفسيره، (٢٤٣/٢)، والسيوطي في الدر المنثور، (٦١٠/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره، (٥/ ١٦٢٠، ١٦٢١). أبو القاسم الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، (٣٩٧/١٠، ٣٩٨)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمري، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٨م).
٥ انظر الطبري في تفسيره، (١٢٨/٩)، والقرطبي في تفسيره، (٣٢٣/٧).

صورة حال الذي أعطي العلم وعرف ربه، ولم يعمل بمقتضى معرفته وهو ذلك العالم الذي حرم ثمرة علمه، فخرج من الآيات، وكفر بها ومال إلى الدنيا، فسلبه الله تلك النعمة، وقد كان من الممكن أن يرفعه الله بها لو أن علمه قاده إلى العمل. فإن توحيده بتوحيد الربوبية فقط لم يفده بل كان يجب عليه أن يأتي بتوحيد الألوهية.

المطلب الرابع: شرح المثل.

شبه سبحانه من أتاه كتاباً، وعلمه العلم الذي منعه غيره، ولم يأتي بلازمة ذلك العلم فترك العمل به، وأتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، و الانسلاخ من الأحكام والآيات، كانسلاخ الحية من جلدها بعدما كان ملاصقاً لها تتركه بعيداً عنها، وبالكلب الذي هو من أخبث وأوضع الحيوانات قدرا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأرضاها بالدنيا، والجيف القذرة أحب إليه من اللحم الطري، فحال الذي انسلخ من آياته واتبع هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله تعالى والدار الآخرة فهو غلب عليه هواه سواء وعظ أو لم يوعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه حتى صار لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وكذلك الكلب طرد أو ترك لا يملك لنفسه ترك اللهث.[١]

وفي قوله تعالى (اتيناه آياتنا)نسبة الضمير إلى الله تعالى لأن الله هو الهادي (فانسلخ منها)نسبة الضمير إلى الإنسان الضال بعد الهدى بفعل نفسه.[٢] وقال تعالى(ولو شئنا لرفعناه بها)"فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم وإنما هي بإتباع الحق وإيثاره. وقصد مرضاة الله تعالى"[٣]

من فوائد المثل.

١. إن كل من تفضل الله تعالى عليه بالإيمان ومعرفة الله ولم يعبده حق عبادته، تقوم الحجة عليه يوم القيامة وذلك لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية. وإن أسباب الضلال والبعد عن الإيمان من الإنسان، ويدل على ذلك نسبة الضمير إليه، في قوله: (فنسلخ منها).
٢. إن من أكبر أسباب الشرك ودواعيه توهم المشركين أن غير الله مصدر خير لهم، وأن عبادته سبب لحصول ما ينفعهم ودفع ما يضرهم، أي إن شرك الدعاء أكثر من شرك المحبة، وذلك لأن حقيقة

١ انظر الطبري في تفسيره، (١٢٨/٩)، والصنعاني، في تفسيره، (٢٤٣/٢)، والسيوطي في الدر المنثور، (٦١٠/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره، (٥/ ١٦٢٠، ١٦٢١).
٢ أنظر عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن، ص(٨٧).
٣ ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٥٥).

الافتقار في الدعاء أظهر، ولهذا جاء الخطاب به في القرآن أكثر، وهو ما يفتقر إليه كل مخلوق وتصرف فيه أعمال القلوب، وبذلك أبطل الله عز وجل أن يكون لغيره نفع أو ضر، أو يكون بيد غيره رحمة أو رزق أو فضل أو شفاء أو موت أو حياة أو نصر أو كشف كرب، إلى غير ذلك، إلا من جعله الله تعالى سبباً لحصول شيء من ذلك، وهذه من أكبر الحقائق التي فصلها القرآن وسد الله بها كل منافذ الشرك وذرائعه ودواعيه.[1]

٣. تدل الآية على أن العلماء الذين لم يعملوا كما أمرهم الله، بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم والاعتصام بحبل الله مع المؤمنين، وفي الجانب الآخر يقومون بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم، وفراقهم، فإنهم إذا لم يكونوا بهذا الوصف، قد انسلخوا من آيات الله واستحقوا الوصف المهين. فهم بانخلاعهم من آيات الله ووحيه وطرحها إلى غيرها. يكونوا قد أشركوا بالله تعالى في إلوهيته. وبذلك يكون قد نقضوا معرفتهم السابقة بالله وبأسمائه وصفاته والعلم الذي أتوه من قبل. وفيه إشارة إلى أن الألوهية لا تنبغي إلا لمن له الكمال المطلق في ربوبيته وصفاته.[2]وعلى هذا يكون استحقاق الألوهية على الربوبية.

المثال الرابع:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لَا يَقْرَأُ القرآن كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ).[3]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

مثل الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمن، بمثلين أحدهما الذي يقرآ القرآن والثاني الذي لا يقرآ القرآن، وهذان المثلان من الأمثال التشبيهية التي يتم إيضاح المعنى منها عن طريق القياس التمثيلي.

---

١ انظر عبد القادر بن محمد صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، ص(١٢٣،١١٥،١١٤)، دار الإعلام، الطبعة: الأولى: (١٤٢٢هـ). ومحمد بن عبد الله الغامدي، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، ص(٢٧٩)، عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية، لمدينة المنورة، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٢ انظر محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، (٩٠/١). وعبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص(٧٣)، دار ابن الأرقم، الكويت، الطبعة: الأولى: (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٣ متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح: كتاب: الأطعمة، باب: ذكر الأطعمة، ح(٥١١١)، (٢٠٧٠/٥)، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، ح(٧٩٧)، (٥٤٩/١).

فشبه مدرك بالحس الظاهر بمدرك بالحس الظاهر. فقد صور حال الذي آمن وقرأ القرآن، فأشبه في حالته تلك الأترجة ريحها طبية وطعمها طيب. وصور حال الذي آمن ولم يقرآ القرآن، بحال التمرة التي لا ريح لها وطعمها حلو. وهو تشبيه مركب كما يتضح فيما يلي.

المطلب الثاني: بيان الممثل به.

تظهر صورة الممثل به من قوله صلى الله عليه وسلم: (كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ)ومن قوله صلى الله علية وسلم (كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ). وهو مكون من الأترجة وريحها الطيب وطعمها طيب. ومن التمرة التي لا ريح لها وطعما طيب.

الأترجة: وفي بعض النسخ أترنجة، بزيادة النون، وهي من أفضل الثمار، لكبر جرمها ومنظرها، وطيب طعمها ولين ملمسها، ولونها يسر الناظرين.[1]

التمرة: ثمر النخل، طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة ذكية.[2]

ومما سبق يتبين أن صورة الممثل به هي:

تلك الثمرة التي بها أجمل الخصال في نفسها ولغيرها من حسن المنظر وطيب الطعم ولين الملمس وجرمها الكبير وأخذها الأبصار بلونها الأصفر الفاقع الذي يسر الناظر إليها فتتوق إليها النفوس وتشتهيها قبل أن يأكلها ويستفيد المتناول لها بعد التلذذ بريحها الذكية وطعمها الحلو بخواصها المفيدة للهضم وغيره. وهو يشرك حواسه الأربعة في الاستمتاع بها، وهي البصر والشم والمس والتذوق.[3]

وثمرة النخل من التمر التي تتميز بطعمها اللذيذ وخواصها المفيدة، ولأكنها لا ريح لها.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

---

١ انظر ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(٣٢)، وأبي الحسن السندي، في حاشيته على سنن ابن ماجه، (٩٣/١)، دار الجيل بيروت، وأبي عبد الرحمن محمد العظيم آبادي، عون المعبود، (١٣، ١٢٢)، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٤١٥هـ). وأبي الفضل عياض، مشارق الأنوار، (١٦/١)، المكتبة العتيقة.
٢ انظر محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، (٦٤٤/٤)، دار الوطن، الرياض، (١٤٢٦هـ)، ونشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم، (١/ ٥٧٩)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصرة، بيروت، الأولى(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٣ محمد علي بن محمد الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، (٤٨٠/٦)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة: (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٥١٣/٥).

تظهر من قوله عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ القرآن)ومن قوله صلى الله عليه وسلم: (وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لَا يَقْرَأُ القرآن).

وفيه تشبيه الإيمان بالطعم الطيب لكونها خير في الباطن وهو لا يظهر لكل أحد والقرآن بالريح الطيبة وذلك لأنه ينتفع بسماعه كل أحد ويظهر حسنه لكل سامع. وفيه أن الناس أصناف منهم طيب قلبه لثبات الإيمان واستراحته بقراءة القرآن واستراحة الناس بصوته وثوابهم بالاستماع إليه والتعلم منه، وآخر من حيث طيب باطنه لثبات الإيمان فيه وعدم استراحته بشيء يظهر منه، والمراد نفي قراءته ما عدة الواجب منه كالفاتحة.[1]

المطلب الرابع: شرح المثل.

إن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب أمثلة للمؤمن فالناس أصناف صاحب قول قرآني وحال إيماني فهم أفضل الخلق وصاحب حال إيماني وليس له قول.أي إما أن يكون قارئا للقرآن، فهو من حيث طيب قلبه لثبات الإيمان واستراحته بقراءة القرآن واستراحة الناس بصوته وثوابهم بالاستماع إليه والتعلم منه، وعبر بقوله يقرأ لإفادة تكريره ومداومته عليها حتى صارت دأبه وعادته. فهذا الحديث الشريف تضمن المدح والثناء للمؤمن القارىء للقرآن وإخلاصه فيها لله تعالى. ويرجون من وراء ذلك عظيم الأجر وجزيل الثواب منه. ولا يكون ذلك إلا بعد معرفة بالله تعالى. تلزم منها توحيد القصد والطلب بالإخلاص في العبادة. فإن كان قارئا له فمثله كمثل الأترجة يعني الثمرة ريحها طيب وطعمها طيب وهي أحسن الثمار الشجرية وأنفسها عند العرب لحسن منظرها صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ريحها طيب وطعمها طيب يفيد المعدة وقوة الهضم ومنافعها كثيرة مكتوبة في كتب الطب فكذلك المؤمن القارئ طيب الطعم لثبوت الأيمان في قلبه وطيب الريح لأن الناس يستريحون بقراءته ويحوزون الثواب بالاستماع إليه ويتعلمون القرآن منه. وإما أن يكون غير قارئ للقرآن ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها، فهو من حيث باطنه طيب حلو لثبات الإيمان، فاشتماله على الإيمان كاشتمال التمرة على الحلاوة، بجامع أن كلاّ أمر باطني، وعدم ظهور ريح لها يستريح الناس لشمه لعدم ظهور قراءة منه يستريح الناس بسماعها ونفى النبي صلى الله عليه وسلم ريحها لأنه ليس بريح طيب وإن كان كل شيء له رائحة لكن ليست رائحتها ذكية لكنها حلوة طيبة هذا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن إذا فالمؤمن القارئ للقرآن أفضل بكثير من الذي لا يقرأ القرآن ومعنى

---

[1] انظر المراجع السابقة، وأبي الحسن السندي، في حاشيته على سنن ابن ماجه، (٩٣/١).

لا يقرؤه يعني لا يعرفه ولم يتعلمه، وقيل من حيث إنه مؤمن غير تال في الحال الذي لا يكون فيه تاليا وإن كان ممن حفظ القرآن.[1]

من فوائد المثل:

١. إن قراءة القرآن لا تقبل إلا إذا صاحبها الإيمان. فالإيمان شرط أساسي إذ هو قاعدة البناء الديني لأن المشركين قاموا بخدمة الكعبة، وإطعام الحجيج وقرى الضيف، وغير ذلك من أعمال الخير. وأهل الكتاب من قبلهم، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولكن لم ينفع الجميع عملهم الصالح من غير إيمان.[2]كما لم ينفعهم إقرارهم بتوحيد الربوبية من غير أن يأتوا بتوحيد الإلوهية. وأنه خص الإيمان بالطعم وصفة الحلاوة بالريح في المثل لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن. والطعم ألزم للشيء من الريح.[3] فقد يذهب ريحه ويبقى طعمه وأشار بضرب المثل إلى أمور منها أنه ضربه بما يخرجه الشجر، للمشابهة بينه وبين الأعمال. فإنها من ثمرات المعرفة والإثبات. ومنها أنه ضرب مثل المؤمن بما يخرجه الشجر، دليلاً على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله. وذلك لأن تعبده لربه حاصلاً من معرفته لربوبيته لله تعالى، وبهذا يتبين بناء الألوهية على الربوبية.
٢. بيان أن المؤمن الذي يقرأ القرآن خير من المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، وأن قراءة القرآن فيها هداية للإنسان وزيادة في الإيمان، فيدل ذلك على أن الإيمان يزيد وينقص. وتظهر من التفرقة بين التشبيهين، الذي يقرأ والذي لا يقرأ.فيزيد الإيمان بالطاعات ومنها قراءة القرآن.
٣. بيان أن أسباب الهداية تكون من الإنسان. ومنها قراءة القرآن.
٤. إن استمرار الهداية وزيادتها تكون بالاعتصام بالله تعالى وبالقرآن، وزيادة التعلم منه والاهتداء به وبهدي من بعث به رحمة للعالمين.

المثال الخامس:

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ له عَمَلًا يَوْمًا إلى اللَّيْلِ على أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا له إلى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لنا إلى أَجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لنا وما عَمِلْنَا بَاطِلٌ فقال لهم لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا

[1] انظر ابن تيمية، النبوات، ص(٧٠)، وأبي الحسن علي بن محمد الهروي، مرقاة المفاتيح، (١٠/٥)، محمد علي بن محمد الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، (٤٧٩،٤٨٠/٦)، عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٥١٣/٥).
[2] انظر الزحيلي، التفسير المنير، (٥ / ٢٨٨).
[3] انظر ابن جرير، في تفسيره، (٦٦/٩).

وَتَرَكُوا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هذا وَلَكُمَا الذي شَرَطْتُ لهم من الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حتى إذا كان حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ قالا لك ما عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الذي جَعَلْتَ لنا فيه فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا ما بَقِيَ من النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا له بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حتى غَابَتْ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ ما قَبِلُوا من هذا النُّورِ).[١]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل مكون من تشبيه أمور عقلية بأمر من الأمور المحسوسة، ويتم إيضاح كل من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي.

وهو مثل لبناء استحقاق الإلوهية على الربوبية وذلك أن العالم لا ينفعه علمه بربه بغير عمل بما علم وعلى الوجه الذي شرعه تعالى. ومثله بالأجير الذي لا يعمل كامل عمله فهو لا يستحق الأجر. والممثل به والممثل له كلاهما عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ظهرت صورة الممثل به في الحديث ظاهرة جلية فغالب ألفاظ المثل دلت عليه وتظهر من قوله عليه السلام: (رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ له عَمَلًا يَوْمًا إلى اللَّيْلِ على أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا له إلى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لنا إلى أَجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لنا وما عَمِلْنَا بَاطِلٌ فقال لهم لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هذا وَلَكُمَا الذي شَرَطْتُ لهم من الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حتى إذا كان حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ قالا لك ما عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الذي جَعَلْتَ لنا فيه فقال لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا ما بَقِيَ من النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا له بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حتى غَابَتْ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا). وهو مكون من المستأجر والأجير والعمل الذي يعمله الأجير ومدته والأجرة على العمل.

الإجارة هي: العقد على المنافع بعوض وهو مال وتمليك المنفعة بعوض إجارة وبغيره إعارة.[٢]

---

١ رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الإجارة، باب: الإجارة من العصر إلى الليل، ح(٢١٥١)، (٧٩٢/٢).
٢ محمد عبد الرووف المندي، التعاريف، ص(٣٥).

وآجره يؤجره: إذا أثابه وأعطاه الأجر والجزاء، و أَجَرَهُ الله من باب ضرب ونصر، الأَجيرُ: المستأْجَرُ، وجمعه أُجَراءُ، و الأُجرةُ الكراء تقول استأجَرْتُ الرجل فهو يأجرني ثماني حجج أي يصير أجيري و أَتَجَر عليه بكذا من الأجر فهو مُؤْتَجِرٌ.[١]

صورة الممثل به:

هو ذلك الرجل الذي استأجر جماعة يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم محدد لهم فعملوا له إلى نصف النهار أي أنهم لم يكملوا المدة المحددة لهم فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا العمل واستأجر أجيرين بعدهم فقال لهما: أكملوا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال لهما: أكملا بقية عملكما فإن ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين وفي روية أنه ضاعف لهم الأجر وعندما اعترض السابقون لهم قال لهم: هل ظلمتكم في أجركم ؟ قالوا: لا .فقال لهم: إنما هو مالي أهبه لمن أشاء.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر من قوله صلى الله عليه وسلم (مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) ومن قوله: (فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ ما قَبِلُوا من هذا النُّورِ) ومن المعطيات السابقة ومن صورة الممثل له يتبين أن صورة الممثل له هي:

بيان أن اليهود والنصارى لم ينفعهم علمهم عندما تركوا العمل به، وهذا مثل ضربه رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لليهود وإيمانهم بموسى وكفرهم بعيسى عليهما السلام ، وللنصارى وإيمانهم بعيسى وكفرهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين وإيمانهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – إلى يوم القيامة.

فبدأ باليهود وأَن اللهَ سبحانه أخذ الميثاق على اليهود بالإيمان بالله تعالى وبرسله إلى يوم القيامة. فأمنوا بموسى عليه السلام إلى مبعث عيسى عليه السلام فقالوا: عندما دعوا للإيمان بعيسى لا حاجة لنا إلى أجرك وذلك كفرهم بعيسى عليه السلام. وتركهم العمل وما عملنا باطل: إشارة إلى إحباط عملهم ثم

---

١ انظر أبو السعادات محمد الجزري، النهاية في بلوغ الأثر، (٢٥/١)، والرازي في مختار الصحاح (٣)، وأبن منظور في لسان العرب (١٠/٤).

استأجر آخرين بعدهم. وهم النصارى فعملوا إلى مبعث محمد – صلى الله عليه وسلم —تركوا العمل وقالوا بكفرهم بإتباع محمد – صلى الله عليه وسلم . وقوله: (إن ما بقي من النهار شيء يسير).أي ما بقي من الدنيا، ثم استأجر آخرين بعدهم، وهم المسلمين من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم — فعملوا بقية يومهم حتى غياب الشمس أي قيام الساعة واستكملوا أجر الفرقين كليهما وذلك بأيمانهم بالأنبياء الثلاثة، وعدم تركهم العمل بما علموا كما فعل من قبلهم.

المطلب الرابع: شرح المثل.

قد بين ابن حجر . رحمه الله تعالى . وغيره[1] هذا المثل هو أن الله تعالى قال لليهود: آمنوا بالله تعالى وبرسله إلى يوم القيامة فآمنوا بموسى عليه السلام إلى أن بعث عيسى عليه السلام فكفروا به وذلك في قدر نصف المدة التي من مبعث موسى عليه السلام إلى قيام الساعة فقولهم لا حاجة لنا إلى أجرك إشارة إلى أنهم كفروا وتولوا واستغنى الله عنهم وهذا من إطلاق القول وإرادة لازمه لأن لازمه ترك العمل المعبر به عن ترك الإيمان. وذلك لأن كفرهم بتوحيد الألوهية يبطل إقرارهم السابق بتوحيد الربوبية، وقولهم وما عملنا باطل إشارة إلى إحباط عملهم بكفرهم بعيسى عليه السلام، إذا لا ينفعهم الإيمان بموسى عليه السلام وحده بعد بعثة عيسى عليه السلام وكذلك القول في النصارى إلا أن فيه إشارة إلى أن مدتهم كانت قدر نصف المدة، فاقتصروا على نحو الربع من جميع النهار وقولهم ولكم الذي شرطت لهؤلاء من الأجر يعني الذي قبلهم وقوله فإنما بقي من النهار شيء يسير، أي بالنسبة لما مضى منه والمراد ما بقي من الدنيا وقوله واستكملوا أجر الفريقين أي بإيمانهم بالأنبياء الثلاثة وتضمن الحديث الإشارة إلى قصر المدة التي بقيت من الدنيا.[2]

وهذا مثل مضروب لعمل اليهود والنصارى فإن اليهود طال زمن عملهم وزاد على مدة النصارى، فلهذا جعل عمل اليهود من أول النهار إلى وقت الظهر وجعل عمل النصارى من الظهر إلى العصر ثم قد اتفق أيضا تقديم اليهود على النصارى في الزمان مع طول عمل أولئك، وقصر عمل هؤلاء فأما عمل المسلمين، فإنه جعل ما بين العصر إلى المغرب وذاك أقل الكل في مدة الزمان. فربما قال قائل فهذه الأمة قد قاربت ستمائة سنة من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون زمانها أقل فالجواب أن عملها أسهل وأعمار المكلفين أقصر والساعة إليهم أقرب فجاز لذلك أي يقلل زمان عملهم.[3]

---

١ انظر بدر الدين محمود العيني، في عمدة القاري، (٥/٥٤،٥٣).
٢ انظر أبن حجر، في فتح الباري، (٤/٤٤٨).
٣ انظر أبو الفرج الجوزي، في كشف المشكل، (١/ ٤١٦،٤١٧).

وهذه البشارة من أفضل ما بشر به النبي- صلى الله عليه وسلم – أمته أن يعطيهم الله تعالى أجر اليهود والنصارى مع قصر أعمارهم وقلة أعمالهم بالنسبة لأعمار اليهود والنصارى، وهذا المعنى في آخر سورة الحديد من كتاب الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾[1] وذلك لأنهم آمنوا بالله تعالى ورسوله إلى قيام الساعة. أي المداومة على العمل، مع الإخلاص في العبادة فالذي حملهم على ذلك هو صدق معرفتهم بربهم وإبتغاء الأجر من الله تعالى.

من فوائد المثل:

١. إن من آمن وعمل من اليهود باليهودية ثم آمن بعيسى عليه السلام وعمل بشريعته، له أجره مرتين وكذلك النصارى إذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث صحيح (وَأَيُّمَا رَجُلٍ من أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ).[2] وكذلك فيمن ماتوا منهم قبل النسخ بنبي بعده. وهذا المثل يوضح بناء استحقاق الألوهية على الربوبية. وهو فيمن آمن بنبيه والنبي الذي بعده. وأن عمله يتضمن إيمانه، وفيمن حرف أو كفر بالنبي الذي بعث بعد نبيه ويظهر من قوله: لا حاجة لنا إلى أجرك. إشارة إلى أن تحريفهم الكتب وتبديلهم الشرائع وتركهم العمل بما علموا حرمهم الأجرة لجنايتهم على أنفسهم حين امتنعوا من تمام العمل الذي ضمنوه فحبط عملهم السابق.

٢. إن التوحيد علمي اعتقادي وعملي طلبي، والعملي متضمن للعلمي، فإذا علم العبد أن ربه لا شريك له في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته نتج عنه أن يعمل على طاعته وعبادته، ومن عبد إلهه ووحده يكون قد اعترف أولًا بأن لا رب غيره، ولا يجوز العكس لأن القلب يتعلق أولًا بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية.[3] يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية".[4]

---

١ سورة الحديد آية، (٢٨).

٢ رواه البخاري في الصحيح كتاب: النكاح، باب: اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، ح(٤٧٩٥)، (١٩٥٥/٥).

٣ انظر محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٢٣،١٢٤). وصالح بن فوزان الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،(١٦٠/٢).

٤ ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١٣٥/٢)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

٣. بيان أن من عرف الله تعالى حق معرفته، اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده وإخلاص الدين له وشكره بلسانه وقلبه وجوارحه، وابتعد عن تعلقه بالمخلوق.

خلاصة مبحث: الأمثال المضروبة لبناء استحقاق الألوهية على الربوبية.

الإيمان قول وعمل و اعتقاد فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهو يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.[١]

إن من قال: الإيمان مجرد المعرفة فقط ومن غير تصديق هو من جنس إيمان مشرك العرب وإبليس وفرعون وهامان وغيرهم لكن لما لم ينطقوه بألسنتهم ولم يعملوا بجوارحهم لم تنفعهم هذه المعرفة. وبذلك يكون نقضهم معرفتهم السابقة التي أقروا بها ويكون إيمانهم بها حجة عليهم.

وكذلك من قال الإيمان هو التصديق فقط من غير عمل لم ينفعهم ذلك وهو من جنس ما قال اليهود والنصارى وقال تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾[٢] أي: إلا تلاوة من غير فهم معناه،[٣] وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فعمل به. فهو يعلم أن الإيمان يزيد وينقص وذلك أن مثل هذا إذا نصح تقبل النصيحة وسمعها وتمنى الإقلاع مما هو فيه، لأنه يعلم أن ذنبه يضره وينقص إيمانه، ولذا فإنه يحدث نفسه بالإقلاع عن الذنب، وأما من يعتقد أن العمل لا يدخل في الإيمان وإنه لا يزيد ولا ينقص فمثل هذا إذا وعظ في فعل الطاعات أو في ترك المعصية، استنكر النصيحة، لأنه يراها في غير محلها، فهو يعتقد أن إيمانه لايتضرر بما يفعله من معاصي، وأن إيمانه لاينقص بترك الطاعات، وبهذا صار كثير من المسلمين يفعلون المعاصي، ويدبرون عن الطاعات بنفور ظاهر.

---

١ انظر ابن تيمية، توحيد الألوهية، (٧/ ٣٣٤، ٣٦٠، ٦٧٢)، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، السنة، (١/ ٣٤٣)، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الأولى: (١٤٠٦هـ). جعفر بن محمد الفريابي، الغرباء، ص(٧٤)، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتب، الكويت، الأولى: (١٤٠٥هـ).
٢ سورة البقرة آية، (٧٨).
٣ انظر الطبري، في تفسيره، (٣٧٥/١).

وقد قال العلماء واصفين هؤلاء المغترين: " اغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان لا يعذب مثلهم، ولو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم إنما يراد لمعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل فلا قيمة له دون العمل".[1]

وبما أن العمل ثمرة العلم، فإن من لم يعمل بعلمه، شبهه الله تعالى باليهود الذين مثلهم بأقبح صورة وهي صورة الحمار الذي يحمل الكتب ولا ينتفع بها، وصورة المنسلخ من جلده، وصورة الكلب الدائم اللهث، وصورة الأجير الذي لم يتم عمله فلم يستحق الأجر، وذلك للتنفير من ترك العمل بالعلم. وكذلك العمل بغير علم ولا إيمان لا يقبل، ولذلك ضرب الله تعالى ورسوله الأمثال ليبين لكل إنسان استحقاق الألوهية على الربوبية، فشبه الله تعالى المؤمن الذي يعبده تعالى بالزرع الذي يعجب زراعه، ويغيظ الكفار. وكان المؤمن الذي يقرءا القرآن أفضل من المؤمن الذي لا يقرءا القرآن.

وقد احتج الله تعالى بتوحيد الربوبية على المشركين. داعيًا الناس لتوحيد الألوهية؛ لأن القادر على الخلق والأمر والتدبير يستحق أن يكون إلهًا يعبد، والعاجز عن ذلك لا يستحق أن يكون إلهًا، فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾.[3]

والقرآن مملوء بهذه الآيات التي تدعو لتوحيد العبادة عن طريق الاحتجاج بتوحيد الربوبية المركوز في الفطرة، لأنه ما دام أنهم مقرون بربوبيته فينبغي أن يتخذوه إلهًا لهم دون غيره، وإذا كانوا مقرين ببطلان ربوبية ما سواه فإلهية ما سواه باطلة كذلك. ومن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر.فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية.[4]

المبحث الرابع: الأمثال المضروبة في أثر التوحيد في قبول الأعمال.

تمهيد:

---

١ محمد جمال الدين القاسمي، موعظة المؤمنين من أحياء علوم الدين، ص(٢٦٠)، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الحنان، دار الكتب العلمية ، بيروت، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م).

٢ سورة البقرة آية، (٢١).

٣ سورة الأعراف آية، (١٩١).

٤ انظرمحمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٢٤)، وصالح بن عبد الله العبود، عقيدة محمد بن عبد الوهاب، (١١٢٤/٢).

ولا شك أن من تأمل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فسوف يعلم علماً يقينياً أن التوحيد والإخلاص لا بد منه، وذلك أنه أول ما يجب ويشترط من أمور العقيدة والإيمان، وإن الإخلاص وموافقة الشريعة، شرطان لقبول الأعمال حتى المباحة منها،[1] وإذا أراد الإنسان أن تكون أعماله جميعها في ميزان حسناته فيجب أن تكون خالصة لله كما قال تعالى:﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾[2] أي خالصة لوجه الله تعالى.[3] وقال تعالى:﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾[4] أي أصوب وأخلص لله تعالى. فإنه تعالى يقبل من المخلصين أعمالهم الصالحة وإن كانت قليلة، ولا يقبل من المشركين أعمالهم وإن كانت كثيرة قال تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[5] وأما الإخلاص فإنه يثمر الأعمال الطيبة الدائمة.

وفيما يلي عرض لأبرز الأمثال المضروبة في بيان أثر التوحيد في قبول العمل:

المثال الأول:

قال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[6]

المثال الثاني:

---

١ انظر سعد الدين ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها، (٢٦/١)، مكتبة الرشد، الرياض، وحامد بن محمد بن حسين بن محسن، فتح الله الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص(١٤٦)، دار المؤيد، الأولى: (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، عبد الهادي بن محمد العجيلي، التجريد في شرح كتاب التوحيد، (١٢٠/١)، تحقيق: حسن بن علي العواجي، أضواء السلف، الرياض، الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٢ سورة الكهف آية، (١١).

٣ أنظر عبد الرزاق لصنعاني في تفسيره (٤١٤/٢)، دار الكتب العلمية، وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى،(١٤١٩هـ)، و ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٩/١٦)، و ابن كثير في تفسيره (١٠٩/٣) وغيرهم ممن فسر الآية الكريمة.

٤ سورة الملك آية، (٢).

٥ سورة الفرقان آية، (٢٣).

٦ سورة إبراهيم آية، (٢٤،٢٥).

قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عليها صَاحِبُهَا فلم تَغَيَّرْ ولم تَنْقُصْ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّباً وَوَضَعَتْ طَيِّباً وَوَقَعَتْ فلم تَكْسِرْ ولم تُفْسِدْ).[1]

المثل الثالث:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الرعد والحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها).[2]

المثال الأول:

فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

و في هذا المثل شبه أمراً معقولاً، هو قول لا إله إلا الله، والإيمان القائم في قلوب المؤمنين بأمر محسوس: وهو الشجرة الطيبة أي بالنخلة الثابت في الأرض وفروعها في السماء، والمثمرة في كل حين.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

١ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(٦٨٧٤)، (٣٦٠/٥)، و ابن حبان، في صحيح ابن حبان، ح(٢٤٧)، (٤٨٢/١)، و أبو بكر البيهقي، في شعب الإيمان، ح(٥٧٦٦)، (٥٨/٥)، وقال عنه الألباني صحيح، في السلسلة الصحيحة، ح(٢٢٨٨)، (٥/ ٣٦٠).

٢ رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرك،ح(٢٤٦)، (١٤٥/١)، وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجانه ، وأبو يوسف يعقوب القسوي، المعرفة والتاريخ، ح(١٥٣٩)، (١٧٣/١)،تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). وابن عبد البر التمري، في التمهيد لأبن عبد البر، (٥٩/٢٤)، وقال عنه الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٧١٤)، (٢٩٠/٤).

٣ سورة إبراهيم آية، (٢٤،٢٥).

لقد أظهرت الآية صورة الممثل به في قوله تعالى: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.[1] وهو مكون من الشجرة الطيبة، والأصل الثابت، والفرع المتجه إلى السماء، والثمار.

وقوله كشجرة طيبة: هي النخلة، وهذا ما قاله غالب المفسرين،[2] والمراد بها شجرة طيبة الثمرة، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة والتي هي النخلة وقيل: هي شجرة في الجنة.٣ وقد ذكر القولين ابن القيم ـ رحمه الله ـ وجمع بين القولين فقال: " من قال من السلف: إنها شجرة في الجنة، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة".[4]

وكذلك ما دل عليه صلى الله عليه وسلم حين سأل فقال: (أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أو كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا وتُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ قال بن عُمَرَ فَوَقَعَ في نَفْسِي أنها النَّخْلَةُ وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فلما لم يَقُولُوا شيئا قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هِيَ النَّخْلَةُ).٥

وقوله: ـ عز ذكره ـ أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض أي باق متمكن في الأرض لا ينقلع وفرعها وهو أعلاها في السماء يقول مرتفع علوا نحو السماء و أصل النخلة ثابت في الأرض، "أي عروقها تشرب من الأرض وتسقيها السماء من فوقها، فهي زاكية نامية".[6]

وفرعها في السماء وإذا كان فرعها في السماء دل على حسنها من وجهين الأول: ارتفاع أغصانها وقوتها وتصعدها يدل على ثبوت أصلها ورسوخ عروقها، والثاني: إذا كانت مرتفعة كانت بعيدة عن أقذار الأرض فكانت ثمرتها نقية طاهرة من جميع الشوائب.[7]

---

١ سورة إبراهيم آية، (٢٤،٢٥).
٢ انظر الطبري في تفسيره، (٢٠٤/١٢)، وأبو محمد البغوي في تفسيره، (٣٧/٣)، والحاكم النيسابوري، في المستدرك، (٣٨٣/٢)، والسيوطي، في الدر المنثور(٢٣/٥)، و وهبة بن مصطفي الزحيلي، في التفسير المنير، (٢٤٢/١٣).
٣ انظر الطبري ، في تفسيره، (٢٠٦/١٢)، و البغوي ،في تفسيره، (٣٧/٢).
٤ ابن القيم، أمثال القرآن، ص (٦٥).
٥ رواه البخاري في الصحيح،كتاب: التفسير، باب: قوله كشجرة طيبة... ،ح (٤٤٢)، (١٧٣٥/٤).
٦ القرطبي في تفسيره، (٣٥٩/٩).
٧ انظر بدر الدين العيني، عمدة القارى، (٥/١٩)، والزحيلي، التفسير المنير، (٢٤٣/١٣).

تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي تثمر كل وقت وقّته اللّه لإثمارها بإرادته. ولما كانت الأشجار تؤتي أكلها كل سنة مرة، كان ذلك في حكم الحين. وأما النخلة فيأكل ثمرها كل حين من الوقت في الصيف والشتاء وفي الليل والنهار ويأكل في جميع مراحل نضجه رطباً ويابساً.

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل به هي:

صورة النخلة التي أصلها ثابت في الأرض لا ينقلع بثبات جذورها ولها جذع وفروعها وأغصانها مرتفعة إلى السماء، تؤكل ثمارها في الشتاء والصيف، وبكرة وعشية في كل حين.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

لقد برزت صورة الممثل له من قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾[1]

وبقية حال الممثل له يمكن الاستدلال عليها من الممثل به. وذلك أن صورة الممثل به اغلبها عبارة عن وجه شبه مشترك بين الممثل به والممثل له، ومن خلال التأمل والقياس عليها استخلاص حقيقة الممثل له.

وكما أورد المفسرون عدة معاني في المقصود بالشجرة كذلك فعلوا في المراد بالكلمة الطيبة،[2] قال ابن عباس و جمهور المفسرين: الكلمة الطيبة لا إله إلا الله والشجرة الطيبة المؤمن. وقيل غيره: الكلمة الطيبة الإيمان. وقيل: هي المؤمن نفسه.

صورة الممثل له:

هي: أصل هذه الكلمة لا إله إلا الله راسخ وثابت في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق وهو الإيمان، والمقصود بالفرع في السماء: يكون المؤمن يعمل في الأرض ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في الأرض، فإذا تكلم بها صعدت فلا تحجب حتى تنتهي إلى اللّه عزّ وجلّ.[3]

---

١ سورة إبراهيم آية، (٢٤).

٢ انظر الطبري في تفسيره، (٢٠٤،٢٠٢/١٢)، وعبد الله القرطبي، في تفسيره، (٣٥٩/٩)، والسيوطي، في الدر المنثور،(٢٢١،٢٢٠/٥)، وابن كثير في تفسيره، (٥٢١/٢).

٣ انظر حامد بن محمد بن حسين، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، ص(١١٩)، تحقيق: بكر بن عبد عبد الله أبو زيد. دار المؤيد، الأولى(١٤١٧هـ /١٩٩٦م).وحافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (٤١٢/٢). ومحمد بن جرير الطبري، في تفسيره، (٥٦٨/١٦)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

المطلب الرابع شرح المثل:

أتى هذا المثل عقب آية قرآنية في بيان موقف المؤمنين فهو موقف أصحاب الحق والإخلاص لله تعالى، فلهم الجزاء الحسن لما عملوا من الصالحات فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتحيتهم فيها سلام.قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾[1] يعقب بيان هذا الموقف ذكر المثل القرآني الذي تعرض للكلمة، وما لها من تأثير في النفس والقلب، و إظهار أثرها في قبول الأعمال.

فالكلمة الطيبة هي كلمة الحق وهي أساس قبول الأعمال فلا يقبل الله تعالى الأعمال إلا إذا كانت خالصة له تعالى ويكون هذا بثبات ورسوخ كلمة التوحيد في نفس المؤمن عارفا لمعناها عاملا لمقتضاها، تثمر الأعمال الصالحة المقبولة عند الله تعالى. فكان هذا المثل من أجمل وأكمل ما يقرب ويوضح المعني لنفس المؤمن.

فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح المقبول عند الله تعالى، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع والمقبول.[2]

والكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله تعالى فهي التي تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة المقبولة عند الله تعالى. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد الراسخة في قلب المؤمن بالنخلة الطيبة الثابتة الأصل في الأرض والباسقة الفروع في السماء متجهة إلى العلو، التي تؤتي ثمارها كل حين في الصيف الشتاء وفي الليل والنهار، فثمارها تأكل في جميع فصول السنة، لأنها تأكل رطبة ويابسة.

وإذا تأملنا هذا التشبيه نجد أنه مطابق لشجرة التوحيد الراسخة في قلب المؤمن وفروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء وهي تثمر الأعمال الصالحة المقبولة كل وقت بحسب ثباتها في قلب المؤمن، فأصل الكلمة في قلب المؤمن– وهو الإيمان– شبهه بالنخلة في رسوخ منبتها، وشبه ارتفاع عمله في السماء بارتفاع فروع النخلة نحو السماء، وثواب الله له بالثمر. فمن عرف حقيقتها في قلبه، وشهد بها لسانه، وصدقتها جوارحه، فلا شك أنها لا تزال تؤتي ثمارها من العمل الصالح المقبول والصاعد إلى الله كل وقت و كل حين وكل ساعة من النهار وكل ساعة من الليل وبالشتاء والصيف، فيرفع العمل الصالح الكلمة

---

١ سورة إبراهيم آية، (٢٣).

٢ انظر حامد بن محمد بن حسين، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، ص(١١٩)، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد..وحافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (٤١٢/٢). ومحمد بن جرير الطبري، في تفسيره، (٥٦٨/١٦)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

الطيبة كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ﴾[1] ووجه الشبه في تمثيل الشهادة والتي هي الإيمان بالشجرة أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان فوجود الصفات الثلاث في جانب المشبه به حسية بينما هي في جانب المشبه معنوية.[2]

وهو تشبيه المعنويات بالحسّيات المشاهدات، لترسيخ المعاني في الأذهان، كما هو الشأن في بيان القرآن الوصفي البليغ المحكم. وبهذا يظهر واضحا جليا أثر التوحيد في قبول الأعمال.

من فوائد المثل:

١. إن الكلمة الطيبة هي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن: لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، إذ لا تصح الأعمال إلا به، فهو أصلها الذي تبنى عليه، ومتى لم يوجد، لم ينفع العمل، وهي تتضمن العلم والعمل مع القول، فلا يكتفي ببعض ذلك؛ بل لابد من العلم والعمل والقول.
٢. إن التوحيد أعظم العدل وأقومه، وأصل الدين. وذلك بأن يكون الدين كله لله قولاً وعملاً واعتقاداً بإخلاص هذه الكلمة الطيبة في لفظها ومعناها، وروح هذه الكلمة إفراد الله– جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره– بالمحبة والإجلال، والتعظيم والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، ولا يخاف سواه، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يعمل عملاً قد تعبد الناس به إلا أفرده به، ولا يشرك غيره معه، فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قولاً وعملاً واعتقاداً.[3]

---

١ سورة فاطر آية، (١٠).
٢ انظر ابن القيم، في أمثال القرآن، ص(٦٥)، وأبو محمد البغوي، في تفسيره، (٣٧/٣)، و مصطفى درويش، في إعراب القرآن وبيانه، (١٨٨/٥)، و محمود بن عبد الرحيم الصافي، في الجدول في إعراب القرآن، (١٨٥/١٣).
٣ انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص(٩٤)، والتوضيح عن توحيد الخلق في جواب أهل العراق، ص(٢٨،٢٩،٣٠)، وعبد الطيف بن عبد الرحمن ال شيخ، الإتحاف في الرد على الصحاف، ص(٢٨)، تحقيق: عبد العزيز ال حمد، دار العاصمة، الأولى: (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، وأبي المعالي الألوسي، غاية الأماني في الرد على النبهاني (١ /٣٤١،٣٤٢)، تحقيق: أبو عبد الله الداني ال زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٣. إن ثواب الموحدين يكون في الدنيا وفي الآخرة، ويظهر في المثل من قوله تعالى: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[١] ومن قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ ﴾[٢]

المثال الثاني:

قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عليها صَاحِبُهَا فلم تَغَيَّرْ ولم تَنْقُصْ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّباً وَوَضَعَتْ طَيِّباً وَوَقَعَتْ فلم تَكْسِرْ ولم تُفْسِدْ).[٣]

المطلب الأول: بيان نوع المثل:

هذا المثل متضمن لذكر مثلين، وهما من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بهما عن طريق القياس التمثيلي.

وفي هذين المثلين: شبه أمر معقول: وهو الإيمان والتوحيد ورسوخه في قلب المؤمن وأثره في عمل المؤمن. بأمر مشاهد محسوس: وهو قطعة الذهب وعدم تغيرها وعدم نقصانها عند تعرضها للحرارة، وكذلك بالنحلة التي لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا فلم تكسر ولم تفسد.

وكل من المشبه به والمشبه له عبارة عن هيئة مركبة، كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي من المطالب.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ظهرت صورة الممثل به في قوله صلى الله عليه وسلم (لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عليها صَاحِبُهَا فلم تَغَيَّرْ ولم تَنْقُصْ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّباً وَوَضَعَتْ طَيِّباً وَوَقَعَتْ فلم تَكْسِرْ ولم تُفْسِدْ). والممثل به الأول مكون من قطعة الذهب، والنفخ عليها، و عدم التغير بعد النفخ.

قطعة الذَّهَبُ: "معدن ثمين".[١]

---

١ سورة إبراهيم آية، (٢٤،٢٥).
٢ سورة إبراهيم آية، (٢٤،٢٥).
٣ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(٦٨٧٤)، (٣٦٠/٥)، و ابن حبان، في صحيح ابن حبان، ح(٢٤٧)، (٤٨٢/١)، و أبو بكر البيهقي، في شعب الإيمان، ح(٥٧٦٦)، (٥٨/٥)، وقال عنه الألباني صحيح، في السلسلة الصحيحة، ح(٢٢٨٨)، (٥/ ٣٦٠).

نفخ عليه صاحبه: الذهب إذا أدخل النار بقي صفوه وذهب ما كان من كدر.٢

والقطعة من الذهب تسبك أي إذا أدخلت النار يعود وزنها مثله قبل سبكها لصفائها وخلوص جوهرها لأن الخالص من الذهب لا يحمل الخبث ولا يقبل الصدأ ولا تنقصه النار ولا يغيره مرور الوقت.[٣]

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل به هي:

صورة المعدن الثمين النفيس، إذا تعرض للشدة وأدخل النار لسبكه، فإنه يذهب خبثه، ويعود وزنه كما كان قبل سبكه لأنه لا تنقصه النار.

بيان صورة الممثل به الثانية:

وتظهر من قوله عليه الصلاة والسلام: (إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّباً وَوَضَعَتْ طَيِّباً وَوَقَعَتْ فلم تَكْسِرْ ولم تُفْسِدْ) وهو مكون من النحلة، وأكلها الطيب، وأنها وضعت طيباً، وإذا وقعت فلم تكسر ولم تفسد.

النحلة: بحاء مهملة يريد نحلة أو ذبابة العسل.[٤]

أكلت طيبا: أي طيب أكله وأنه لا يأكل من كسب غيره.[٥]

ووضعت طيباً: أي طيب داخلها وتنزهها عن الأقذار.[٦]

ووقعت فلم تكسر ولم تفسد: لضعفها وقلة مئونتها وكثرة نفعها.[٧]

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل به الثاني هي:

صورة النحلة التي لا تأكل إلا طيباً فهي لا تأكل من كسب غيرها، وتتنزه عن الأقذار، مع سعيها الجد في كسب عيشها، ولا يرجعها عن ذلك الظلمة ولا الرياح ولا النار ولا الدخان ولا غير ذلك عن

---

١ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، (٩٤/١).
٢ انظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (٣٣٤/٢)، والصنعاني، في تفسيره، (٦٣٤٩/٤).
٣ انظر أبو الحسن الرامهرمزي، أمثال الحديث، ص(٦٧).
٤ انظر ابن منظور، في لسان العرب، (٦٤٩/١١)، عبد الرءوف المناوي، فيض القدير (٥١٤/٥).
٥ انظر عبد الرءوف المناوي، في فيض القدير، (٥/ ٥١٤)، أبو السعادات المبارك، النهاية في غريب الأثر، (٢٨/٥).
٦ زين الدين عبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (٣٧٣/٢).
٧ انظر زين الدين عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٥١٤/٥).

كسب عيشها، وهي إن وقعت على شيء لم تكسره ولا تفسده وذلك لضعفها وقلة مئونتها وكثرة نفعها لنفسها وغيرها.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم (والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إن مَثَلَ الْمُؤْمِنِ)

وبقية حال الممثل له يمكن الاستدلال عليها من الممثل به، وذلك أن صورة الممثل به أغلبها عبارة عن وجه شبه مشترك بين الممثل به والممثل له.

وإذا أطلق لفظ المؤمن غالبا أنه يعني به المؤمن الذي تكاملت فيه خصال الإخلاص والخير باطنا وأخلاق الإسلام ظاهرا وهذا مثل للمؤمن وليس أي مؤمن بل الذي صح في توحيده وعقيدته فهو حين صحت عقيدته صحت أعماله في سرها وعلانيتها، وسائر أحواله، فالمؤمن في حال منشطه ومكرهه وعسره ويسره على بينة من ربه ويقين من أمره لا ينقصه الابتلاء ولا يزيله عن إيمانه، بل يزيده البلاء تثبيتا ونقاء وإخلاص، وتكون أعماله أصلح واقبل عن الله تعالى.

المطلب الرابع: شرح المثل.

ذكر رسول الله في المثل لفظ المؤمن. وذلك لأن الإيمان شرط لازم لقبول العمل الطيب. وكل عمل لا يسبقه إيمان بالله عمل ضال مردود على صاحبه.وذكر في المثل لفظ " أكلت طيباً ووضعت طيباً" فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه، فهو طيب لا يقبل إلا طيباً. فوصفها بالطيب المسبوق بالإيمان دليل على قبولها عند الله تعالى.

مثل الرسول صلى الله علية وسلم مثالاً للمؤمن المخلص والصادق في توحيده بمثل النحلة تارة وبالقطعة من الذهب تسبك فيعود وزنها مثله قبل سبكها لصفائها وخلوص جوهرها لأن الخالص من الذهب والقطعة الجيدة منه إذا وضعة في النار تخرج وهي لا تحمل الخبث ولا تقبل الصدأ ولا تنقصها النار ولا يغيرها مرور الأوقات "والذهب أسنى الجوهر وأشرفه ويقال للشيء في بلوغ الغاية في تفضيله وشرفه وخطره كأنه الإبريز الخالص وما هو إلا الذهب الأحمر "[1]

---

١ أبو الحسن الرامهرمزي، أمثال الحديث، ص (٦٧).

وكذلك المؤمن هو أشرف المخلوقات وهو في حال إصابته بالمصائب والبلاء على بينة من ربه ويقين من أمره لا ينقصه الإختبار ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تغير الأحوال، بل يزيد في يقينه وإيمانه وينقيه من الشرك، فتقبل أعماله بقدر إيمانه وإخلاصه فيها.

ومثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا ووجه المشابهة بينهما فطنة النحل وقلة أذاه وحقارته ومنفعته وقنوعه وسعيه في الليل والنهار وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله وأنه لا يأكل من كسب غيره ونحوله وطاعته لأميره وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تفتره عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السعة ونار الهوى.[1]

فكذا المؤمن لا يأكل إلا طيبا حلالاً. وهو الذي حلى بأمر ربه وبإخلاصه له، وإتباع شرعه فلذلك لا يصدر من باطنه وظاهره إلا طيب الأفعال. وصالح الأعمال فلا تصلح الأعمال إلا بعد طيب الغذاء للروح والجسد، وبقدر إخلاصه تنمو أعماله وتذكو، إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾[2] وهذا يدل على أن أكل الحلال الطيب عون على العمل الصالح من الأعمال الطيبة، المقبولة عند الله تعالى. وبهذا يظهر أثر التوحيد في قبول الأعمال عند الله تعالى.

من فوائد المثل:

١. إن البلاء للمؤمن من علامات الخير خلافًا لما يظنه كثير من الناس، فالمؤمن الصادق ينقاد إلى حكم الله ويرضى به ويقول: سمعاً وطاعة، وهو لا يجزعه البلاء، بل ينقيه من الذنوب كما تفعل النار في الذهب الخالص، تزيد من نقائه وصفائه، وهو بطيب المأكل يصح داخله وخارجه، وكذلك المؤمن نقي الباطن والظاهر، والله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له سبحانه وتعالى، فالإخلاص شرط من شروط قبول العمل وكذلك متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومن سار على سيرهم واهتدى بهم.[3]

١انظر عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٥١٢/٥)، و ابن منظور، لسان العرب، (٦٤٩/١١)، وأبو السعادت المبارك الجزري، النهاية في غريب الأثر، (٢٨/٥).

٢ سورة المؤمنون آيه (١٥).

٣ انظر سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص(٤٤٨)، محمد بن سعيد بن سليم القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، ص(٢١١)، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى. محمد بن سيد أحمد، الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص(٣٢٠)، مكتبة السوادي، جده، الطبعة: الخامسة: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). أبي المنذر محمود المنياوي، الجموع البهية للعقيدة السلفية، (٦٩/١)، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة: الأولى (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٢. والمؤمن بحاجة إلى الصبر أمام مواجهته المصائب التي تقع عليه؛ بأن يعلم أنها من عند الله؛ فيرضى، ويسلم، ويحبس نفسه عن الجزع الذي قد يظهر على اللسان أو على جوارحه ، وهذا من صميم العقيدة؛ لأن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وثمرته الصبر على المصائب، فمن لم يصبر على المصائب؛ فهذا دليل على فقدان هذا الركن أو ضعفه لديه.

٣. إن سلامة المعتقد والذي منه الرضا والصبر على المصائب وإتباع السنة. عليهما المدار في قبول الأعمال ونفعها للعبد في الدنيا والآخرة.

المثال الثالث:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الرعد والحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها)[١]

المطلب الأول: بيان نوع المثل:

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بهما عن طريق القياس التمثيلي.

و بهذا المثل: شبه أمر معقول: وهو الإيمان والتوحيد ورسوخه في قلب المؤمن وأثره في عمل المؤمن بعد تعرضه للبلاء من الحمى وكيف تنقي قلبه من كل أنواع الشرك و الذنوب التي وقع فيها. بأمر مشاهد محسوس: وهو قطعة الحديد عند إدخالها في النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها.

وكلٌ من المشبه به والمشبه له عبارة عن هيئة مركبة، كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي من المطالب.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ظهرت صورة الممثل به في قوله صلى الله عليه وسلم (كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها). وهو مكون من الحديدة، وإدخالها في النار، وذهاب الخبث، وبقاء الطيب.

الحَدِيدُ معروف سمي به لأنه منيع،[١] ويستعمل مثالاً في الصلابة والقوى لاتصافه بها.

---

١ رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرك،ح(٢٤٦)، (١/١٤٥)، وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجانه ، و أبو يوسف يعقوب القسوي، المعرفة والتاريخ، ح(١٥٣٩)، (١/١٧٣)،تحقيق: خليل منصور،دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).و ابن عبد البر التمري،في التمهيد لأبن عبد البر، (٢٤/٥٩)، وقال عنه الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٧١٤)، (٤/٢٩٠).

تدخل النار: لكي يصهر ويذاب،[2] وذلك عند سبكه فالنار تخرج الخبث من الحديد وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به.[3]

صورة الممثل به:

هو الحديد ذلك المعدن المتصف بالصلابة، وما يحدث له حين يدخل إلى النار لسبكه، فالنار تنقه من الشوائب وتخرج خبثه وتفصله عن جوهر الحديد الذي ينتفع به.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم (مثل العبد المؤمن حين يصيبه الرعد والحمى) وحال الممثل له هي عبارة عن وجه شبه مشترك بين الممثل به والممثل له.

العبد المؤمن: أي الموحد فبقدر إيمانه وإخلاصه يكون اختباره بقدر دينه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: حين سئل أي الناس أشد بلاء؟ (قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فإذا كان الرجل صلب الدين يبتلى الرجل على قدر دينه فمن ثخن دينه ثخن بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه).[4]

يصيبه الرعد والحمى: أي شدّتها التي هي حرارة غريبة بين الجلد واللحم فكأنه قال حمى شديدة أو خفيفة فكما أن الشديدة مكفرة فالخفيفة كذلك.[5]

صورة الممثل له:

هي صورة العبد المؤمن القوي وهو في حال أصابه البلاء على بينة من ربه ويقين من أمره لا ينقصه البلاء ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تغير الأحوال من صحة ومرض، فلا يقول ولا يعمل إلا طيباً، ويرضي الله تعالى، فتقبل أعماله بقدر إيمانه وإخلاصه فيها وعلى قدره يكون البلاء، والحمى شديدة أو خفيفة مكفرة لذنوبه منقية لأعماله.

---

١ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح،ص(٥٣).
٢ انظر أبو السعادت المبارك الجزري، النهاية في غريب الثر،(٦٣/٣).
٣ انظر ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٣٠).
٤ رواه وابن حبان، صحيح ابن حبان،ح(٢٩٠١)، (١٦١/٧)، والحاكم النيسابوري، في المستدرك، ح(١٢٠)، (١/ ٩٩)، كتاب: الصوم،وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، و أبو عبد الله المقدسي، الأحاديث المختارة، ح(١٠٥٦)،(٢٥٢/٣)، وقال إسناده صحيح، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح، السلسلة الصحيح، ح(١٤٣)، (٢٧٣/١).
٥ انظر عبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير،(٣٦٣/١)، وفيض القدير، (٣/٣).

المطلب الرابع: شرح المثل.

إن الله طيب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً فالذي يدخله شيء من إرادة النفس والدنيا من الرياء وغيره لا يكون طيباً ولا يكون خالصاً لله تعالى.فلا يكون مقبولاً. فهذا مثل للمؤمن القوي في إيمانه حين يصيبه البلاء من الحمى الشديدة أو الخفيفة، فهي لا تنقص من إيمانه شيئاً، فبقدر إيمانه يكون بلاؤه، وبهذا يظهر أثر التوحيد، في أعمال المؤمن من صبر وغيره، والبلاء يزيده إيمان ورضاً. وينقي أعماله من الخبائث ويبقى طيبها فقط.

كمثل الحديد المتصف بالقوى والصلابة، عند تعرضه للشدة بدخوله النار لسبكه، فيذهب خبثه من الأوساخ وما خالطه من غيره ويتركه طيب المعدن صافيا من كل شيء، وكذلك تفعل الحمى مع المؤمن قوي الإيمان لا يتغير مع البلاء بل يكون رضاه ظاهراً في أقواله وأفعاله والبلاء يصفيها من كل ما خالطها من الرياء وغيره، وتثمر العمل الصالح الطيب المشروع الظاهر والباطن. الدال على وجود العمل الطيب وجود الإيمان. وبهذا يظهر أثر التوحيد والإخلاص في عمل المؤمن وكيف ينقي التوحيد الأعمال من كل ما خلطها.[1]

من فوائد المثل:

١. التنبيه على رجاء الله وحسن ظن المؤمن بربه فيما يقضيه له مما يكره، فالقلب المؤمن حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائما. في السراء والضراء. ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين. وسبب ذلك أن قلبه موصول بالله. فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة، وأحس بها.
٢. إنّ حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ واجبٌ من واجبات التّوحيد. وهو يطلب من العبد في أمر دنياه وفي أمر آخرته، أما أمر دنياه: فأن يكون واثقاً بالله تعالى في إيصال المنافع إليه بسعي مأذون فيه ومأجور عليه، وبحيث لا يفوته ذلك شيئ من فرض ولا نفل، فيكون له بذلك سكوناً وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب. وأما أمر آخرته: فإن يكون قوى الرجاء في قبول أعماله الصالحة وتوفيت أجوره عليها في دار الجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لإمتثال الأمر والإكثار من الأعمال الخالصة لله تعالى.[2]
٣. اتصاف المؤمن بالطيبة. وطيبته لنفسه ولغيره وهذا مما تفضل الله عليه في الدنيا والآخرة. وتظهر من قوله: (ويبقى طيبها).

---

١ انظر عبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير،(٣٦٣/١)، وفيض القدير، (٣/٣).
٢ انظر أبي الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني المبار كفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٨٢/٧)، الجامعة السلفية، الهند، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٤هـ/١٩٨٩م)، وصالح بن فوزان الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (٢٤٧/٢).

خلاصة مبحث: الأمثال المضروبة في أثر التوحيد في قبول الأعمال.

إن الأمور العقدية تعد أصلاً للأمور العملية، وإن الأمور العملية تكون لها قيمة إذا كانت مسبوقة بهذه الأمور العقدية، وإذا كان الإيمان صحيحا فإن العمل يكون له قيمة، وأما إذا كان الإيمان باطلاً فإن العمل لا قيمة له، وإن ظاهر العمل ليس هو المقياس لقبوله، إنما المقياس هو صحة الإيمان، فلذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[1] يعنى أن الشرك يؤدي إلى حبوط العمل فلا يبقى للإنسان شيء يعطى أو لا يعطى عليه الثواب. ولذلك تسمى الأمور العملية بالفروع، وتسمى الأمور العقدية بالأصول وهي الأساس التي يبنى عليها العمل.[2]

وضرب الله تعالى ورسوله الأمثال الواردة في هذا المعنى، ومثل الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، والمؤمن القوي وصحيح الإيمان بقطعة الذهب وبالنحلة وبقطعة الحديد التي أدخلة النار فذهب خبثها وبقي طيبها، ومن هنا يتبين أن الكلمة الطيبة هي الشهادة وهي الأصل الذي يبنا عليه جميع الأعمال فلا تقبل الأعمال إلا بها. والكلمة الطيبة تتحقق بالعلم والقول والعمل والإعتقاد، وفي تلك الأمثال تنبيه للمؤمن على حسن الظن بربه في السراء والضراء.

فقال صلى الله عليه وسلم: (لَا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قال قِيلَ وما الْفَأْلُ قال الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ)[3]

فجعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وإن كان لا يملكه ولا يشربه. والفأل من طريق حسن الظن بالله.[4]

وفيها أيضاً أن البلاء للمؤمن منقي له من ذنوبه وهو خير له،[5] وغير ذلك كثير لما من ضرب الأمثال من زيادة التوضيح ووقع على القلب والنفس وتذكير وعظة وتصوير للمعاني، لأن تشبيه المعاني

---

١ سورة النساء آية، (١١٦).
٢ انظر أحمد بن عبد العزيز التويجري، الوهابية. ص(٢٢). دار السنة، الطبعة: الأولى: (١٤٢٨ه).
٣ متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح: كتاب: لا عدوى، باب: الطب، ح(٥٤٤٩)، (٢١٧٨/٥). ورواه مسلم في الصحيح، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ح(٢٢٢٤)، (١٦٤٦/٤).
٤ انظر محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي (٥٢٥)، دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٥ انظر مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، ص(٩٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤٢٦هـ).

المعقولة بالأمور المحسوسة يرسّخ المعاني، ويزيل الخفاء والشك فيها، ويجعلها كالأشياء الملموسة. وهذا يدعو الإنسان إلى التأمل والتدبر فيه، وفهم المقصود من هذه الأمثال وليعرف أثر التوحيد في قبول الأعمال.

المبحث الخامس: الأمثال المضروبة في بيان جزاء الموحدين.

جعل الله تعالى لكل عبادة شرعها لعباده جزاء وثماراً في الدنيا والآخرة، ولما كان التوحيد أعظم العبادات التي أوجبها الله على خلقه كان جزاؤه عليها عظماً،[1] ومن أعظم ثمرات التوحيد انشراح الصدر فليس هناك أعظم من هذه الثمرة العظيمة قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] فالهداية للتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر فكلما قوي التوحيد وكمل في القلب كان انشراح صدر صاحبه أكمل وأقوى.

ومن جزائه أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم فقلب الموحد معلق بربه خالق السماوات والأرض الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو وليهم قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[4] والله تعالى يدافع عن المؤمنين الصادقين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾[5] والتوحيد يورث يورث المحبة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾[6] أي أي بسبب إيمانهم يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين. ومن جزائه رفعة أهله في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[7]

---

١ انظر محمد يسري، طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، ص(١٧٩) ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الثانية: (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). وعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الشيخ عبد الرحمن بن سعد وجهوده في توضيح العقيدة، ص(١٥٨). مكتبة الرشد، الرياض، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م). ومحمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (٦١/١).

٢ سورة الأنعام آية، (١٢٥).

٣ سورة الزمر آية، (٢٢).

٤ سورة يونس آية، (٦٢).

٥ سورة الحج آية، (٣٨).

٦ سورة مريم آية، (٩٦).

٧ سورة المجادلة آية، (١١).

ومن أهم جزائه العيش الطيب في الدنيا وإعطائه الأجر في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا وذلك بدخول الجنة فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] وكذلك يجازى الموحدين في الدنيا بتحقيق لهم الأمن والهداية إلى الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[2] و **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[3] ومضاعفة الأجر والثواب، وقد ضرب الله تعالى ورسول الأمثال لبيان ذلك.

وفيما يلي عرض لأهم الأمثال المضروبة في بيان جزاء الموحدين.

المثال الأول.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[4]

المثال الثاني.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ ﴾[5]

المثال الثالث.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (من قال سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).[1]

---

١ سورة النحل آية، (٩٧).
٢ سورة الأنعام آية، (٨٢).
٣ سورة يونس آية، (٩).
٤ سورة البقرة آية، (٢٦١).
٥ سورة الرعد آية، (٣٥).

المثال الأول.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[٢]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل هو من أمثال القياس لأمور حسية بأمر آخر حسي وهو تشبيهي ويتم إيضاح كلٌ من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي.

والممثل به والممثل له كلاهما عبارة عن هيئة مركبة، كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

وفي هذا المثل شبه إنفاق المنفق في سبيل الله والذي يحثه على الإنفاق الإيمان في قلب المؤمن، بأمر محسوس وهو ما يزرعه الزارع من بذور فأنبتت سبع سنابل وفي كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد ظهرت صورة الممثل به في الآية في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ ﴾[٣]

وهو مكون من الحبة والسبع السنابل والسنبلة التي فيها مئة حبة.

وهي كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير أو الدخن وقيل القمح أو غير ذلك من الزرع الذي في سنبله مائة حبة والتي بذرها زارع.[٤]

صورة الممثل به هي:

---

١ متفق عليه رواه البخاري، قي الصحيح، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، ح(٦٠٤٢)، (٢٣٥٢/٥)، ورواه مسلم، في الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتهليل، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ح(٢٦٩١)، (٢٠٧١/٤).

٢ سورة البقرة آية، (٢٦١).

٣ سورة البقرة آية، (٢٦١).

٤ انظر الطبري، في تفسيره (٦١/٣)، والبغوي، في تفسيره، (٣٥٩/١). ومحمد رشيد رضا، في تفسير المنير، (٥١/٣).

صورة الحبة المباركة التي بذرها الزارع الحاذق في عمله، في أخصب أرض، فجاءت غلته مضاعفة في كل سنبلة مائة حبة، وذلك منتهى الخصوبة والنماء."و تضعيفها من ذاتها لا بشيء يضاف عليها"[1]

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2]

ومن قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] وهو مكون من نفقة الأموال و أن تكون في سبيل الله والمضاعفة لمن يشاء.

ينفقون أموالهم في سبيل الله: وهي نفقة المنفق في سبيل الله سواء كان المراد به الجهاد، أو جميع سبل الخير والبر.[4]

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: والله يضاعف لمن يشاء: فقال بعضهم الله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته مثل الذي أعطى المنفق في سبيله من التضعيف الواحدة إلى سبعمائة ضعف.

وقال آخرون: بل معنى ذلك والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة، إلى ألفي ألف ضعف.[5]

وقد رجح ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين القول الثاني فقال: "والذي هو أولى بتأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء، من التضعيف لمن يشاء من المنفقين في سبيله ".[6]

وقوله واسع: أي يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على السبعمائة وعليم من هو الذي يستحق منهم الزيادة.

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل له هي:

١ محمد الطاهر عاشور التونسي، في التحرير والتنوير، (٤١/٣).
٢ سورة البقرة آية، (٢٦١).
٣ سورة البقرة آية، (٢٦١).
٤ انظر إبن القيم، في أمثال القرآن، ص (٧٩)، و البغوي، في تفسيره، (٣٥٩/١)، ومحمد رشيد رضا، (٥١/٣).
٥ انظر الطبري، في تفسيره، (٦١/٣)، و أبن أبي حاتم، في تفسيره، (٥١٥/٢)، وابن كثير، في تفسيره، (٣١٨/١).
٦ انظر أبن جرير، في تفسيره، (٦٢/٣)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٠٣/٣)، و محمد رشيد رضا، في تفسير المنير، (٥١/٣).

نفقة المنفق المخلص في إنفاقه لله تعالى سواء كانت النفقة في الجهاد أو غيره من سبل البر والخير، فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإخلاص وإيمان، فيضاعفه الله تعالى إلى سبعمائة ضعف، ويزيد من يستحق الزيادة بقدر إخلاصها لله تعالى.

المطلب الرابع: شرح المثل.

شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله والخالصة لله تعالى، سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سبل الخير بمن بذر بذرا فأنبتت كلّ حبة منه سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة. واللّه يضاعف لمن يشاء فوق ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها، فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص، وهو إخراج المال بقلب مخلص لله، قد انشرح صدره بإخراجه وشرحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع، وأنّه سبحانه شبّه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطّيّب للّه، كالباذل ماله في أرض طيبة، فحصاده بحسب بذره، وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسّقي، ونفي النبات الغريب عنه. فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم يلحقه جائحة، تضاعف وحسن إنتاجه، وكذلك ثواب المنفق أخلص النية لله تعالى ونق قلبه من شوائب الرياء والمن والأذى تضاعف أجره. [1]

من فوئد المثل:

١. إن تضعيف الحسنات ليس له حد. والمؤمنون الذين أفردوا الله تعالى في الإلهية وربوبيته ووحدوه في أسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسووا شيئا من خلقه به، أولئك هم الذين تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، [2] وبفضل الله تعالى استحق الموحد الجزاء الوفير على حسناته.
٢. إن الله تعالى يضاعف الحسنات لعباده المؤمنين بقدر الإخلاص وعلى حسب درجات الخشوع فالتضعيف يرتقي من عشر إلى سبعمائة بل إلى غاية عظيمة، والمراد مضاعفة جزائها. [3]
٣. إن التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه، واحدة بواحدة. ولا يتعلق بها العباد كما لا يتعلق بالصوم بل يدخرها الحق للعبد فضلا منه سبحانه فإذا دخل الجنة أثابه بها

١ انظر الطبري، في تفسيره (٦١/٣)، و البغوي، في تفسيره، (٣٥٩/١). والقرطبي، في تفسيره، (٣٠٣/٣)، ومحمد رشيد رضا، في تفسير المنير، (٥١/٣).
٢ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (٤٣٦/٢).
٣ انظر صالح بن عبد السميع الأهوازي، الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص(١٥)، المكتبة الثقافية، بيروت.

وهذه من خصائص هذه الأمة. وقال بعض العلماء: ذلك لئلا يصير العبد مفلساً إذا اقتص منه خصمائه يوم القيامة فتذهب واحدة من حسناته وتبقى التضعيفات، وذلك لأن مظا لم العباد توفى من أصول حسناته. ولا توفى من التضعيفات، لأنها فضل الله تعالى فلا تتعلق بها العباد.[1]

٤. دل المثل على أن الإيمان يزيد وينقص، وبقدره يكون تضعيف الحسنات والثواب. قال تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ ﴾[2] وما يصح فيه الزيادة يصح فيه النقصان وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

المثال الثاني.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ ﴾[3]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

اختلف المفسرون في نوع المثل فمنهم من قال:مثل الجنة بمعنى صفتها. ومنهم من قال بمعنى شبيهه. وقد قال جمهور المفسرون و اللغويون أن المراد بها صفتها.[4]

وتطلق كلمة (المثل) في القرآن ويراد منها وصف الشيء بعبارة كلامية، نظراً إلى أن الأوصاف التي تذكر لشيء ما ترسم له مثالا وصفيا بدلالات تعبيرية.[5]

---

١ انظر إسماعيل حقي أبو الفدى، روح البيان، ص(٢٩١)، دار الفكر، بيروت. وأحمد بن غانم أو غنيم شهاب الدين،الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، (٧٥/١)، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢ سورة المدثر آية، (٣١).

٣ سورة الرعد آية، (٣٥). وقد وردت آية آخرى في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ سورة محمد آية، (١٥).

٤ انظر ابن جرير، في تفسيره، (١٣/ ١٦١، ١٦٢)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٢٤،٣٢٥/٩)،أبو محمد مكي المالكي، في الهداية إلى بلوغ النهاية، (٦٨٩٦/١١)، و الزحيلي، في التفسير المنير، (١٧٨/١٣)، وابن منظور، في لسان العرب، (٦١٢/١١)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، (١٣٦٤/١).

٥ عبد الرحمن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، ص(٢٤).

وهناك تداخل كبير بين معنى المثل ومعنى الوصف وذلك أن التمثيل إنما يذكر أوصاف الممثل له بمقايستها بأوصاف الممثل به، والذي يورد المثل أو التشبيه إنما يذكر وصف المشبه أو المشبه له.كما سبق ذكره في إطلاقات معنى المثل.

المطلب الثاني: بيان أوصاف الممثل به.

تظهر أوصاف الممثل به من قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[1] ومن قوله تعالى: ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾[2]

فقال تعالى وصف الجنة هي: أن الأنهار تجري من تحتها. (أُكُلُها دائِمٌ) ما يؤكل فيها لا ينقطع، هو دائم لأهلها لا ينقطع عنهم ولا يزول ولا يبيد ولكنه ثابت إلى غير نهاية وفي الصحيحين قال الصحابة . رضي الله عنهم . للرسول صلى الله عليه وسلم رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا في صلاة الكسوف ثم رأيناك كففت فقال: (إني رأيت الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ منها عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ منه ما بَقِيَتْ الدُّنْيَا)[3] وهذا يدل على أن ثمرها لا ينضب. (وَظِلُّها) أي وظلها كذلك، فحذف، أي ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول لأنه لا شمس فيها، وهذا رد على الجهمية في زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفني.[4]

المطلب الثالث: بيان وصف الممثل له.

ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ ﴾[5] ومن قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ ﴾[6]

الجنة: هي حق لا ريب فيها، وهي دار النعيم التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين، وهي مشتملة على أصناف النعيم. التي تحير العقول وتذهله. لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن

١ سورة الرعد آية، (٣٥).
٢ سورة الرعد آية (٣٥).
٣٣ متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب الكسوف، باب: طول السجود في الكسوف، ح (١٠٠٤)، (٣٥٧/١)، ورواه مسلم، في الصحيح، كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، ح(٩٠١)، (٦٢٦/٢).
٤ انظر ابن جرير، في تفسيره، (١٦٣/١٣)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٢٥/٩)، و البغوي، في تفسيره، (٢٥/٣).
٥ سورة الرعد آية، (٣٥).
٦ سورة الرعد آية، (٣٥).

إدراكه واستيعابه.[1] وهي من الغيب الذي أخبر عنه الله تعالى ورسوله الكريم. ومنها ضرب الأمثلة لها لتقريبها من عقولهم.

المتقون: هم الموحدون الذين وصف الله لهم الجنة جزاء لتوحيدهم، فهم المؤمنون، وقيل هم الذين يجتنبون كبائر الإثم، وقيل هم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وقيل هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله تعالى، وهم الذين يتقون الله بفعل الفرائض وتجنب المحارم. حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام.[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل لا يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس).[3]

وحقيقة التقوى "فعل المأمور به والمندوب إليه واجتناب المنهي عنه والمكروه والمنزه عنه لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار".[4]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (التَّقْوَى ها هنا وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[5]

ولفظ التقوى في هذا الموضع عام فلم يحصر الله تعالى تقواهم إياه على شيء خاص، فليس لأحد أن يحصر معنى التقوى على وصفهم بشيء من تقوى الله عز وجل دون شيء، ولو كان محصورا على خاص من معاني التقوى دون العام منها لم يدع الله تعالى بيان ذلك لعباده إما في كتابه وإما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: شرح المثل.

لقد ضرب الله تعالى للناس في هذا القران من كل مثل، لأن ضرب الأمثال فيه فوائد كثيرة منها الوعظ والزجر وتقريب المراد للعقل. وتصوير الخفي بالجلي، والغائب كأنه مشاهد.[6] فمثل الله تعالى ووصف ووصف سبحانه الجنة التي وعد المتقين وهم الموحدون المخلصون لله تعالى وذلك لأن التقوى تكون في القلب فلا يعلم مقدارها إلا الله تعالى وبقدرها يكون جزاء المؤمن الموحد. فوصف الله تعالى الجنة، فقال عنها أن الأنهار تجري من تحتها. وما يؤكل فيها لا ينقطع، هو دائم لأهلها لا يحجب عنهم ولا يزول وهو

---

١ انظر عمر بن سليمان العتيبي، الجنة والنار، ص(١٦٧).
٢ انظر ابن جرير في تفسيره، (١/١٠٠)، و(٢/٢٠٠)، و ابن أبي حاتم، في تفسيره، (١/٣٥).
٣ رواه الحاكم، في المستدرك، ح(٧٨٩٩)،(٤/٣٥٥)، وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وابن أبي حاتم، في تفسيره، (١/٣٥).وأورده جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (١/٦١). وقال عنه الألباني، في جامع الترمذي، ضعيف ح(٦٣٢٠)، (٤/٦٣٤).
٤ البيهقي، شعب الإيمان، (٣/ ٢٨٧).
٥ رواه مسلم، في الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، ح(٢٥٦٤)، (٤/١٩٨٦).
٦ انظر محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن، ص(١٦٢).

ثابت إلى غير نهاية وظلها لا يزول لأنه لا شمس فيها، كما قال تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ ﴾[1]

وقال صلى الله عليه وسلم: (ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء)[2] وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه إنسان وإن كل ما في الجنة إنما يشترك مع ما في الدنيا في بعض الصفات وتسمى بأسمائها ولا يشاركها في تمام حقيقتها.

ثم إن الله تعالى أخبرنا بما وعدنا به في الدار الآخرة من النعيم واخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغير ذلك فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا به ونحن نعلم مع ذلك إن تلك الحقائق ليست مثل هذه، فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه وبه فهمنا المراد وأحببناه ورغبنا فيه وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا. ولا يقال هذا يخالف قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ ﴾[3] لأن التماثل في هذه الآية هو التشابه في الصفة، ولأنا نقول التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون القدر والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه والمراد التشابه في الشرف والمزية.[4]

فوصف الله تعالى الجنة بصفاتها حتى صارت كالمشاهدة، واخبرنا أنها هي الجنة التي وعد المتقين الموحدين، الذين اتقوا الشرك والفواحش. وقد علمنا أن المتقون هم المؤمنين الذين خلص توحيدهم في قلوبهم فكانت أعمالهم كذلك خالصة لوجه الله تعالى، فكان جزاؤهم الجنة وما فيها من النعيم.

من فوائد المثل:

---

١ سورة الإنسان آية، (١٣).

٢ رواه ابن جرير، في تفسيره، (١٧٢/١)، وأبو عبد الله الحنبلي المقدسي، الأحاديث المختارة، (٣٣٩١/١٠)، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (١٦/١٠)، وقال عنه أبو محمد بن حزم الطاهري، الفصل في الملل، (٧٩/٢)، مكتبة الخانجي، القاهرة، هذا سند في غاية الصحة، وقال عنه الشيخ الألباني، السلسلة الصحيحة، ح(٥٤١٠) (٢١٩/٥)، صحيح.

٣ سورة البقرة آية، (٢٥).

٤ انظر ابن تيمية، توحيد الألوهية، (٣٤٧/٥). وشرح حديث النزول، ص(٢١)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الخامسة، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). وعبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٥/ ٣٧٣٣)، محمد عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، ص(١٨٥).

١. إن دخول المؤمن الجنة يكون بسبب الإخلاص في العمل وبتفضل الله عليه ولا يكون بالثمن واستحقاق الجنة بمجرد العمل فقد قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾ [١] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قالوا ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ قال لَا ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وأما مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ) [٢]

٢. نجد الآية تدل على أن دخول الجنة بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنّة بالأعمال، فالظاهر وجود التعارض، والحقيقة لا تنافي بينهما، لأن توارد النّفي والإثبات ليس على محلٍ واحدٍ، فالمنفي باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة. وإنما الأعمال سبب والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته. [٣]

٣. إن الله علم الأمور وكتبها على ما هي عليه، فهو سبحانه قد كتب أن فلانا يؤمن ويعمل صالحا خالصاً لله فيدخله الجنة، فمن قال: إن كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولا باطلاً متناقضاً، لأنه علم أنه يدخل الجنة بعمله الصالح فلو دخلها بلا عمل صالح كان هذا مناقضاً لما علمه الله وقدره. [٤]

٤. بيان أن من أهم قواعد أهل السنة والجماعة. أن مصير الموحدين الجنة، سواء دخلوا النار أم لم يدخلوا النار؛ فمن دخلها بذنوبه فإنه لا يخلد فيها؛ بل يخرج منها بعدما يطهر ويمحص يخرج من النار إلى الجنة، [٥] وقد يعفو الله سبحانه وتعالى عن العاصي الموحد المؤمن، بالشفاعة أو برحمته من دون شفاعة أحد، فيدخله الله الجنة جل وعلا، كما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾ [٦]

المثال الثالث.

---

١ سورة الأحقاف آية، (١٤).

٢ متفق عليه: رواه البخاري في الصحيح، كتاب: المرضى، باب: تمني المريض الموت، ح(٥٣٤٩)، (٢١٤٧/٥). وأورده بنحوه مسلم، في الصحيح، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، ح(٢٨١٨)، (٢١٧١/٤).

٣ انظر ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص(٨٨)، وأبي العباس أحمد المقريزي، تجريد التوحيد المفيد، ص(٥٨).

٤ انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (٢٦٥/٨).

٥ أبي الحسين يحيى بن أبي الخير، الانتصار في الرد على المعتزله القدرية الأشرار، (٧٥٨/٣)، وحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين، (٦٢٢/٢).

٦ سورة النساء آية، (٤٨).

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (من قال سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).[١]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

نوع المثل من جهة القياس: هو قياس تمثيلي، يقوم على تشبيه ثواب المؤمن الموحد عندما يسبح الله تعالى وكيف أن الله تعالى يغفر له ذنوبه، بحال زبد البحر حينما يطرحه البحر على رغم كثرته.

ونوعه من حيث التشبيه: هو تمثيل مركب.

وذلك أن كل من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة من جملة تعطي في مجموعها الوصف المعتبر.

حيث شبهت أحوال المؤمن مع ما ينطق به لسانه ويصدقه قلبه وتعمل به جوارحه وتكفر الله تعالى به الذنوب بحال وكمية ما يطرحه البحر من الشوائب وكل ما يعلق به بالزبد.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

إن ألفاظ المثل وردت مبينة للممثل به والممثل له. وسوف نبدأ بدراسة الألفاظ الموضحة للممثل به، وهي من قوله صلى الله عليه وسلم: (مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

الزبد: هو أن تراب الأرض لما خالط الماء وحمله معه صار زبدا رابيا فوقه، وهو ما يعلو وجه الماء من رغوة وقذر ونحوه عاليا عليه مرتفعا فوقه وهي فقاقيع من الهواء ترتفع فوق ماء البحر.[٢]

زبد البحر: وهذا المثل إما أراد به الكمية أو الكيفية، وهو كناية يعبر بها عن الكثرة عرفاً، وخص به لإشتهاره بها عند المخاطبين.[٣]

ومما تقدم يتبين أن صورة الممثل به هي.

---

١ متفق عليه رواه البخاري، قي الصحيح، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، ح(٦٠٤٢)، (٢٣٥٢/٥)، ورواه مسلم، في الصحيح، كتاب: الذكر والدعاء والتهليل، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ح(٢٦٩١)، (٢٠٧١/٤).

٢ انظر عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(٤٠٤)، وأبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(٢١٣).

٣ انظر علي بن سلطان القاري، مرقاة المفاتيح، (٢٠٩/٥)، و(٣٥٩/٣). وعبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (٤٣٤/٢).

كمية وكثرة ما يعلو وجه ماء البحر من فقاقيع من الهواء ورغوة وقذر وأتربة ونحوه مما خالط ماء البحر رابيا عليه يقذفه البحر على شاطئ وهو كثير. ودائماً ما يشاهد في مياه البحر ويسمى زبد البحر وهو كناية عن الكثرة.[1]

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ قال سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ).

قول: سبحان الله وبحمده مائة مرة: أي تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر.[2]

وبحمده: أي سبحان الله ملتبسا بحمده له من أجل توفيقه لي للتسبيح في يوم واحد.[3]

في يوم مائة مرة: في يوم أي في أجزائه وهو مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته فلا يقيد بشيء منها مائة مرة سواء كانت متفرقة أو مجتمعة في مجلس أو مجالس في أوّل النهار أو آخره.[4]

حطت خطاياه: وهي كناية عن كثرة الوقوع في الصغائر، والكبائر[5]من حقوق الله لأن حقوق الناس لا تنحط إلا باسترضاه الخصوم أو عفوهم عنه.[6] وكذلك الشرك لأنه لا يغفر من غير التوبة.

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل له هي:

مغفرة ذنوب ذلك المنزه الله تعالى عما لا يليق به من كل نقص فيلزمه نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل.والحامد لله من أجل توفيق الله له للتسبيح. والتسبيح متضمن للتوحيد فمنطوقه سبحان الله تنزيه ومضمونه توحيد، وهو الإخلاص الذي لا يقبل الله تعالى العمل بدونه.[7] ولم يحدد في أي أي أجزائه وهو مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته فلا يقيد بشيء منها مائة مرة سواء كانت متفرقة أو

١ انظر المراجع السابقة.
٢ انظر ابن حجر، في فتح الباري، (٢٠٦/١١)، والنووي، في شرحه لصحيح مسلم، (١٨/١٧)، ومحمد الزرقاني، شرح الزرقاني، (٣٦/٢)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (١٤١٧ه/١٩٩٦م). وعلي القاري، مرقاة المفاتيح، (٢٠٩/٥)، عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (١٩٠/٦).
٣ انظر المراجع السابقة.
٤ انظر محمد الزرقاني، شرح الزرقاني، (٣٦/٢)، علي القاري، مرقاة المفاتيح، (٢٠٩/٥).
٥ انظر علي بن سلطان القاري، مرقاة المفاتيح، (٢٠٩/٥)، و(٣٥٩/٣). وعبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (٤٣٤/٢).
٦ انظر بدر الدين العيني، عمدة القاري، (٢٦/٢٣).
٧ انظر ابن حجر، فتح الباري، (٢٠٧/١١).

مجتمعة في مجلس أو مجالس في أول النهار أو آخره. فكانت سبباً في تكفير خطاياه الواقع فيها من الصغائر، أو الكبائر من حقوق الله. لأن حقوق الناس لا تنحط إلا باسترضاه الخصوم أو عفوهم عنه. وكذلك الشرك لأنه لا يغفر من غير التوبة، قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1]

المطلب الرابع: شرح المثل.

إن قول سبحان الله: والذي معناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، في يوم واحد مائة مرة ولو متفرقة، تحط خطايا قائلها وتكون سبباً في مغفرة ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر كناية عن المبالغة في الكثرة كما هو عند المخاطبين. وبذلك يظهر أثر التسبيح والتحميد والذي هو من دلائل التوحيد في مغفرة الذنوب.

وقال ابن حجر . رحمه الله .: "ويمكن أن يكون قوله سبحان الله وبحمده مختصرا من الكلمات الأربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر لان سبحان الله تنزيه له عما لا يليق بجلاله وتقديس لصفاته من النقائص فيندرج فيه معنى لا إله إلا الله وقوله وبحمده صريح في معنى والحمد لله لان الإضافة فيه بمعنى اللام في الحمد ويستلزم ذلك معنى الله أكبر لأنه إذا كان كل الفضل والأفضال لله ومن الله وليس من غيره شيء من ذلك فلا يكون أحد أكبر منه"[2]

ولم يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، فلا بد من قول القلب وقول اللسان: ويتضمن ذلك معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنه من النفي والإثبات، وقيام هذا المعنى بالقلب، علما ومعرفة ويقينا وحالا وهو ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام، وليس هذا مرتبا على مجرد اللسان.[3]

فلا يظن ظان أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته يمكن أن يلتحق بالمغفور لهم ذنوبهم ويبلغ منازلتهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح.

١ سورة النساء آية، (٤٨).
٢ ابن حجر ، في فتح الباري، (٢٠٧/١١).
٣ انظر سفر الحوالي ، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، (٣٦٦/١).

من فوائد المثل:

١. إن من قال: سبحان الله وبحمده بلسانه، غافلا عن معناها، ولم يوافق قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، ولكنه يرجو من ذلك ثوابها. حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فتكون صورة العملين واحدة، الذي قال بلسانه والذي وقر في قلبه، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، فهي يندرج فيها معنى الشهادة.[١] وكلٌ يحط عنه بحسب ما حقق من شروطها،[٢] مما علم به، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣] ومما وقر في قلبه، قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾[٤] ونطق به لسابه، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[٥] ووافقه عمله. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٦] وبذلك يكون جزاء الموحد من تكفير للذنوب ومضاعفة الحسنات.

٢. بيان أن الإيمان قول وعمل واعتقاد. وذلك لأن القول الناتج عن إيمان صحيح يقتضي العمل. والعمل الصالح هو أثر لا زم للإيمان. وبه تكن مغفرة الذنوب.

٣. إن الله تعالى يغفر الذنوب من غير الشرك وإن كانت مثل زبد البحر. تفضلاً منه سبحانه وبعظيم كرمه على خلقة وليس على سبيل الوجوب.[٧]

٤. بيان أن التوكل لا ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب وأن الأمور وإن كانت مقدرة فلا بد من الأسباب. فإن الاكتساب منه فرض ومنه مستحب ومنه مباح ومنه مكروه ومنه محرم.[٨]ويظهر من قوله من قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. فأشترط لمغفرة الذنوب القول الذي ينتج عنه التقوى والعمل الصالح.

---

١ انظر ابن حجر، في فتح الباري، (٢٠٧/١١).
٢ انظر حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٤١٨/٢).
٣ سورة محمد آية، (١٩).
٤ سورة الزمر آية، (٢).
٥ سورة البقرة آية، (١٣٦).
٦ سورة النحل آية، (٩٧).
٧ انظر البيهقي، شعب الإيمان، (٢٦٢/١).
٨ انظر ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (٣٥١/٢).

خلاصة مبحث: الأمثال المضروبة في بيان جزاء الموحدين.

أعظم ثمار التوحيد المباركة على المكلف أن الله تعالى قد ضمن له الجنة، ويكون ذلك بالإخلاص ويتحقق الإخلاص بمعرفة العبد لربه، وتعظيمه وتأليهه، ومعرفة أسمائه تعالى وصفاته، وإحصائها والتعبد لله بمقتضاها، فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب. والإخلاص إذا تمكن من طاعة من الطاعات مهما كانت يسيرة، فإن الله تعالى يغفر بها الذنب ويضاعف الأجر، فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص.[1]

ولا شك أن الغاية التي يرجوها كل إنسان هي دخول الجنة والنجاة من النار وتكون بمضاعفة أجره وغفران أخطائه فلذلك كانت أهم ثمار التوحيد والإخلاص، ونحن عندما رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن القرآن الكريم تارة يقول: بأنه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] وأخرى يقول إن الله سبحانه وتعالى يجزي الحسنة بمثلها، وثالثة يقول بأنه يجزيها بأضعاف، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4] ومما سبق يتبين أن اختلاف درجات العمل إنما نشأت من الاعتقاد، فكلما كان الاعتقاد أكثر دقة وأكثر صحة وأكثر سلامة، كان العمل أكثر قيمة عند الله سبحانه وتعالى. فيجازي الله تعالى المخلصين الموحدين بقدر ذلك التوحيد الراسخ في قلوبهم. وكذلك تكفير الذنوب يكون بحسب ما وقر في القلب من إخلاص، وكلما كان العمل أخلص كان التكفير أكثر. وذلك لمكانة الموحدين الناطقين بالتوحيد والعاملين به، وإن كانوا مُذنبين فإن الله تعالى يتجاوز عنهم وذلك لثقل التوحيد وشرف الانتساب إليه، فتغفر الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر.[5]

---

١ انظر محمد يسري، طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، (١٨٩).
٢ سورة الأنعام آية، (١٦٠).
٣ سورة النمل آية، (٨٩).
٤ سورة البقرة آية، (٢٦١).
٥ انظر محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (٦٠/١)، و عبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأحكام الهدامة، (٣٧١/١).

وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين تضاعف لهم الحسنات، وبين لهم شروط تضاعف الحسنات، ووصف الله تعالى ورسوله الكريم لنا الجنة حتى صارت كالمشاهد للعيان وذلك على رغم ما بين الأسماء من تفاضل، كي يرغب عباده فيها، وبقدر إخلاصهم في سائر أحوالهم يكون جزائهم، والجنة هي أسمى الغايات والمطالب لكل إنسان كما قال ابن القيم:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة

بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها

في الألف إلا واحد لا اثنان

يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها

إلا أولو التقوى مع الإيمان[1]

[1] احمد بن إبراهيم بن عيسى، شرح قصيدة ابن القيم، (٢/٦٠٠).

الفصل الثالث: الأمثال الواردة في نقض الشرك.

إن من أهم سبل الدعوة إلى الله تعالى تقرير التوحيد ونقض الشرك وقد سلك القرآن العديد من الطرق في بيان ذلك وأبرز تلك الطرق ضرب الأمثال لما لها من عظيم الأثر على النفس البشرية.[1]

المبحث الأول: الأمثال الواردة في عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله.

تمهيد:

أوضح الله تعالى وبين عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله تعالى وقد ورد ذلك كثيراً في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[3]

وقد سفه الله المشركين الذين يعبدون غيره ممن لا ينفعهم مبيناً لهم عجزهم عن الاستجابة لهم فقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[4] ووصفهم سبحانه وتعالى بأنهم لا يملكون شيئاً لأنفسهم ولا لغيرهم وأن هؤلاء المعبودين من دونه لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم ولا لأنفسهم من جميع الوجوه، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة، كما في قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾،[5] فلذلك الذي يستحق العبادة هو الخالق، أما الذي لا يقدر على الخلق فهذا عاجز لا يستحق العبادة، فكيف يُسَوَّى العاجز بالقادر؟ وكيف يُسَوَّى المخلوق بالخالق سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[6] وقال تعالى في تعجيز المشركين وآلهتهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟

---

١ انظر مقدمة الفصل الثاني: الأمثال في تقرير التوحيد، ص(٨٨).
٢ سورة الإسراء آية، (٥٦).
٣ سورة النحل آية، (٧٣).
٤ سورة الأحقاف آية، (٥).
٥ سورة الأعراف آية، (١٩١،١٩٢).
٦ سورة النحل آية، (٢٠).

ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[1] فهذه المعبودات بجميع أنواعها سواءً كانت أحجاراً، أو أشجاراً، أو قبوراً وأضرحة، أو ملائكة، أو أنبياء، أو صالحين من المؤمنين، كلهم يدخلون تحت هذا الوصف؛ لا يقدرون على خلق شيء، لأن المخلوق لا يستطيع أن يخلق، فكيف يُتخذ معبوداً مع الله سبحانه وتعالى.

المثل الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[2]

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[3]

المثال الثالث.

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ وأنتم تقحمون فيها).[4]

---

١ سورة الحج آية، (٧٣).
٢ سورة الحج الآية، (٧٣).
٣ سورة العنكبوت آية، (٤١).
٤ متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب:الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، ح (٦١١٨).(٥/ ٢٣٧٩)، وعند مسلم، في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته..، ح (٢٢٨٤)، (١٧٨٩/٤).

المثل الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

وهو يقوم على تشبيه أمر من الأمور المعنوية بأمر مشاهد محسوس، وهو عجز كل ما يعبد من دون الله تعالى، بحال من سلبه الذباب شيئاً لا يستطيع إرجاعه منه، ومقايسة هذا بهذا، وإلحاق أحكام الممثل به بالممثل له.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد أظهرت الآية صورة الممثل به في قوله تعالى: ﴿ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[2] وهو مكون من عجز المعبودات عن خلق الذباب. وعجزهم عن استرجاع ما يسلبه الذباب منهم. وعلى ضعف الطالب والمطلوب.

الذباب: هو ما يقع على المعروف من الحشرات الطائرة، وهو اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث ومدة عيشه أربعون يوما ويتوالد بعضه من بعض ويقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض، والذباب مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنك تذبه فيرجع عليك.[3]

---

١ سورة الحج الآية، (٧٣).
٢ سورة الحج الآية، (٧٣).
٣ وابن منظور، لسان العرب، (٣٨٢/١)، النووي، تهذيب الأسماء، (١٠٣/٣)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت. وأحمد مصطفى الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، (٤٧٩/٦)، ومحمد عبد الرءوف المناوي، التعاريف، (٣٤٧/١).

إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة لن يخلقوا ذبابا في صغره وقلته لأنهم لا يقدرون على ذلك ولا يطيقونه لو اجتمعوا لخلقه جميعهم، ومن باب أولى لو كانوا متفرقين يكون عجزهم أكبر.[1]

وقوله وإن يسلبهم الذباب شيئا يقول: وإن يسلب الذباب الآلهة والأوثان شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من أي شيء، لا يستنقذوه منه، أي لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه، ولا كل من سلبه الذباب شيئاً لا يستطيع إنقاذه منه.[2]

وقوله: ضعف الطالب والمطلوب. وقال ابن عباس: الطالب: الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب والطعام من الصنم وغيره، وَالمطلوب: الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل على العكس، الطالب: الصنم والمطلوب: الذباب. وقيل: الطالب: العابد والمطلوب: المعبود.[3]

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل به هي:

عجز الشركاء الذين يزعمون أنهم شركاء الله تعالى، ومثل لعجزهم على ذلك بأنهم لن يستطيعوا أن يخلقوا مثل هذا الذباب الذي يرونه مخلوقاً حقيراً، ولا يقيمون له وزناً. منفردين أو مجتمعين. وضعف العابد والمعبود من دون الله تعالى.

ومثال آخر على عجزهم عما هو دون عملية الخلق، عجزهم عن التحكم والتصرف في الأشياء الدقيقة جداً، والتي يستطيع الذباب أن يسلبها منهم وهم لا يشعرون بها ولا يستطيعون أن يرجعوها منه.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[4]

مَعْنَى ضُرِبَ: جُعِلَ كضرب الجزية على أهل الذمة، أي جعل ذلك عليهم. والمثل الشبه. يقول جل ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس. يعني بالشبه والمثل الآلهة. يقول: جعل لي المشركون والأصنام وكل ما

١ انظر الطبري، في تفسيره، (٢٠٣/١٧)، وابن كثير، في تفسيره، (٢٣٦/٣)، و البغوي، في تفسيره، (٤٠٠/٥).
٢ انظر المراجع السابقة.
٣ انظر المراجع السابقة، بالإضافة إلى أبي محمد مكي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٤٩٣٤/٧).
٤ سورة الحج الآية، (٧٣).

يعبد من دون الله تعالى شبها فعبدوها معي وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبها وصفته.[1]

فيتبين أن صورة الممثل له هو:

إن هذا الخطاب من الله تعالى لجميع البشر فاستمعوا له فهذه المعبودات بجميع أنواعها سواءً كانت أحجاراً من الأوثان، أو أشجاراً، أو قبوراً وأضرحة، أو ملائكة، أو أنبياء، أو صالحين من المؤمنين وغيرهم، كلهم يدخلون تحت هذا الوصف؛ لا يقدرون على خلق شيء.

المطلب الرابع: شرح المثل.

في هاتين الآيتين يكشف الله تعالى عن عجز كل ما يشرك مع الله. فيجب على كل إنسان أن يستمع لهذا المثل ويتدبره فإنه يقطع كل ما يؤدي إلى الشرك في قلبه، وذلك أن المعبود من دون الله تعالى أقل من أن يقدر على إيجاد ما ينفعه، أو إعدام ما يضره. ومثل على ذلك بخلق الذباب، الذي هو من أحقر الموجودات، "وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين. وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان".[2]

وفي ذلك تحد شامل لكل ما يعبد من دون الله تعالى في القديم والحديث، وكذلك من ورائهم من يعبدهم من دون الله تعالى، للقدرة على الخلق من العدم ولو أصغر المخلوقات.

ومن أمثلة عجزهم عن ما دون الخلق، وهو عجزهم عن التحكم في الأشياء الصغيرة والحقير ة في نظرهم. فهم لا يقدرون على الانتصار على الذباب إذا سلبهم شيئاً.

وقال ابن عباس: كانوا يطيبون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فسلبه منه، وقيل: كانوا يضعون الطعام للأصنام فيأكل الذباب منه، فلا تقدر الآلهة على استردادها.[3]

---

١ انظر الطبري، في تفسيره، (٢٠٣/١٧)، وابن كثير ، في تفسيره،(٢٣٦/٣)، و البغوي، في تفسيره، (٤٠٠/٥).
٢ القرطبي، في تفسيره، (٩٧/١٢).
٣ انظر البغوي، في تفسيره، (٤٠٠/٥).

وقد توصلت الدراسات العلمية عن الذباب، أن الذباب قد انفرد عن سائر الحشرات بأنه يفرز الهواضم على جزئيات طعامه فيهضمه في مكانه قبل أن يمتصه بخرطومه، وبسبب ذلك فإنه متى سلب شيئاً سلبه متحولاً، تعجز كل وسائل العلماء مهما كانت من استنقاذه.[1]

وأنه لا أعجز من هذا الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يسوغ عاقل عبادتها من دون الله تعالى، ضعف الطالب والمطلوب: أي ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم، والمطلوب الذي هو الصنم، فكل منهما حقير ضعيف.

من فوائد المثل:

١. إثبات أنه لا أعجز مما يعبد من دون الله، ولا أضعف منه. ولا يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى.
٢. إذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو تمسك رحمة أنزلها على عبده. فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده.
٣. بيان أن هذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه وتعالى في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم؛ فقال بعض السلف: هذه الآية تقطع عروق الشرك فإنه تعالى نفى عمن دعاه المشركون أن يكون له من الملك شيء ولو مثقال ذرة ونفى مشاركته ولو قلت، فذكر عجزهم عن خلق الذباب الذي هو من أضعف المخلوقات وأخبر أنه لو سلبهم شيئا لما استطاعوا استنقاذه منه. وهذا غاية في الحجة والبيان وتقرير ضعف من دعا مع الله الهة، بكل صوره، لأن العجز عن خلق الذباب وصف مشترك بين جميع المخلوقات، فدلت هذه الآية الكريمة مع اختصار لفظها على إبطال دعوة كل مخلوق. وقررت دليله بذكر العجز عن خلق الذباب واستنقاذ ما سلب.[2] قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : " حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع

---

١ انظر عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(١٩٣)، نقلاً عن الدكتور مصطفى محمود في أحاديثه "التلفزيونية.

٢ انظر عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ص(٥٢)، مكتبة المؤيد، الطائف، الأولى: (١٤١١هـ/١٩٩٠م).كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس ص(٣٣٣)،عبد الطيف بن عبد الرحمن ال شيخ، البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية ص(٥١)، مكتبة الهداية، الأولى: (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

موارد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره".[1]

٤. إنه قد ثبت بصريح العقل والفطرة السليمة والنقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

وهو يقوم على تشبيه أمر من الأمور المعنوية بأمر مشاهد محسوس، وهو عجز كل من العابد والمعبود من دون الله تعالى، بحال العنكبوت الحشرة الضعيفة حين اتخذت بيتا وهو متصف بالضعف كذلك، ومقايسة هذا بهذا، وإلحاق أحكام الممثل به بالممثل له.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد أظهرت الآية صورة الممثل به واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ ﴾[3] وهو مكون من العنكبوت، وصفات بيته.

العنكبوت: معروف وهي دويبة تنسج في الهواء والغالب عليها التأنيث وجمعها عناكب، وهي صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل، ومنها صنف يفترس الذباب.[4]

١ ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٧٥).
٢ سورة العنكبوت آية، (٤١).
٣ سورة العنكبوت آية، (٤١).
٤ انظر محمد الرازي، مختار الصحاح، ص (١٨٨)، ومحي الدين النووي، تهذيب الأسماء، (٢١٨/٣)، ومحمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (٢٥٣،٢٥٢/٢٠).

بيت العنكبوت: ويقال لبيتِ العنكبوتِ: العُكْدُبةُ.[1] وجميع العناكب تتخذ لأنفسها نسيجاً تنسجه من لعابها يكون خيوطاً مشدودةً بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر اتصال تحتجب فيه وتفرخ فيه. ويسمى بيتاً لشبهه بالخيمة في أنه منسوج ومشدود من أطرافه كبيت الشعر.[2] كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا، وإن أضعف البيوت بيت العنكبوت لأنه يخرب بأدنى شيء، ولا يبقى منه أثر، وهو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة.[3]

ومما تقدم يتبين أن صورة الممثل به هي:

صورة بيت تلك الحشرة المتصف بالضعف، وكذلك بيتها لا يغني عنها شيئاً لضعفه ولأنه يخرب بأدنى شيء، وهو لا يقيها حراً ولا برداً. وهو مثل مشهور عند الناس كدليل على الوهن وضعف القوى.

المطلب الثالث: بيان الممثل له.

يظهر من قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾[4]

هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره، وهي في نفسها متصفة بالضعف والهوان.[5] وهي لا تقتصر على الأصنام فقط بل تشمل كل ما عبد من دون الله تعالى من حجر أو شجر أو كوكب أو نبي أو رجل صالح من الأولياء أو الجن وغير ذلك مما يعبد و يعظم من دون الله تعالى.

المطلب الرابع: شرح المثل.

شبّه اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة حال عبدة الأوثان بحال العنكبوت التي تتخذ أضعف البيوت، ولو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئاً، وأن هذا مثلهم أو صفتهم، لما عبدوها لأنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف. وإن اللّه يعلم ضعف كل ما يعبدون من دونه من ملائكة وكواكب وأصنام وجن وإنس، فعجب من صنعهم، فنبههم على سطحية تفكيرهم، وسوء

١ ابن منظور، لسان العرب، (٦٣٢/١)
٢ انظر محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (٢٥٣/٢٠).
٣ انظر الطبري، في تفسيره، (١٥٢/٢٠)، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٣٠٦٣/٩)، و القرطبي، في تفسيره، (٣٤٥/١٣)، والزحيلي، في تفسيره، (٢٤٤/٢٠)، و مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٤٣٨/٧).
٤ سورة العنكبوت آية، (٤١).
٥انظر الطبري، في تفسيره، (١٥٢/٢٠)، وابن كثير، في تفسيره، (٤١٥/٣)، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٣٠٦٣/٩)، و القرطبي، في تفسيره، (٣٤٥/١٣)، والزحيلي، في تفسيره، (٢٤٤/٢٠)، و مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٤٣٨/٧).

اعتقادهم، وأن جميع تلك المعبودات مثل بيت العنكبوت. وهيئة الممثل له مع هيئة الممثل به قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها، فالمشركون شبهوا بالعنكبوت، في ضعفهم وجهلهم. وأولياؤهم وكل ما عبد من دون الله أشبهوا بيت العنكبوت، في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها، وأقصى ما ينتفع به منها نفع ضعيف، وهو السكن فيها وتوهم أنها تدفع عنهم، وكذلك المشركون يعتقدوا في آلهتهم أنها تدفع عنهم أو تضرهم، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى. بخلاف الواقع: أي لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئا، وأن هذا مثلهم لما عبدوها، لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف.[1]

من فوائد المثل:

١. إنه كما صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صح أن دين كل من عبد شيئاً من دون الله تعالى هو أضعف الأديان وأوهنها، وبهذا المثل أصبح الممثل له كالصورة المحسوسة الملموسة لكي ينتزع الحكم من السامع.

٢. بيان أن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع. وهو لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتبا متنقلا من الأعلى إلى ما دونه.[2]

٣. قطع الله تعالى بهذه الآيات جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً قطعاً يعلم من تأمله ويحقق من تدبره أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فمن استمسك بغير الله في حال شدته وكربه وغمه فدعاه ورجاه بما لا يقدر عليه إلا الله فليس في يده ممن استمسك به سواه تعالى إلا كمن يستمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علم المستمسك هذا الحال لما اتخذ من دون الله ولياً ولا شفيعاً، وهذا بخلاف أهل القبلة فإنهم لله مخلصون وله في العمل مستسلمون ومحسنون وفي إتباع ما

---

١ انظر المراجع السابقة.

٢ انظر أحمد بن إبراهيم بن حمد، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، (٢/ ٢٦٧). وعبد الله بن عبد الرحمن الملقب (أبا بطن)، تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، ص(١٠٥)، تحقيق: عبد السلام بن برحس، مؤسسة الرسالة، الأولى: (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

جاء من الله على لسان رسوله منقادون وبالله معتصمون وبالعروة الوثقى مستمسكون وهي العقد الوثيق المحكم في الدين التي لا انفصام لها لقوتها وثباتها.[1]

٤. بيان أن من أغراض ضرب المثل التأثير، والبلاغة تقتضي أن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه، بحال الأشياء التي جرى العرف بتحقيرها، واعتادت النفوس النفور منها. لذلك شبه ما يراد تحقيره بالأشياء التي عرفت حقارتها كما هو واضح في هذا المثل من تشبيه معبودات المشركين، وأوليائهم ببيت العنكبوت.[2]

المثال الثالث.

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ وأنتم تقحمون فيها).[3]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي .

وهو يقوم على تشبيه جهل كل من عبد شيئاً من دون الله تعالى، بحال الفراش وبحال جميع الدواب التي تلقي بنفسها في النار. وبمقايسة حال الصنفين إلحاق أحكام الممثل به بالممثل له.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

لقد أظهر الحديث صورة الممثل به واضحة جلية في قوله صلى الله عليه وسلم: (كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها).

---

١ انظر أحمد بن إبراهيم بن حمد، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، (٢/ ٢٦٧)، وسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، ص(٩٢).

٢ انظر عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص(١٩٩)، دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرين، (١٤٨٢هـ/٢٠٠٧).

٣ متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب:الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، ح (٦١١٨).(٥/ ٢٣٧٩)، وعند مسلم، في الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته..، ح (٢٢٨٤)، (١٧٨٩/٤).

وهي مكونه من الرجل الذي أوقد النار. ومن الفراش والدواب التي اقتحمت النار.

استوقد: بمعنى أوقد ولكن استوقد أبلغ.[1] والنار جوهر لطيف مضيء محرق حار.[2] والنور ضوؤها وقال: أضاءت لفرط الإنارة.

الفراش: هو ما يطير كالبعوض وقيل هو كصغار البق وقيل هو غوغاء الجراد الذي يتفرش ويتراكم ويتهافت في النار قوله: وهذه الدواب. وهو جمع دابة وأراد بها هنا مثل البرغش والبعوض والجراد يسمى أيضاً الجندب وهو الذي يصر في الليل صرا شديداً، وقيل هي ما يتهافت في النار من الطيارات ونحوها.[3]

ومما تقدم يتبين أن صورة الممثل به هي:

صورة ذلك الرجل الذي أوقد ناراً وحين اشتدت الإنارة أخذ الفراش وكل ما يتهافت على النار من الطيارات يقع فيها، فكان هلاكها. وذلك لجهلها، وعدم نفعها من ذب الرجل لها عن النار.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس) ومن قوله صلى الله عليه وسلم: (فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ وأنتم تقحمون فيها).وهو مكون من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن حال الناس من دعوته عليه وسلم.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أي ذلك صفتي وحالي وشأني في دعائهم إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم.[4] من كل ما عبدوه من دون الله تعالى. ومن التمادي على الباطل. وإن عدم استماعهم إلى الحق وإتباعه. وإصرارهم على إتباع كل ما هو آلهة لهم من غير الله تعالى، كان سببا في هلاكهم ودخولهم النار، فلم ينفعهم ولم ينجيهم، إتباعهم لهم من دون الله تعالى.

---

١ انظر القاضي أبي الفضل المالكي، مشارق الأنوار، (٢٩٣/٢)، ومحمود بن أحمد العيني، في عمدة القاري، (٧٦/٢٣).
٢ محمود بن أحمد العيني،عمدة القاري، (١٦/ ١٧) و (٧٦/٢٣).
٣ انظر القاضي أبي الفضل المالكي، مشارق الأنوار، (٢٩٣/٢)، ومحمود بن أحمد العيني، في عمدة القاري، (٧٦/٢٣).، وابن حجر، فتح الباري، (٤٦٣/٦).
٤ انظر المراجع السابقة.

المطلب الرابع: شرح المثل.

إن وجه التمثيل في الحديث قد ذكر في كتب الشروح من وجه غير الوجه الذي نذكره، ولكن هذا لا يضير، "إذ المثل الواحد يضرب لمعان متعددة باعتبارات مختلفة".[1]

مثل دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم، و معبوداتهم. كمثل رجل استوقد أي أوقد ناراً وسعي في الإنارة، ولما أضاءت ما حوله جعل الفراش وكل ما يتهافت على النار من الطيارات يقع فيها. وهذه الدواب التي تقعن في النار تقعن فيها بغير قصد. ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبة المخالفين له وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على عدم الوقوع في ذلك ومنعه إياهم. والجامع بينهما إتباع الهوى وضعف التمييز، وعجز معبوداتهم أن تنجيهم من الوقوع في النار. ونتيجة ذلك الهلاك في النار. وفي هذا دلالة واضحة على عجز كل معبود باطل، والعجز يسقط الألوهية. وهذا مثل المقصود منه أن الناس لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة وإنما يأتونه على قصد المنفعة والتقرب إلى الله تعالى عن طريق اتخاذ الوسطاء أو لعبادتهم وهم لا يعلمون أنهم أعجز عن نفع أنفسهم فضلا عن نفع غيرهم ويكونون سبباً في إحراقهم وهلاكهم.

كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء وقد قيل إنها لا تبصر وإنما قيل إنها تكون في ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنها كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر وقيل إن ذلك لضعف بصرها فتظن أنها في بيت مظلم وأن السراج مثلا كوة فترمي بنفسها إليه وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع في الظلمة فترجع إلى أن تحترق وقيل إنها تتضرر بشدة النور فتقصد إطفاءه فلشدة جهلها تورط نفسها فيما لا قدرة لها عليه وجهل الآدمي أشد من جهل الفراش لأنها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال والآدمي يبقي في النار مدة طويلة أو أبدا.[2]

من فوائد المثل:

١. بيان أن من أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجزه لا اقتحام له في النار، وإن من اعتمد في خلاصه من النار على إلهه من غير الله تعالى، فهو واقع فيها وهذا دليل على عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله تعالى وإلا لما كان هلاكهم في النار. وأن تلك المعبودات

١ محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص(٢٠٤)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضيلة، وقدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار العلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققه (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م).
٢ انظر محمود بن أحمد العيني، في عمدة القاري، (١٧/١٦).، وابن حجر، فتح الباري، (٤٦٣/٦)، وأبي الحسن الرمهرمزي، أمثال الحديث، ص(٢٨،٢٧)

مع عجزها عن حمايتهم فهي التي تقودهم وتسبقهم إلى النار. قال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾[1] فجعلهم أتباعًا له في الآخرة إلى النّار حين اتّبعوه في الدُّنيا، وإنّ الله يمثل لكلّ قوم ما كانوا يعبدون في الدُّنيا يتقدموهم إلى النار.[2] قال صلى الله عليه وسلم: (فينطلق كل إنسان منكم إلى ما كان يتولى في الدنيا ويمثل لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا وقال يمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير حتى يمثل لهم الشجر والعود والحجر).[3]

٢. دل المثل على عجز كل ما يعبد من دون الله تعالى. ويظهر من اقتحام الفراش في النار فلم تستطع معبوداتهم أن تنجيهم منها. وقد دل العقل على استحالة اتصاف الله تعالى به لأن العجز صفة نقص، والرب سبحانه وتعالى منزه عن العجز، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[4] إذا فالعجز مستحيل سمعاً وعقلاً.[5]

خلاصة مبحث: الأمثال الواردة في عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله.

يتبين مما سبق إن من أهم طرق الدعوة إلى توحيد الله تعالى بيان بطلان الشرك ومن طرق نفي الشرك، بيان ما عليه الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى، من العجز والضعف وعدم القدرة، وعدم الإرادة، فلا تملك حياة ولا موتاً ولا نشوراً، لا تملك مثقال ذرة في هذا الوجود العظيم، لا تملك ضراً أو نفعاً لمن استنجد بها وطلب منها العون ويدل ذلك على عجزهم. فهذا العجز أدعى لقطع كل ما يؤدي إلى الشرك في قلب كل إنسان، فقد تحداهم الله تعالى أن يخلقوا ذباباً وعند ظهور عجزهم، تحداهم أن يسترجعوا شيئاً سلبه الذباب منهم. وقد ثبت أن " العجز يسقط الألوهية"[6] وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في بيان عجز استقلال كل من عبد من دون الله تعالى بخلق شيء "عجز كل مخلوق عن الاستقلال بمفعول ما، فلا يكون شيئاً من المخلوقات رباً لشيء من المخلوقات ربوبية مطلقة أصلاً، إذ رب الشيء من يربه مطلقاً من

---

١ سورة هود آية، (٩٨).

٢ انظرحافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (٤٨٧/٢)، ومحمد بن حسن بن سليمانالفقيه، الكشف المبدي (٤٣٨).

٣ وراه الحاكم، في المستدرك على الصحيحين، ح(٨٧٠٥)، (٦٣٣/٤)، وأبي محمد المنذري، في الترغيب والترهيب، ح(٥٤٤٢)، (٢١١/٤). وقال عنه الألباني: صحيح، في صحيح الترغيب والترهيب.(٤) ح(٣٥٩١).

٤ سورة فاطر آية، (٤٤).

٥ انظر محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة السفارينية، ص(٢٩٩)، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ).

٦ أبو منصور محمود الماتريدي، التوحيد، ص(٢١).

جميع جهاته، وليس هذا إلا لله رب العالمين"[1]. وإن كل من احتمى وتولى غير الله فإنه لن يجد غير الخذلان والعجز عن حمايته ونصرته. والذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله، ويرجون نفعها عند حاجتهم إليها فهم في ضعف عقولهم وسوء اختيارهم لأنفسهم كمثل العنكبوت وهؤلاء المشركون إذا حل بهم سخط الله لن يغني عنهم أوليائهم شيئًا ولن يدفعوا عنهم بأس الله، فشبه الأصنام ببيت العنكبوت وشبه المشركين بالتجائهم للأصنام كالتجاء العنكبوت لبيتها الواهن الضعيف، فكما لا يغني العنكبوت بيتها هذا لا تغني أصنامهم عنهم من الله شيئًا.[2] وكذلك النبي بين عجز نفع المعبودات لعابديها من دون الله تعالى. فلم تنجهم في الخلاص من النار، وإن ما ينجيهم حقا هو إتباع منهج كتاب الله تعالى ومتابعة رسوله الكريم وبغير ذلك تكون مهلكتهم .

المبحث الثاني: الأمثال المضروبة لضلال وضياع عمل المشرك.

تمهيد:

إن أهل البدع والجهل يفعلون ما نهى الله عنه ويدعون ما أمر الله به وهم يظنون أنهم يعظمونه سبحانه وتعالى: ومثال ذلك الذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ليدعوهم من دون الله، ويعتقدون أنهم يتقربون إلى الله تعالى، وهم من الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[3] و يعتقدون أنهم بعملهم هذا يستحقون الجنة. والله لا يقبل شيئا منها بل ترد على عامليها أحوج ما يكون إليها وتكون من الأعمال التي قدم الله تعالى عليها فجعلها هباء منثورا ولصاحبها نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[4] هذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل أو على غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال أرباب العلوم التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة ولكن تلقوها من الذين ضلوا وأضلوا غيرهم ومن شبهاتهم وشهواتهم.[5] وقد بين الله تعالى ورسوله هذا الصنف وضرب لهم الأمثل لبيان حقيقتهم حقيقتهم فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

---

١ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (٣٤١/٩).
٢ انظر محمد أحمد الملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٧٢).
٣ سورة فاطر آية، (٨).
٤ سورة الكهف آية، (١٠٣،١٠٤).
٥ انظر ابن تيمية، الرد على الأخنائي، ص(٢٥)، وابن القيم، إجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٣٩،٤٠).

﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۢ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾[2] وقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بين الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً وَإِلَى هذه مَرَّةً لاَ تدري أَهَذِهِ تَتْبَعُ أَمْ هذه).[3]

المثل الأول:

﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾[4]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، وهو من القياس التمثيلي.

حيث شبه أمراً محسوس بأمر أخر محسوس، فشبه المشركين بالأنعام.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن تشبيه مفرد بمفرد آخر.

المطلب الثاني: بيان الممثل به.

تظهر صورته من قوله تعالى: ﴿ كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.[5]

كالأنعام: هي البهائم التي لا تفقه ولا تعقل ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما، و البهائم تهتدي لمراعيها، وهي تنقاد لأربابها وهي مطيعة لله فيما خلقها له، لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره.[1]

---

١ سورة الأعراف آية، (١٧٩).
٢ سورة النور آية، (٣٩).
٣روره أحمد بن حنبل ،في مسنده، ح(٥٠٧٩)، (٤٧/٢)، و الدارمي ، في سننه، ح(٣١٨)، (١٠٥/١)، و السيوطي، في المعجم الاوسط، ح(٤٣٥٣)، (٢٩٨/٤)، والمعجم الصغير، ح(٥٨٥)، (٣٥٠/١)، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح، ح(٥٨٥٣)، في صحيح وضعيف الجامع الصغير.
٤ سورة الأعراف آية، (١٧٩).
٥ سورة الأعراف آية، (١٧٩).

المطلب الثالث: بيان الممثل له.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾.[3]

الذرأ: الخلق. يقال: ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرءا، أي: خلقهم.[4] وقيل ذرأ جهنم لكثير من الجن والإنس.[5]

لجهنم: واللام في لجهنم للعاقبة والصيرورة: أي لنفاذ علمه فيهم أنهم يصيرون إليها نتيجة كفرهم بربهم.[6]

ثم ذكر الله تعالى صفاتهم التي أدت بهم إلى هذا المصير فقال: لهم قلوب لا يفقهون بها: أي لا يفقهون بها الآيات الهادية إلى الله مع أن دلائل الإيمان مبثوثة في ثنايا الكون تدركها القلوب المتفتحة، والبصائر المستنيرة، ولهم أذان لا يسمعون بها: الهدى.[7]

هم الغافلون: أي عن الفقه والاعتبار والتدبر، وهم الكاملون في الغفلة، و أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار.[8]

ومما سبق ذكره يتبين أن صورة الممثل له هي:

صورة الكفار المشرك من الثقلين من الجن والإنس المعرضين عن الله تعالى و علم الله منهم اختيارهم الكفر فشائه منهم وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم النار، فخلقهم لها وبعمل أهلها يعملون. لذلك لا تنافي بين هذا وبين قوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [9] أي أنه إنما خلق منهم للعبادة من

---

١ انظر الطبري، في تفسيره، (٥٩٥/١٠)، وبدر الدين العيني، عمدة القاري، (١٨/ ٢٤٧)، أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣١٠/٤)، تحقيق:أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى(١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٢ سورة الأعراف آية، (١٧٩).

٣ سورة الأعراف آية، (١٧٩).

٤ انظر الطبري، في تفسيره، (٢٧٦/١٣)،وابن كثير، في تفسيره، (٥١٣/٣)، ومحمد سيد طنطاوي، في التفسير الوسيط، (٤٤٠/٥)، دار النهضة ، مصر، الأولى: (١٩٩٧م).

٥ انظر أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، في تفسيره، (٥٦٨/١)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل محمد عبد الموجود، وزكريا النوتي،دارالكتب العلمية، بيروت،(٢٠٠٦م).

٦ انظر الطنطاوي، في تفسيره، (٤٤٠/٥)، والطبري، في تفسيره، (٥٩٢/١٠).

٧ انظر المراجع السابقة،و القرطبي، في تفسيره، (٣٢٤/٧).

٨ انظر أبي القاسم الزمخشري، في تفسيره: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (١٨٠/٢).

٩ سورة الذاريات آية، (٥٦).

علم من ذلك و من علم أنه يكفر به فخلقه لما علمه منه. فالحاصل أن من علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للجنة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه للنار.[1]

ووصفهم بأنهم لا ينتفعون بشيء من الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية، وهي القلوب والعيون والأذان ولم يكونوا صما ولا عميا إلا عن الهدى.[2]

المطلب الرابع: شرح المثل.

إن الله تعالى خلق أهل النار من الجن والإنس، وبعمل أهلها يعملون، ثم وصفهم الله تعالى فقال: عنهم أَنهم لم يفقهوا بقلوبهم مَا ينتفعون بِهِ من الخير والهدى، وَلم يبصروا بأعينهم طريق الحق وسبل الرشاد، وَلم يسمعوا بآذانهم؛ مَا ينتفعوا بِهِ من مواعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها؛ وفي ذلك دليل على ضلال وضياع المشرك، وعمله.فمن لم يكن على الهدى فهو على الضلال. ومن كان على ضلال كان عمله الضال غير مقبول. فكأنهم لا يفقهون ولا يسمعون ولا يعقلون ولا يبصرون شيئاً، أي فقدوا حواسهم التي ترشدهم إلى المعرفة، التي تقودهم إلى العمل المقبول عند الله تعالى. لذلك قال عنهم أنهم، كالأنعام وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما. فشبههم الله بها إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ولا يتفكرون فيما يسمعون، وأنهم ركنوا إلى شهوات الدنيا، وأنقادوا واتبعوا هواهم. ثم قال بل هم أضل. وفي ذلك تاكيد على دلالة ضلالهم، وضلال أعمالهم يحسبون أنهم يحسنون. يقول هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد بعداً من البهائم لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لأنفسها من الغذاء، والذين وصفهم الله في هذه الآية مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تركوا ما فيه صلاحهم في دنياها وآخرتها وتطلبوا ما فيه مضارها فالبهائم منهم أفضل كما وصفها الله تعالى.وقوله أولئك هم الغافلون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا يعني سهوا عن آياتي وحججي وتركوا تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها لا البهائم التي قد عرفها ربها ما سخرها له .[3]

---

١ انظر ابن كثير في تفسيره، (٢٦٩/٢).

٢ انظر الطبري، في تفسيره، (٢٧٦/١٣)،وابن كثير، في تفسيره، (٥١٣/٣)، القرطبي، في تفسيره، (٣٢٤/٧).

٣انظر الطبري، في تفسيره، (٢٧٦/١٣)،وابن كثير، في تفسيره، (٥١٣/٣)، ومحمد سيد طنطاوي، في التفسير الوسيط، (٤٤٠/٥)، و القرطبي، في تفسيره، (٣٢٤/٧).

أن البهائم لها شهوة بلا عقل، والإنسان له شهوة وعقل، فإن رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهائم،[1] فمن جعل مايألهه هو ما يهواه، فقد اتخذ معبوده ما يهواه، وهذا حال المشركين الذين يعبدون ما يستحسنونه. ويظنونه نافعاً لهم.[2] فيكون مصيرهم الضلال وضياع عملهم. وتكون البهائم أفضل منهم حالاً.

من فوائد المثل:

بيان أن الله تعالى خلق للنار خلقاً كثيراً لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم، وإن مذهب أهل السنة والجماعة "أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال[3] العباد خيرها وشرها لم يؤمن أحد به إلا بمشيئته ولم يكفر أحداً إلا بمشيئته"[4] فالموجودات نوعان: مسخر بطبيعته، والثاني: متحرك بإرادته، فسخر الله الأول، وهدى الثاني، هداية تابعة لشعوره وعلمه ما ينفعه وما يضره. فالله سبحانه لا يمنع الثواب إلا إذا لم يعمل العمل الصالح المقبول، ولا يعاقب إلا بعد حصول سبب العقاب.[5] وأنه لا يقع إلا ما أراده الله تعالى.

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[6]

---

١ انظر عبد الرحمن السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك، ص(٢١٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٢ انظر سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، ص(١٨٨).

٣ الإرادة تنقسم إلى قسمين شرعية وكونية . الشرعية بمعنى: المحبة، والشرعية: بمعنى المشيئة. والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه. انظر محمد بن صالح العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، (٢٤٣/٣)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ).

٤ محمد بن عبد الرحمن الخميس، أعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، ص(٢٥٤)، دارإلاف الدولية، الكويت،الأولى: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٥ انظر محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية،ص(٣٠١).

٦ سورة النور آية، (٣٩).

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

نوع المثل من جهة القياس: هو قياس تمثيلي، حيث شبه أمراً من الأمور المعنوية بأمر من الأمور المشاهدة. بحيث يقوم على تشبيه أعمال الكافر التي ظنها حسنه والتي عملها في الدنيا، بحال السراب حين يطلبه الشخص العطشان فلا يجده شيئاً.

ونوعه من حيث التشبيه: هو تمثيل مركب.

وذلك أن كلاً من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة من جملة هيآت تعطي في مجموعها الوصف المعتبر.

المطلب الثاني: بيان الممثل به:

تظهر صورته من قوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾[١] وهو مكون من السراب، ومن الظمآن الذي وجد السراب.

السراب: هو الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، وسمي السراب سرابا لأنه يسرب سروبا أي يجري جريا.[٢]

وقوله بقيعة : وهي جمع قاع كالجيرة جمع جار والقاع ما انبسط من الأرض واتسع وفيه يكون السراب، نصف النهار والقاع الأرض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها وهي مستوية ليس فيها ارتفاع وإذا خالطها الرمل لم تكن قاعا لأنها تشرب الماء فلا تمسكه ويصغر على قويعة.[٣]

وقوله يحسبه الظمآن ماء: هو العطشان من الناس الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء فلما أتاه لم يجده شيئاً.[٤]

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا القول بأن صورة الممثل به هي:

---

١ سورة النور آية، (٣٩).

٢ انظر ابن منظور، لسان العرب، (٤٦١/١)، و الرازي، في مختار الصحاح، ص(١٢٣)، و البغوي ، في تفسيره، (٣/ ٤٢٠).

٣ انظر ابن منظور، لسان العرب، (٨/ ٣٠٤)، والطبري، في تفسيره، (١٤٨/١٨)، و عبد الرحمن السيوطي، الدر المنثور، (٦/ ٢١٠)، و ابن ابي حاتم، في تفسيره، (٢٦١١/٨)، وإبراهيم إسحاق الحربي، غريب الحديث، (١/ ٥٨).

٤ انظر الطبري، في تفسيره، (١٤٩/١٨)، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٦١٢/٨).

صورة السراب وهو ما كان كالماء الذي يجري على وجه الأرض، فإذا شاهده الشخص العطشان الذي اشتد عطشه حسبه ماء فطلبه وظن أنه بلغ مراده منه. حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيئا، ويدل ذلك على شدة حيرته واضطرابه وعدم استقرار حالته.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له:

تظهر صورته من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾[1] ومن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[2] وهو مكون من أعمال الذين كفروا.وحال المشرك والكافر عند حاجته لعمله.

فهو مثل ضربه الله لعمل الكافر الذي جحد توحيد ربه وكذب بهذا القرآن وبمن جاء به، يحسب أنه على شيء من الهدى والصواب ومكانه عند ربه. وإذا هلك وجاءه يوم الحساب وصار في حاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها الجزاء الذي يستحقه عليه من الله تعالى.[3]

المبحث الرابع: شرح المثل.

أتى المثل عقب آيات بينت جزاء أعمال المؤمنين الذين لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كي يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويزيدهم ثواباً على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله.[4]

وأما أعمال الكفار فهذا المثل ضربه الله لأعمالهم فقال والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به وهم يظنون أنهم على شيء فتبين لهم عند انكشاف الحقائق خلاف ما كانوا يظنونه، وهذا حال أهل الجهل، وأهل البدع والأهواء، الذين يظنون أنهم على هدى وعلم، فإذا انكشفت الحقائق

---

١ سورة النور آية، (٣٩).
٢ سورة النور آية، (٣٩).
٣ انظر الطبري، في تفسيره، (١٤٨/١٨)، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٦١٠/٨)، والصنعاني، في تفسيره، (٦١/٣).
٤ قال تعالى: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة النور آية (٣٨/٣٧).

تبين أنهم لم يكونوا على شيء وأن عقائدهم وأعمالهم التي عملوها كسراب يقول مثل سراب والسراب ما لصق بالأرض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر، وهو ما يراه المسافر في الصحراء من بعيد مثل الماء، وما هو بماء، إنما هو انعكاسات من أشعة الشمس. وحتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيئا يقول لم يجد السراب شيئا وهو خداع للبصر. فكذلك الكافرون بالله مع أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعة عند الله لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه.[1]

وهذا حال كل صاحب باطل فإنه يحسب أنه على شيء وهدى ومكانة عند الله تعالى ولكنه يخونه باطله عندما يكون في أشد الحاجة إليه، وذلك لأن الباطل لا حقيقة له، فإذا كان الاعتقاد غير مطابق للحق كان متعلقة باطلاً، وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة، كالعمل لغير الله عز وجل، وعلى غير شرع الله وهداه، بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه، وبحصول ضد ما كان يؤمله، وإن كدحه وسعيه ضائع لا أجر له عليه عندما يكون في أشد الحاجة إله كالساعي إلى السراب، فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى.[2]

من فوائد المثل:

١. دلالة المثل على سبب كفر هذا الصنف من الكفار، من الخوض في الشبهات، والاسترسال مع الشهوات.
٢. أن أصحاب الباطل ينخدعون به ويعتقدون صحة باطلهم، ولكنهم يعرفون الحقيقة عندما يكونون في أشد الحاجة إلي حسناتهم فلا يجدونها، فيدل ذلك على ضلال وضياع عمل المشرك وهم يظنون أنهم يحسنونه صنعاً.
٣. دلالة الآية على أن الكفر أنواع فمن أنواعه: الذي يحسب صاحبه أنه على حق وهو على باطل، كمن زين له سوء عمله فرآه حسنا، فإنه لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم؛ فلهذا مثل بسراب بقيعة. وهو المغتر الذي غرته نَفسه وشيطانه وهواه وأمله الخائب الْكَاذِب بربه حتى اتبع

---

١ انظر الطبري ، في تفسيره، (١٨/ ١٤٩)، ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، (١٧٠/٥)، وابن القيم، أمثال القرآن، ص (٣٧،٣٦)، و عبد الرحمن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(١٢٩ إلى ١٣٣).
٢ انظر ابن القيم، أمثال القرآن، ص (٣٧).

نفسه هواها وَتمنى على الله الأَمانِي. والغرور: ثقتك بِمن لَا يوثق بِهِ. وسكونك إِلَى من لَا يسكن إِلَيْهِ. ورجاؤك النفع من المحل الذي لا يأتي بخير. كَحال المغتر بِالسَّرابِ. قال تعالى في وصف المغترين ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1] هؤلاء إذا انكشف الغطاء وثبتت حقائق الأمور علموا أنهم لم يكونوا على شيء وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون.[2] عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رَأَيْتَ اللَّهَ يعطي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا على مَعَاصِيهِ ما يُحِبُّ فَإِنَّمَا هو اسْتِدْرَاجٌ)[3] ثُمَّ تَلاَ رسول اللَّهِ وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4] ولذلك كان غاية الحد في الغرور أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يتابع عليه نعمه وهو مقيم على ما يكره.

٤. دلالة المثل على أن من أسباب الضلال اتباع الظن، ويظهر من قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾[5]

المثال الثالث:

قال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بين الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً وَإِلَى هذه مَرَّةً لاَ تدري أَهَذِهِ تَتْبَعُ أَمْ هذه)[6]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

١ سورة الكهف آية، (١٠٤).
٢ انظر ابن تيمية، الأيمان، ص(٢١٨). وابن القيم، الروح، ص(٢٤٤).
٣ رواه أحمد بن حنبل في مسنده ح(١٧٣٤٩)، (١٤٥/٤)، والطبراني، في المعجم الأوسط، ح(٩٢٧٢)، (١١٠/٩)، وفي المعجم الكبير، ح(٩١٣)، (٣٣١/١٧)، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة، ح(٤١٣)، (٧٧٣/١).
٤ سورة الأنعام آية، (٤٤).
٥ سورة النور آية، (٣٩).
٦روره أحمد بن حنبل ،في مسنده، ح(٥٠٧٩)، (٤٧/٢)، والدارمي ، في سننه، ح(٣١٨)، (١٠٥/١)، والسيوطي، في المعجم الاوسط، ح(٤٣٥٣)، (٢٩٨/٤)، والمعجم الصغير، ح(٥٨٥)، (٣٥٠/١)، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح، ح(٥٨٥٣)، في صحيح وضعيف الجامع الصغير.

فشبه أمراً غير مدرك بالحس بأمر مشاهد محسوس، فشبه المنافق المشرك مع الله تعالى بالشاة الحائرة بين القطيع.[1]

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة.

فالممثل له: هم المنافقون وحالهم وحيرتهم في حياتهم. والممثل به: هي الشاة الحائرة في القطيع.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

تظهر صورته من قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بين الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هذه مَرَّةً وَإِلَى هذه مَرَّةً لاَ تدري أَهَذِهِ تَتْبَعُ أَمْ هذه)، فغالب ألفاظ المثل وردت لتبين صورة الممثل به، وهو مكون من الشاة، وحال الشاة من حيث أنها حائرة لا تدري من تتبع.

العائرة: أي المترددة، وقيل الساقطة التي لا يعرف لها صاحب.[2]

وهي الشاة المترددة لا تدري لأي الغنمين تتبع فتذهب يمينا وشمالاً مرة إلى هذه ومرة إلى هذه لا تدري أين تذهب ومن تلحق.[3]

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ)، وبقية حال الممثل له يمكن معرفتها من خلال الممثل به.

النفاق: أن يظهر الإسلام باللسان ويخفي الكفر بالضمير، أي أنه يظهر خلاف ما يبطن.[4]

الممثل له: هي صورة ذلك المنافق الذي يتردد مرة مع المؤمنين ومرة مع الكفار، أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكفار.

---

١ انظر علي بن سلطان القاري، مرقاة المفاتيح، (٢١٥/١).
٢انظر لسلن العرب، ابن منظور، (٦٢٢/٤)، وانظر أبي سليمان أحمد الخطابي، غريب الحديث، (٤٨٠/١).
٣ انظر النووي، في شرح النووي على صحيح مسلم، (١٢٨/١٧)، و علي بن سليمان القاري، مرقاة الفاتيح، (٢١٥/١).
٤ انظر أبي محمد حسين البربهاري، شرح السنة، ص(٣٠)، وحافظ الحكمي، معارج القبول، (٥٩٦/٢)، وأبي محمد عبد الله المقدسي، المناظرة في القرآن، ص(٥٠).

المطلب الرابع: شرح المثل.

ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المثل وذلك ليبين حال المنافق، ويوضح حيرته وتردده في منهجه ومدى إضطرابه، وتردده بين الطائفتين تبعا لهواه ومراده وقصدا إلى شهوته بالشاة العائرة المتحيرة والمترددة لا تدري لأي القطيعين تتبع، فمرة تذهب إلى هذا القطيع ومرة إلى هذا القطيع، لا تستقر على حال، لأنها غريبة ليست منهما فكذا المنافق لا يستقر بالمسلمين ولا بالكافرين بل يقول لكل منهم أنا منكم، فأشار بذلك إلى أنه حائر بين الكفر والإيمان، وإن لم يتقدم ذكرهما، لظهور تضمن الكلام لهما،[1] وقد قال تعالى في وصفهم: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[2] أي وذو الوجهين هو المنافق وهو الذي يمشي بين الطائفتين بوجهين يأتي لإحداهما بوجه ويأتي للآخر بخلاف ذلك، مذبذبين متحيرين بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا هم مع الكفار ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى هؤلاء.[3]

من فوائد المثل:

١. دلالة المثل على أن المنافقين والمشركين في حيرة وقلق وخوف دائم. وهذه الدلالة مستفادة من حال المنافق، وحيرته في إتباع المؤمنين أو الكافرين، ومن حالة الشاة المترددة في إتباع أي القطيعين لأنها لا تنتمي إلى أي قطيع فهي غريبة عنهم.

٢. إخلال المنافقين بشروط التوحيد حيث لم يحققوها جميعها من اليقين المنافي للشك فيما دل عليه شكه وحيرته. ومن الإخلاص المنافي للشرك، ومن الصدق المنافي للكذب وهو حال المنافق.[4] قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾[5]

٣. بيان أنه لابد في الإيمان وشهادة أن لا إله إلا الله من تحقيق شروطها، ولا تنفع قائلها إلا باجتماعها. ومنها اليقين المنافي للشك. اليقين: بأن يكون قائلها مستيقنًا بما تدلّ عليه؛ فإن كان

---

١ انظر البغوي، في تفسيره، (٧١٥/١)، والطبري، في تفسيره، (٤٢٤/٥)، أبي الفرج جمال الدين الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٤٨٩/١)،تحقيق: عبد الرزاق المصري، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى: (١٤٢٢هـ)،وأبي الحسن علاء الدين المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٤٤٠/١)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، الأولى، (١٤١٥هـ).

٢ سورة النساء آية، (١٤٣).

٣ انظر ابن كثير، في تفسيره، (٥٦٩/١)، بدر الدين محمود العيني، عمدة القاري، (٦٩/١٦).

٤ انظر عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، رسائل وفتاوي، ص(٢٨). دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثالثة، (١٤١٢هـ). المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، ص(٢٢١)، دار الهداية، الطبعة: الأولى: (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٥ سورة الفتح آية، (١١).

شاكًّا بما تدل عليه لم تنفعه، ومن كان مرتابًا كان منافقًا. وحتى يكون العلم كاملا، يجب أن لا يكون فيه شك ولا ريب؛ فمن علم أن معنى "لا إله إلا الله": لا معبود بحق إلا الله، يجب أن لا يرد على علمه شك ولا ريب، ويجب أن لا يتردد في الإيمان بمدلولها، وعليه أن يعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى، وبطلان إلهية غير الله عز وجل بأي نوع من التأله.[١]

خلاصة مبحث: الأمثال الواردة في ضلال وضياع عمل المشرك.

دلالة المثل الأول وكثير من نصوص الكتاب والسنة والإجماع على أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئة الله عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه. ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة باختيارهم، فلذلك يستحقون عليها الجزاء. إما بالثواب أو العقاب، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلا لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادا وخلقا لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.[٢]

إن الله تعالى خلق لجهنم كثيراً من الإنس والجن لعلمه سبحانه وتعالى أنهم يصيرون إليها بكفرهم وشركهم بالله تعالى وعدم متابعة النبي الكريم، ووصفهم أنهم في حيرة وقلق من أمرهم وقال عنهم أنهم غير مدركين لغاية خلقهم، وذلك لانقطاع سبل الهداية والإدراك عنهم، فهم لا يفقهون ولا يعقلون ولا يسمعون ولا يبصرون الحق والهدى فيتبعونه، فوصفهم وكأنهم فقدوا تلك الحواس. فشبههم الله تعالى بالأنعام والبهائم غير المكلفة بل هي مُسخرة. ثم قال عنهم زيادة في التحقير، أن تلك البهائم أفضل منهم، وذلك لأنها تطيع ربها وتعلم كمائن الخطر فتبتعد عنه، وتعلم كيف تبحث عن طعامها. أما المشركون فلم يستفيدوا مما وهبهم الله تعالى من وسائل الإدراك ليبتعدوا عن النار، فكانت البهائم أفضل منهم. وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في وصف عقاب المنافقين منهم " تركهم في ظلمات الحيرة لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه ولا يبصرون سبيلا بل هم صم بكم عمي".[٣]

وفي المثل الثاني بين الله تعالى حال الكفار الذين شبه أعمالهم بالسراب، وهم الذين يحسبون أنهم على شيء، وليس المقصود بهم الذين يعلمون أنهم على باطل، فهم ساروا وراء الشبهات، فتعلموا وعملوا

---

١ انظر عبد القادر بن محمد عطا، المفيد في مهمات التوحيد، ص(٧٠).

٢انظر محمد بن عبد الرحمن الخميس، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، ص(٢٥٤). و محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص(٣٠١).

٣ ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص (٢٣).

أعمالا خالطها الشرك وإتباع الشبهات والظن وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله تعالى، وأن أعمالهم مقبولة عنده ويرجون عليها ثوابه. فهذا يبين أن قصد الخير والنية الحسنة لا تنفع في قبول العبادة عند الله تعالى بل يجب الإتيان بشرطين قبول العمل، وهما الموافقة لشرع الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي المثل الثالث أن الهداية واستنارة القلوب وصلاح الأعمال لا يكون إلا بما أنزله الله تعالى على أنبيائه. وبغير ذلك يكون الحيرة والضلال وضياع الأعمال، فدلت الآية على حال المنافقين من القلق والخوف والتردد الدائم، فشبههم بحال الشاة العائرة بين القطيعين لا تعرف إلى أيهم تلجا وهي غربيه عنهما، كذلك المنافق لا يعرف إلى المسامين يكون إخلاصه أم إلى الكفار.

وبما أن الكفر نوعان: كفر ظاهر، وكفر نفاق، ففي أحكام كفر النفاق. في الآخرة كان حكمه حكم الكفر الظاهر. وأما في أحكام الدنيا فقد تجري على المنافق أحكام المسلمين.[١] وفي المثل بيان لأحد نوعي الكفر. وهو بلجوئه إلى الكفار ورجائه الخير منهم خاب وخسر، كما قال بذلك ابن تيمية . رحمه الله . "فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له كانت صفقته خاسرة "[٢]

المبحث الثالث: الأمثال الواردة في إنكار اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.

المقدمة:

إن من لم يقدر الله تعالى حق قدره وجحد كمال ربوبيته وآثر الشرك في عبادة الله تعالى على الإيمان، فإنه يضيق صدره ويقسو قلبه، حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان ورضي بموالاة غير الله تعالى، وأشركه مع الله تعالى فيما لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، فلا يحدث نفسه بالرجوع إلى الله ولا يعزم على الإقلاع عن ذنبه وقد خالف الله في أمره بحب ما يبغضه وببغض ما يحبه وعدم إخلاصه في عمله وهذا كله، وهو يسكن في داره ويتغذى برزقه ويتقوى على معاصيه بنعمه.٣ ولذلك أنكر الله تعالى على من آثر الشرك على الإيمان في كثير من الآيات.

وفيما يلي عرض لأهم الأمثال المضروبة في إنكار اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.

---

١ انظر ابن تيمية، توحيد الألوهية، (٦٢١/٧)، وعبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، ص(٨٢)، مكتبة الرشد، الرياض، الثانية: (١٤٢٤ه).

٢ ابن تيمية، توحيد الألوهية، (١٦٥/٨).

٣ انظر أبي حامد الغزالي، شفاء العليل، ص(١٠٨).

المثال الأول:

فقال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾[١]

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾[٢]

المثال الثالث:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أجْرَدُ فيه مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ وَقَلَبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ على غِلاَفِهِ وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ وَقَلَبٌ مُصْفَحٌ فَأَمَّا الْقَلْبُ الأَجْرَدُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فيه نُورُهُ وَأَمَّا الْقَلْبُ الأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ وَأَمَّا الْقَلْبُ المنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ أنكر وَأَمَّا الْقَلْبُ المصْفَحُ فَقَلْبٌ فيه إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الإِيمَانِ فيه كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فيه كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ فأي الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ على الأُخْرَى غَلَبَتْ عليه).[٣]

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾[٤]

---

١ سورة الأنعام آية، (١٢٢).
٢ سورة الحج آية، (٣١).
٣ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(١١١٤٥)، (١٧/٣)، وأبو القاسم الطبراني، في المعجم الكبير، ح(٢٨٥)، (١١٧/٣)، و في المعجم الصغير، ح(١٠٧٥)، (٢٢٨/٢)، وابن أبي شيبة موقوفاً، في مصنفه، ح(٣٧٣٩٥)، (٤٨١/٧)، وذكره ابن كثير، في تفسيره، (٥٧/١)، وقال عنه إسناده جيد حسن، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف مرفوعاً والصحيح موقوف، في تخريج أحاديث الإيمان لابن تيمية.
٤ سورة الأنعام آية، (١٢٢).

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي .

وهو يقوم على تشبيه أمر معنوي غير مدرك بالحس بأمر مشاهد محسوس وهو حال كل من رضي بالإيمان بعد الكفر ومن رضي بالكفر وآثر الشرك على الإيمان، بحال من كان ميتاً فأحياه الله تعالى وبمن يمشي بين الناس وله نور يضيء له طريقه، وبحال من كان في الظلمات ليس بخارج منها، ومقايسة هذا بهذا، وإلحاق أحكام الممثل به بالممثل له.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[1]
ومن قوله تعالى: ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[2]

أومن كان ميتاً فأحيينه: أي حال ذلك الميت الذي نفخت فيه الحياة بعد الموت.[3] وقيل معناه كان ميتا حين كان نطفة فأحييناه بنفخ الروح فيه.[4]

والحياة هي: مبعث المدارك والمساعي، والموت هو: القاطع للمدارك والمساعي النافعة، وعدم تلقي ما يلقى إلى صاحبه.[5]

وجعلنا له نوراً: أي كالذي معه سراج يمشي به بين الناس يتبصر به الحق من غيره. ويستضي ويهتدي به في قضاء مصالحه وعلى قصد سبيله.[6]

كمن مثله في الظلمات: أي الميت وهو أعمى القلب ومن في الظلمات أهذا وهذا سواء، والظلمة مستولية عليهم في جميع جهاتهم.[7]

---

١ سورة الأنعام آية، (١٢٢).
٢ سورة الأنعام آية، (١٢٢).
٣ انظر القرطبي، في تفسيره، (٧٨/٧).
٤ انظر محمد الطاهر بن محمد عاشور، التحرير والتنوير، (٢٩٤/٢٢).
٥ انظر القرطبي، في تفسيره، (٧٨/٧).
٦ انظر الزحيلي، التفسير المنير، (٢٧/٨).
٧ انظر الطبري، في تفسيره، (١٢٩/٢٢)، وابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٧).

ومما سبق يتبين أن صورة الممثل به هي.

صورة ذلك الميت الذي نفخت فيه الحياة بعد الموت، أو صورة الإنسان حين كان ميتاً وهو نطفة فأحياه الله تعالى بنفخ الروح فيه. وصورة ذلك الماشي بين الناس ومعه سراج ينير له طريقه، لأن النور في الحسيات الظاهرة يكشف الطريق للماشي على الأرض ويعرفه بما حوله لكي لا يتعثر بما يقطع عليه طريقه.

والصورة الثانية صورة الماكث في الظلمات، والظلام. وذلك لأن الظلمات في الحسيات تجعل الماشي فيها يتعرض للمخاطر والمهالك ويوقعه في سوء المصير ولا يرى ما يضره أوما ينفعه.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

لم يرد في ألفاظ المثل مما يتعلق بالممثل له إلا قوله تعالى في ختام المثل: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] أما بقية حال الممثل له فلم تذكر اكتفاء بدلالة الممثل به عليها، وترك الأمر للسامع للاستدلال عليها، وهي عبارة عن وجه شبه مشترك بين الممثل به والممثل له.

شبه الله تعالى الإيمان بالحياة في انبعاث خير الدنيا والآخرة، فالمؤمن عبد حي الأثر حي البصر حي النية حي العمل. ومن كان كافراً بهداه الله تعالى، وقيل كان كافرا بالجهل فهدينه بالعلم. وقيل هداه بالإيمان، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس هو الهدى الذي هداه الله به ونور له به طريقه إلى الجنة.[2]

كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، وشبه الكفر بالموت في الانقطاع عن العمل والمدركات النافعة، وفي عدم تلقي أو الانتفاع بما يلقى على صاحبه، والكافر عبد ميت البصر ميت القلب ميت العمل.[3]

هذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر، فبّين أن المؤمن المهتدي هو الذي كان لا يعرف شيئاً عن قضايا الإيمان، بمنزلة من كان ميتا، فهديناه إلى المعارف الإيمانية فآمن فصار بالإيمان حياً، وأعطاه نورا يهتدي به فهو مثل القرآن والتعاليم والشرائع والوصايا والأحكام الربانية التي تهدي المؤمن لفعل الخير وترك الشر، وتنجيه من المزالق والضلالات وأنواع المهالك. وإن الكافر يتخبط في ظلمات على غير هدى،

---

١ سورة الأنعام آية، (١٢٢).

٢انظر ابن جرير الطبري ، في تفسيره، (١٢٩/٢٢)، والقرطبي، في تفسيره،(٧٨/٧)، والبغوي، في تفسيره، (١٨٤/٣)

٣ انظر المراجع السابقة.

بسبب عدم استجابته لدعوة الحق الربانية، لأن كل الطرقات غير صراط الله طرقات مظلمة لا نور فيها. بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها.[1]

المطلب الرابع: شرح المثل.

هذا النص اشتمل على تشبيه المؤمنين بالأحياء، والكفار بالأموات، وتعليم الدين والقرآن بالنور، والمؤمن بالماشي بين الناس بالنور، وتمثيل المشرك والكافر بالماشي في الظلمات، ففي هذا المثل تظهر صدق المماثلة بين الممثل به والممثل له، و انتقال الحكم إلى الممثل له وكأنه عين الممثل به وهي إحدى خصائص الأمثال القرآنية.

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا في الضلالة هالكا حائرا وهو لا يعرف الحياة الروحانية القلبية شيئاً، فأحياه الله أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لا تباع رسله، بهداية الله تعالى له وباختياره، ذاق حلاوة الإيمان بقليبه، وجعل الله تعالى له نوراً يهتدي به، وهو نور لعقله وقلبه ونفسه، ينير له داخله فيعمل بمقتضاه، فيمشي به في الناس سوياً على صراط مستقيم، وهو ليس كمن هو باقي في ظلمة الكفر والضلالات ليس بخارج منها لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص بما هو فيه فهو على غير هدى، بسبب كفره، وعدم استجابته لدعوة الحق الربانية، وهو في ظلماته يحاول أن يجد طرقا يسلكها غير صراط الله ليخرج من الظلمات التي هو فيها ولكن لا يوجد له مخرج من الظلمات إلا صراط الله، ولكنه رفض عبوره، وأخذ يبحث عن غيره، ولن يجد، إذ لا يوجد طريق منير غيره. ولن يتبعه لأنه زين له أن يعتمد على آرائه وأهوائه ووساوس الشياطين، فهي قد اقترنت بزخارف الأفكار والأقوال والمذاهب والآراء المضلة الصارفة عن صراط الله المستقيم، فزين له الشيطان وأعوانه أن يعمل بها، إذ وجد فيها ما يشتهي ويهوى من متاع الحياة الدنيا. والآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر.[2]

من أهم فوائد المثل:

١. دلالة المثل على أن النور والهداية من الله تعالى، ووصف الشرك والكفر بالظلمة، وأن سببهما من الإنسان.

١ انظر محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٢١٦/٣)، وحكمت بن بشير ياسين، الصحيح المبسور من التفسير بالمأثور، (٢٧٠/٢)، عبد الرحمن حبنكه، أمثال القرآن، ص(٢٥٦،٢٥٣)

٢ انظر ابن كثير، في تفسيره، (١٧٣/٢)، وعبد الرحمن حبنكة الميداني، أمثال القرآن، ص(٢٥٣، إلى ٢٥٦)، و القرطبي، في تفسيره، (٧٨/٧)، والطبري، في تفسيره، (٢٢/ ١٢٩).

٢. إن السبب في استمرار النور وزيادته وقوته في قلب المؤمن يكون بالعلم بالكتاب والسنة، والعمل بهما، وبغيرهما يكون مصير غير المؤمن الظلمة والضلال. فقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ "إن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها ويدوم بدوامها، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها"[١]

٣. وضع الممثل به موضع الممثل له، تأكيدا للمماثلة، وفيه كذلك تقرير لذكاء المخاطب وقدرته على فهم المثل.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[٢]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

وهو يقوم على تشبيه غير مدرك بالحس بما هو مدرك بالحس وهو حال المشرك بالله تعالى، بحال الساقط من السماء حين تتخطفه الطيور، أو حال الذي تلقي به الريح من مكان بعيد.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني:بيان صورة الممثل به.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[٣]

خر من السماء: أي سقط من السماء إلى الأرض.[١]

---

١ ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٢٠).
٢ سورة الحج آية، (٣١).
٣ سورة الحج آية، (٣١).

فتخطفه الطير: أي مضاعف خطف للمضاعفة والمبالغة، وتتنازعه أو تستلبه. فلا يستولي طائر على قطعة منه إلا أنتهبها منه آخر. والخطف تناول الشيء بسرعة، وقطعته ومزقته بمخالبها في الهواء وأخذ كلا منهم قطعة.[٢]

تهوي به الريح: أي نزول الشيء من العلو إلى الأرض، وتميل وتذهب به إلى الأرض في مكان بعيد.[٣]

مكان سحيق: أي سافل بعيد أبعد ما يكون عن السماء، فلا نجاة لمن حل فيه.[٤]

ومما سبق ذكره يتبين أن صورة الممثل به هي:

حال الهاوي والساقط من السماء إلى الأرض، في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه بمخالبها في الهواء وأخذ كلٍ منهم قطعة. وإما بسقوطه إلى مكان سحيق بعيد أبعد ما يكون عن السماء، لا نجاة منه.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ ﴾[٥]

حنفاء لله غير مشركين: أي مخلصين له غير مشركين به، وقد كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: حنفاء للّه غير مشركين به أي: حجاجا للّه مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفا.[٦]

ومما سبق يتبين أن صورة الممثل له هي:

صورة المشرك غير الموحد من عبدة الأوثان والأصنام ونحوها فإنه من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله في بعده من الهدى وإصابته الحق وهلاكه وبعده عن ربه بالمتخبط في أهوائه والساقط من المكانة التي

---

١ انظر ابن كثير، في تفسيره، (٢٢٠/٣)، الزحيلي، التفسير المنير،(٢٠٨/١٧)، محمد الطاهر عاشور، (٢٥٥/١٧).
٢ انظر القرطبي، في تفسيره،(٥٥/١٢)، ومحيي الدين درويش، إعراب القرن وبيانه،(٤٢/٦).و المراجع السابقة.
٣ انظر ابن كثير، في تفسيره، (٢٢٠/٣)، القرطبي، في تفسيره، (٥٥/١٢)، والطبري، في تفسيره، (١٥٥/١٧).
٤انظر ابن كثير، في تفسيره،(٢٢٠/٣)، القرطبي، في تفسيره، (١٢/ ٥٥)، محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه،(٤٢/٦).
٥ سورة الحج آية، (٣١).
٦ انظر البغوي ، في تفسيره، (٣٣٩/٣).

كرمه الله تعالى بها، فهو قد خسر خسرانا عظيما وهلك هلاكا مبيناً هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه ضرا ولا عذابا.[1]

المطلب الرابع: شرح المثل.

أمر الله تعالى عباده بأن يكونوا حنفاء موحدين له غير مشركين به، ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فشبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها يهبط إلى الأرض، وإليها يصعد منها. وشبه تارك الإيمان والتوحيد ممن أشرك بالله تعالى بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، فتخطفه الطير أي تقطعه الطيور في الهواء وهي الشياطين التي يرسلها الله تعالى إليه فتزعجه وتقلقه، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما فعلت به الطيور في لحمه وأعضائه، أو تهوى به الريح في مكان سحيق أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء في حديث أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرحا من هناك فيقول الله عز وجل (اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً ثُمَّ قَرَأَ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ)[2] والريح التي تهوي به هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعد ما يكون عن السماء، ولقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ورفعه إلى منزله عبودية الله تعالى وحده وحرره من عبودية سواه، فإذا اختار الإنسان بإرادته أن يشرك بربه، ويجعل نفسه عبداً لغير ربه، فقد أسقط نفسه من مرتبته العلية إلى أسفل السافلين.[3]والغرض من هذين التشبيهين التمثيليين تقبيح حال الشرك والتنفير منه، وإنكار اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.

من فوائد المثل.

١. دلالة المثل على أن من أسباب الضلال إتباع الشبهات، وتظهر من قوله تعالى: ﴿ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾[4]

---

١ انظر المرجع السابق.

٢ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده ح(١٨٥٥٦) (٢٨٧/٤)، و الحاكم النيسابوري، المستدرك، كتاب: الإيمان، ح(١٠٧) (٩٤/١). وقال عنه الشيخ الألباني صحيح في سنن أبي داود، رقم(٤٧٥٣)، (٢٣٩/٤).

٣ انظر الطبري، في تفسيره، (١٥٥/١٧)، و ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٧٤)، و عبد الرحمن الميداني،أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص(١٩٠،١٩١).

٤ سورة الحج آية، (٣١).

٢. بيان سبب ضلال المشركين هو اتبعاً كل من أضله بالفتن والشبهات التي اشتبه عليه فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال، فكان مصيره الهلاك، وذلك بعدم إتباعهم لهدى الرسول، وقد بين العلماء أسباب الضلال والفتن وإتباع الشبهات فقال ابن القيم. رحمه الله. " وهذه الفتنة تنشا تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة".[1] ولا يكون النجاة بغير إتباع الكتاب وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

المثال الثالث:

قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أجْرَدُ فيه مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ وَقَلَبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ على غِلاَفِهِ وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ وَقَلَبٌ مُصْفَحٌ فَأَمَّا الْقَلْبُ الأَجْرَدُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فيه نُورُهُ وَأَمَّا الْقَلْبُ الأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ وَأَمَّا الْقَلْبُ المنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ أنكر وَأَمَّا الْقَلْبُ المصْفَحُ فَقَلْبٌ فيه إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الإِيمَانِ فيه كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فيه كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ فأي الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ على الأُخْرَى غَلَبَتْ عليه).[2]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

وهو يقوم على تشبيه غير مدرك بالحس بما هو مدرك بالحس وهو حال الإيمان في قلب المؤمن وكذلك حال قلب المشرك بالله تعالى والمنافق، وحال الإيمان في قلب المؤمن وما يغذيه، بحال النبتة التي تتغذى بالماء الطيب، وحال قلب الكافر وما يغذيه، بحال القرحة وما يغذيها من قيح ودم.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وهو مكون من القلوب الموصوفة بالتالي:

---

١ ابن القيم، إغاثة اللهفان في مصادر الشيطان، (٢٤٠/١).

٢ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(١١١٤٥)، (١٧/٣)، و أبو القاسم الطبراني، في المعجم الكبير، ح(٢٨٥)، (١١٧/٣)، و في المعجم الصغير، ح(١٠٧٥)، (٢٢٨/٢)، وابن أبي شيبة موقوفاً، في مصنفه، ح(٣٧٣٩٥)، (٤٨١/٧)، وأورده ابن كثير، في تفسيره، (٥٧/١)، وقال عنه إسناده جيد حسن، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف مرفوعاً والصحيح موقوف، في تخريج أحاديث الإيمان لابن تيمية.

الأجرد: أي نقي من أي تراب يقع عليه،[1] وأرض جرداء: أي لا نبات عليها،[2] والأجرد: "الذي لا شعر على جسمه".[3]

الأغلف: أغلف وهو في الأصل الذكر" الذي لم يختن أي لا يعي ولا يفهم والمعنى هي مغشّاة بأغطية لا يدري أحد ما وراءها"[4]، وهو ما يحيط به غلاف يمنع أن يصل إليه شيء.[5]

المنكوس: هو المقلوب،[6] ويطلق على الرجوع من حالة حسنة إلى حالة سيئة، ومعاودة المرض بعد الشفاء.[7] ورد الشيء مقلوباً، هو شر ضروب التحول و الارتداد كتحول الطعام والعلف إلى الرجيع والروث، وهو هنا تحولهم من الإيمان إلى الشرك والكفر.[8]

المصْفح: هو الذي له وجهان، وصفح كل شيء وجهه وناحيته. قوله مصفح أي له صفحان يقال سيف مصفح أي ذو صفحين، ومن هذا قولهم صفحت عن الرجل إذا أعرضت عنه.[9]

البقلة التي تمد بالماء الطيب: أول ما ينبت قبل أن يخضر، وكل نبات اخضرت له الأرض فهو بقل.[10]

القرحة التي تمد بالقيح والدم: وقرح الجلد هو إذا خرجت به القروح.[11]

ومما سبق ذكره يتبين أن صورة الممثل به هي:

هي تلك القلوب الجرداء الباقية على أصل خلقتها التي لم يقع عليها شي، وهي مثل السراج الذي يزهر وينير لصاحبه طريقه. والقلب الأغلف الذي عليه غلاف يمنع وصول الخير إليه أو أي شيء إليه.

---

١ انظر محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٤٠٨/١)، و وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، (١٥٣/١).
٢ انظر الزحيلي، في تفسيره، (١٤٠٤/٢)، و محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥٨/١٥)، و أبي السعادات المبارك ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، (٢٨٥/١).
٣ احمد بن حنبل، في مسنده، (٣١٦/١٣).
٤ محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (١٤٢/١).
٥ انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (١٥/٦)، و أبي محمد المكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، (١/ ٣٤٣)، و ابن منظور، لسان العرب، (٢٧١/٩)، و الرازي ، في مختار الصحاح، ص(٢٠٠)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص(١٠٨٨).
٦ انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص(٧٤٦)، و محمد الطاهر عاشور ، التحرير والتنوير،(٥٤/٢٣).
٧انظر محمد الطاهر عاشور،التحرير والتنوير،(٥٤/٢٣)، و ابن منظور، لسان العرب، (٢٤٢/٦)،
٨ انظر محمد رشيد علي رضا، تفسير المنار، (٢٦٢/٥).
٩ انظر أبي السعادات المبارك، النهاية في غريب الأثر،(٣٤/٣)، والخطابي، في غريب الحديث،(٣٣١/٢)، وابن وابن منظور، لسان العرب، (٥١٦/٢).
١٠ انظر ابن منظور، في لسان العرب، (٦١/١١)، والرازي، في مختار الصحاح،ص(٢٤).
١١ انظر ابن منظور، لسان العرب، (٥٥٨/٢).

والقلب المنكوس المقلوب من حالة حسنة إلى حالة سيئة. والقلب المصفح ذو الوجهين، وشبهه بحالتين، حاله بالبقلة الخضراء التي تمد بالماء النقي الطيب، وبحالة القروح والجروح حين تمد بالقيح والدم الفاسد.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له:

وترد ألفاظ كثيرة تبين صورة الممثل له ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ) ومن قوله (الْقَلْبُ الأَجْرَدُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فيه نُورُهُ وَأَمَّا الْقَلْبُ الأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ وَأَمَّا الْقَلْبُ المنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ انكر وَأَمَّا الْقَلْبُ المصْفَحُ فَقَلْبٌ فيه إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الإِيمَانِ) وقوله: (وَمَثَلُ النِّفَاقِ).

صورة الممثل له هي عبارة عن وجه شبه من الممثل به، وترك الأمر للسامع المقارنة بينهما.

قلب أجرد: أي خالي من الخلاف والنفاق وليس فيه غل ولا غش فهو على أصل الفطرة.[١]

قلب أغلف: هو الذي عليه غشاوة، فلا تسمع ولا تفقه، أي قولهم قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك الذي لا تعقله ولا تعيه قلوبهم، ولو كان فيها خير لوعته وفهمته.[٢]

قلب منكوس: أي هو المدبر عن حالته، وهو الرجوع من حالة حسنة إلى سيئة، وهو الذل بعد العزة، وسوء الحال بعد زهرتها، وهو تحولهم إلى الكفر والشرك بعد الإيمان وهو قلب المنافق.[٣]

قلب مصفح: أي اجتمع فيه النفاق والإيمان، المصفح الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه وأهل الإيمان بوجه.[٤]

ومما سبق ذكره يتبين أن صورة الممثل به هي:

إن للقلوب أربعة أحوال وهي: قلب المؤمن: المتجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلِم مما سوى الحق، وفيه مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل، والشهوات وذلك بإشراق السرج فيه واستنارته بنور العلم. والقلب الأغلف ذلك قلب الكافر لأنه داخل في غلافه، وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان. وقلب المنكوس ذلك قلب المنافق الذي عرف الحق ولم يتبعه الذي رجع إلى

١ انظر علي بن سلطان محمد أبو الحسين، جمع الوسائل في شرح الشمائل، (٢٧/١).
٢ انظر البغوي ، في تفسيره، (١٤١/١).
٣ انظر محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، (٥٤/٢٣)، محمد رشيد على رضا، تفسير المنار، (٢٦٢/٥).
٤ انظر الخطابي، في غربي الحديث، (٣٣١/٢)، وأبي السعادات المبارك، النهاية في غريب الأثر، (٢٤/٣)، وابن منظور ، لسان العرب، (٥١٦/٢).

الكفر بعد الإيمان، والقلب الرابع: هو القلب الذي اجتمع فيه إيمان ونفاق، فهو الذي يلق أهل الإيمان بوجه وأهل الكفر بوجه، وأيهما غلب على الأخر كان من أهله.

المطلب الرابع: شرح المثل:

أتى هذا المثل ليبين فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أحوال قلوب الناس وأنها تنقسم إلى أربعة أنواع.[١] لكي يعرف كل إنسان من أي هذه الأنواع هو ومن أي الأنواع يود أن يكون.

النوع الأول: القلب الأجرد: أي متجرد من عبادة غير الله تعالى وليس فيه غير محبة الله ورسوله الباقي على أصل فطرته، فقد تجرد وسلِم مما سوى الحق، و فيه سراج يزهر وينير له طريقه دربه حتى يصل إلى غايته ومراده، وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل، والشهوات، واستنارته بنور العلم، والإيمان في طريقه الذي يوصله إلى رضا ربه عنه ليدخله جنته.

النوع الثاني: القلب الأغلف: أي قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه، وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكياً عن اليهود: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾[٢]، أي قلوبنا ممتلئة علما لا تحتاج إلى علم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيره، وقلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا! وهذه الغشاوة هي الأكِنَّة التي ضربها الله على قلوبهم عقوبة لهم على رد الحق، والتكبر عن قبوله، فهي أكنة على القلوب فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[٣]،أي مستورة عن الفهم والتمييز، فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ولى أصحابها على أدبارهم نفورا.[٤]

النوع الثالث: القلب المنكوس، أي قلب المنافق، وهو الذي يظهر خلاف ما يبطن، وهم كانوا على الباطل من الكفر والشرك فعرفوا الإيمان ولكنهم آثروا الباطل على الحق فرجعوا إليه. كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن

١ انظر المراجع السابقة.
٢ سورة البقرة آية، (٨٨).
٣ سورة الإسراء آية، (٤٦).
٤ انظر القرطبي، في تفسيره،(٢٥/٢).

﴿ تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[1] أي: نكسهم، وردهم في الباطل الذي كانوا فيه بسبب كسبهم، وأعمالهم الباطلة،[2] وهذا شر القلوب، وأخبثها؛ فإنه يعتقد الباطل حقاً، ويوالي أصحابه، والحق باطلاً، ويعادي أهله.

النوع الرابع: القلب المصفح أي الذي له مادتان: وهو القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه، ومادة من خلافه، فتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، يغذيه إتباع الحق من الكتاب والسنة وإتباع أهل الحق، كما يغذي الماء الطيب النقي البقلة الخضراء، وتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، يغذيه الشبهات والشهوات وإتباع أهل الباطل، كما يغذي الدم الفاسد والقيح القروح. والحكم للغالب، وإليه يرجع. ولذلك أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.

من فوائد المثل.

١. إن حياة القلوب ونورها تكون بالإيمان، وبغيره يكون موتها وهلاكها.
٢. إن حياة القلوب أو مرضها أو موتها موقوف على صلاح أو فساد ما فيها، وأن أثر الإيمان في تطهير القلب يتجلى في ثلاثة أمور:
- الأول: تطهيره من العقائد الباطلة، والظنون السيئة.
- والثاني: تطهيره من المعاصي.
- والثالث: تطهيره من العواطف الفاسدة.

٣. إن تعقل القلب للعلم المستقى من الوحي المطهر، وقبوله له، هو العامل الأهم في تطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون السيئة الناتجة عنها.[3]
٤. إن معرفة أسباب النجاة من الشرك وفك قفل القلوب، وفتحها لأسباب الهدى: هو أهم ما ينبغي للعبد أن يصرف همته إليه، فإن ذلك هو نجاته في الدنيا والآخرة. أن يعلم الذنب الذي أتي من قبله، ثم يطهر نفسه من رجس ذلك الذنب، ويغلق عن نفسه باب ذلك الأمر الذي قفل قلبه عن أسباب الهدى. فقد تبين أن صمود القلب أمام ما يطرقه من فتن الشبهات والشهوات، وثباته في مواقف الفتن: هو من أعظم أسباب هدايته، وأن تعرضه للفتن، واستجابته لها: هو من أعظم أسباب ضلاله وفساد حاله. فيجب عليه أن يطلب من الله تعالى يفتح قلبه لقبول الهدى

١ سورة النساء آية،(٨٨).
٢ انظر ابن كثير ، في تفسيره(٥٣٤/١)، وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (٦١٢/٢).
٣ انظر عبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدمة، (٦٨١/٢).

والنور.[1] قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : " ومما ينبغي أن يعلم : أنه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل حصول الإيمان؛ بأن يفَك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفلَ، ذلك الختمَ والطابع والقفل، ويهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده، حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر: لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان. وقرا قارئ عند عمر بن الخطاب : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2] وعنده شاب فقال: (اللهم عليها أقفالها، ومفاتيحها بيدك لا يفتحها سواك)، فعرفها له عمر وزادته عنده خيرا. وكان عمر يقول في دعائه : (اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت)".[3]

٥. إنه مع الطبع والختم والقفل، لو تعرض العبد للهداية أمكنه فك ذلك الختم والطابع وفتح ذلك القفل؛ يفتحه من بيده مفاتيح كل شيء. وأن أسباب الفتح، في مقدور العبد غير ممتنعة عليه، فلو أن المطبوع على قلبه، كره ذلك ورغب إلى الله في فك ذلك القفل، وفعل مقدوره: لكان هداه أقرب إليه من غيره.

خلاصة مبحث: الأمثال الواردة في إنكار اتخاذ الشركاء والإعراض عن الإيمان.

إن المتصف بالخلق والإبداع والتكوين للإنسان، والممد له بالنعم والرزق، والمسخر كل ما في الأرض للإنسان، جدير بالعبادة والتعظيم والخضوع له، فلا يليق اتخاذ الشركاء الضعفاء معه، من الأصنام والبشر وغيرهم من الذين لا يخلقون شيئا ولا يقدمون على شيء من الرزق وغيره، ولا يملكون لأنفسهم نفعا، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا، فضلا عن أن يدفعوه عن غيرهم، فتنزه الله تعالى عن اتخاذ الأنداد والشركاء والأولاد وغيرهم، إذ لا حاجة له بهم، فمن كانت له حقيقة القدرة، ودلت عليه دلائل الربوبية والوحدانية هو المستحق وحده للعبادة، ولذلك أنكر الله تعالى ورسوله الكريم، على كل من أشرك بالله تعالى وأعرض عن الإيمان، ولذلك كانت الأمثال واضحة الدلالة جلية في إنكار اتخاذ الشرك والإعراض عن الإيمان.

---

١ انظر ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١٣،١٢/١). وعبد الله الجربوع، الأمثال القباسية المضروبة للإيمان بالله، (٦٦٦/٢).
٢ سورة محمد آية، (٢٤).
٣ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، ص(٩٠).

فشبه الله تعالى حال كل من رضي بالإيمان بعد الكفر وحال من رضي بالكفر وآثر الشرك على الإيمان. بحال من كان ميتاً فأحياه الله تعالى وبمن يمشي بين الناس وله نور يضيء له طريقه، وبحال من كان في الظلمات ليس بخارج منها.

ولقد ضرب الله تعالى مثلاً أخر للمشرك في ضلاله وبعده عن الهدى بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، فتقطعه الطيور في الهواء وهي الشياطين التي يرسلها الله تعالى إليه فتزعجه وتقلقه، أو تهوى به الريح في مكان سحيق: أي بعيد مهلك لمن هوى فيه فإذا اختار الإنسان بإرادته أن يشرك بربه، ويجعل نفسه عبداً لغير ربه، فقد أسقط نفسه من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين.

وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً لقلب كل إنسان. فمثل حال الإيمان في قلب المؤمن وكذلك حال قلب المشرك بالله تعالى والمنافق منكوس القلب: قال بن القيم . رحمه الله تعالى "وإذا نكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات ويفسد حاله وعمله وكلامه "[1]

وحال الذي اجتمع في قلبه إيمان ونفاق، فشبه الإيمان في قلبه وما يغذيه، بحال النبتة التي تتغذى بالماء الطيب، وشبه النفاق في قلبه وما يغذيه، بحال القرحة وما يغذيها من قيح ودم. وما ذلك إلا لإنكار اتخاذ الشرك والإعراض عن الإيمان.

المبحث الرابع: الأمثال الواردة في أثر الشرك في حبوط العمل ورده.

التمهيد:

إن من شرط قبول الأعمال الصالحة في الدنيا، التوحيد والإخلاص، فلا يقبل الله من العباد أعمالهم إلا بالتوحيد، فهو سبحانه يقبل من الموحد عمله الصالح وإن كان قليلاً، وتضل وتضيع عمل المشرك وإن كان كثيراً.

ولا شك أن الشرك يبطل العبادة، ويُبطل سائر الأعمال، ولا يصحُّ معه عمل، فلا قيمة لأعماله مع الشرك، ومهما تكلّف وأتعب الإنسان نفسه بالعبادات، إذا كان عنده شيء من الشرك الأكبر فإن عبادته تكون هباءً منثوراً فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾

١ ابن القيم، الحدود والتعزيرات، ص(١٦٥).
٢ سورة الزمر آية، (٦٥).

﴾[1]. فقال تعالى﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[2] أي بطل ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا يرجو أن يدرك به منزلة عند الله تعالى، وهو في الآخرة من الخاسرين الهالكين الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد وعملهم بغير طاعة.[3]

وهذا يدلنا على عظم ذنب المشرك، ومدى خطر الشرك في حبوط الأعمال وردها، وأنه غير مؤمن من عذاب الله غز وجل وقد توعده الله تعالى بالخسران، بخلاف الموحد.

وفميا يلي عرض لأهم الأمثال المضروبة في أثر الشرك في حبوط العمل ورده.

المثال الأول.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾[4]

المثال الثاني.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[5]

المثال الثالث.

وقال صلى الله عليه وسلم: (لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورا) قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا وجلهم لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: (أما إنهم إخوانكم من جلدتكم يأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلو بمحارم الله أنتهكوها) ٦

١ سورة الأنعام آية، (٨٨).
٢ سورة الفرقان آية، (٣٢).
٣ انظر الطبري، في تفسيره، (١٠٩/٦).
٤ سورة إبراهيم آية، (١٨).
٥ سورة ال عمران آية، (١١٦،١١٧).
٦ رواه الطبراني، في مسند الشامين، (١/ ٣٩٣) ح (٦٨٠)، وفي المعجم الوسيط، (٤٦/٥)، ح (٤٦٣٢)، وفي المعجم الصغير، (٣٩٦/١)، ح (٦٦٢)، أبي بكر إسماعيل الكناني، مصباح الزجاجة ،كتاب: الزهد، باب: ذكر

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾[1]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة.

فالممثل له: هم الذين كفروا وأعمالهم الصالحة التي يقومون بها في حياتهم، والممثل به: هو الرماد وهو ما سحقته النار مما يكون فيها واشتداد الريح به في اليوم العاصف.

المطلب الثاني: بيان الممثل به.

تظهر صورته من قوله تعالى: ﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾[2] وهو مكون من الرماد الذي اشتد به الريح.

الرماد: هو دقيق الفحم الذي ينتج من حرقه في النار وما خبا من الجمر فطار دقيقا.وقيل هو كل ما سحقته النار فصار رماداً.[3]

اشتدت به الريح: حملته الريح في يوم شديد عاصف، وضربته الريح فلم ير منه شيء أي من ذلك الرماد ولم يبق من أثر.[4]

الذنوب، (٢٤٦/٤). وقال عنه هذا حديث صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (٥٠٥) (٣٢/٢).

١ سورة إبراهيم آية، (١٨).

٢ سورة إبراهيم آية، (١٨).

٣ انظر ابن منظور، لسان العرب، (١٨٥/٣)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٥٣/٩)، ومصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (١٧٤/٥).

٤ انظر الطبري، في تفسيره، (١٣/ ١٨٩)، وعبد الرحمن السيوطي، الدر المنثور، (١٧/٥)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٥٣/٩)، وحكمت بن بشير بن ياسين، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، (٣/ ١٣٢)، ومحمد أمين الشنقيطي، في أضواء البيان، (٢٤٥/٢).

ومما تقدم يمكننا القول بأن صورة الممثل به هو:

الرماد في خفته وتطايره السريع إذا تعرض إلى الريح الشديدة في يوم عاصف لم يبق له أثر، ولا يقدر أحد على جمع الرماد إذا أرسل في يوم عاصف.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر صورته من قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾[1] ومن قوله تعالى: ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾[2] وهو مكون من أعمال الذين كفروا، وعدم قدرتهم على شيء مما كسبوه.

الذين كفروا بربهم: عبدوا غيره، وأعمالهم هي: أعمال الخير التي يعملها المشركين. فهم يجازون بها في الدنيا فقط، وإذا جاء يوم القيامة وجدوا انفسهم ليس لهم حسنات وصحف حسناتهم بيضاء فارغة.[3]

لا يقدرون مما كسبوا على شيء: أي الكفار والمشركون لا ثواب لهم في الآخرة على ما عملوا من أعمال البر في الدنيا، وذلك لضياعها بالكفر والشرك بالله تعالى. وذلك هو الخسران الكبير والبعيد عن إدراكه.[4]

ومما تقدم يمكننا القول بأن صورة الممثل له هي:

أعمال البر والخير التي كانوا يعملها الذين كفروا وأشركوا بربهم في الدنيا، فهي لا ثواب لهم بها في الآخرة، وذلك لضياعها بالكفر والشرك بالله تعالى. وهذا هو الخسران الكبير والبعيد عن إدراكه أي عن إدراك ثوابه.

المطلب الرابع: شرح المثل.

أتى هذا المثل عقب آيات فضحت أولئك الكفار والذين ناصبوا الإسلام العداء، فهؤلاء ينتظرهم يوم شديد لا يستطيعون له دفعاً وعذابهم الشديد فيه نتيجة لأعمالهم السيئة في الدنيا.[1]

---

١ سورة إبراهيم آية، (١٨).
٢ سورة إبراهيم آية، (١٨).
٣ انظر القرطبي، في تفسيره، (٣٥٣/٩)، و مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (١٧٤/٥)، ومحمد بن خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص(٢١٠)، أبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي، التخويف من النار،ص(١٣٤)، وعبد الرحمن السيوطي، الدر المنثور، (١٦/٥).
٤ انظر عبد الرحمن السيوطي، في الدر المنثور، (١٧/٥)، والقرطبي ، في تفسيره، (٣٥٤/٩).

وأما أعمالهم الحسنة فوضح القرآن الكريم مصير أعمالهم، إذا طلبوا من الله تعالى في يوم القيامة ثوابها لأنهم كانوا يحسبون أنهم على شيء فلم يجدوه شيئاً، ولم يحصلوا منها إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به ريح شديدة عاصفة قوية، فإن تلك الريح تطير ذلك الرماد ولم يبقي له أثر، كذلك أعمال الكافر كصلات الأرحام، وقرى الضيف، والتنفيس عن المكروب، وبر الوالدين، ونحو ذلك يبطلها الكفر ويذهبها، فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم. وذلك هو الخسران الحقيقي لأنه الخسران الكبير، وإنما ذلك لبعده ولفوات استدراكه بالموت.[٢]

من فوئد المثل.

١. بيان أن أعمال الكفار قسمان:[٣] من حيث الأجر عليها في الآخرة: قسم: هو طغيان وبغي وإفساد في الأرض ونحو ذلك، فهذه أعمال باطلة فاسدة لا يرجو أصحابها من ورائها خيراً، ولا يتوقعون عليها ثواباً بل يعاقبون عليها.

والقسم الثاني: أعمال أحسنوا فيها وهم يظنون أنها تغني عنهم من الله شيئاً، كالصدقة والعتاق وصلة الأرحام والإنفاق في سبل الخير.

٢. إن الأعمال التي يظن صاحبها أنه على خير يفاجأ يوم القيامة بأن عمله باطل ضائع، هم الذين انتسبوا إلى الإسلام، ولكنهم أشركوا بالله، وعبدوا غير الله، هؤلاء لا تنفعهم أعمالهم، ولا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً.

المثال الثاني:

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا

---

١ وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة إبراهيم آية، (١٥،١٦،١٧).

٢ انظر القرطبي، في تفسيره، (٣٥٣/٩)، و مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (١٧٤/٥)، ومحمد بن خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، ص(٢١٠)، أبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي، التخويف من النار،ص(١٣٤)، وعبد الرحمن السيوطي، الدر المنثور، (١٦/٥).

٣ انظر محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٨٦)، وعمر بن سليمانالأشقر العتيبي، القيامة الكبرى، ص(١٢٦).

صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

من الأمثال التشبيهية التي يتم إيضاح المراد منها عن طريق القياس التمثيلي.

حيث شبه أمراً من الأمور المعنوية بأمر مشاهد محسوس، فشبه الكفر والإشراك كيف يصنع بأعمال الكفار والمشركين الحسنة من الإنفاق في هذه الدنيا، بالريح وما تصنعه في الحرث والزرع من إهلاكه.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم بيانه في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وتظهر صورته من قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ ﴾[2]

الصر: فيها ثلاث تأويلات: الأول: وهو البرد الشديد، والثاني: قيل النار، والثالث: قيل الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها.[3] وقد جمع ابن القيم ـ رحمه الله ـ بين الأقوال الثلاث فقال: " والأقوال الثلاث متلازمة، فهو برد شديد محرق يبسه للحرث، كما تحرق النار، وفيه صوت شديد ".[4]

ظلموا أنفسهم: فيها تأويلان: أحدهما: معناه أن ظلمهم اقتضى هلاك زرعهم. والثاني: يعني أنهم ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع في غير وقته فأهلكته الريح.[5]

---

١ سورة ال عمران آية، (١١٦،١١٧).
٢ سورة ال عمران آية، (١١٧).
٣ انظر الماوردي، في تفسيره، (٤١٨/١)، والقرطبي، في تفسيره، (١٧٨/٤)، والطبري، في تفسيره، (١٣٤/٧)، وابن كثير، في تفسيره، (١٠٦/٢).
٤ ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٨٣).
٥ انظر القرطبي، في تفسيره، (١٧٨/٤)، وابن كثير، في تفسيره، (١٠٦/٢)، والماوردي، في تفسيره، (٤١٨/١)، الراغب الأصفهاني، في تفسيره، (٨١٦/٢).

صورة الممثل به هي:

كشبه ريح فيها برد شديد، أصابت هذه الريح التي فيها البرد، والصوت الشديد، زرع قوم قد أمَّلوا إدراكه، ورجوا عائده نفعه وأصحاب الزرع، عصوا الله، وتعدَّوا حدوده فأهلكت الريح التي فيها الصرُّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم، بسبب من أنفسهم. وقيل كمثل ريح فيها صر. وإنما جاز ترك ذكر"إبطال الله أجر ذلك"، لدلالة آخر الكلام عليه، ولمعرفة السامع ذلك معناه، واقتضى ظلمهم هلاك زرعهم عقوبة لهم على ظلمهم، أو أن ظلمهم لأنفسهم كان في زراعتهم في غير موضع الزرع أو في غير وقت ما زرعوا، فكان ذلك هو سبب هلاك زرعهم.[1]

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] ومن قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.[3]

ما ينفقون: فيها أقوال:[4]

الأول: إنفاقهم المال في معاداة النبي.

الثاني: أنه عام في كل ما أنفق الكافر.

الثالث: ومنهم من قال بل المقصود به أعمالهم كلها ولكن خص بالذكر الإنفاق لكونه أظهر وأكثر.

ومما سبق نقول إن الممثل له هو:

صورة ما أنفقه المشركون وأموالهم التي كانت سبباً في إهلاكهم، وطرق إنفاقها، واختلفوا في هذه النفقة، فمنهم من جعلها لما أنفقه هؤلاء وأمثالهم في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل كل ما أنفق المشرك من نفقة، أي وضعها في غير موضعها، وكل ما ينفقونه من أموالهم فهو ذاهب هالك، حتى ولو أنفقوه فيما يظنونه خيراً، فلا خير إلا أن يكون موصولاً بالإيمان، ونابعاً من الإيمان، وخالصا لله تعالى،

١١ انظر المراجع السابقة، والطبري، في تفسيره، (٧/ ١٣٤).
٢ سورة ال عمران آية، (١١٦).
٣ سورة ال عمران آية، (١١٧).
٤ انظر القرطبي، في تفسيره، (١٧٨/٤)، وابن كثير، في تفسيره، (١٠٦/٢)، والماوردي، في تفسيره، (٤١٨/١)، الراغب الأصفهاني، في تفسيره، (٨١٦/٢).

وقيل إن هذا المثل مضروب لأعمال الكفار كلها ليس للنفقة فحسب، وإنما خص النفقة بالذكر لكونها أظهر وأكثر.[1]

المطلب الرابع: شرح المثل.

في الآية السابقة لذكر المثل بين الله تعالى، أن أموال وأبناء الذين كفروا لا تغني عنهم من الله شيئاً، وفي المثل بين أن إنفاقهم مع كونه غير نافع لهم، فهو وبال عليهم وضار لهم، وكذلك أعمال الكفار كلها التي لم يكن فيها إخلاص لله تعالى، فشبهها بالريح، والبرد الشديد، وهي الكفر والشرك التي تحرق أعمالهم الصالحة.[2] فشبه الله تعالى بالريح التي فيها برد شديد محرقة وكأنها نار ولها صوت شديد، وهي تحرق الزرع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار. إذا نزلت على حرث قد آن حصاده فدمرته وأعدمت ما فيه من الثمار والزرع، وكان ذلك عندما كان صاحبه في أحوج ما يكون إليه، وقرب تحقيق مبتغاهم منه. وكذلك الكافر والمشرك بالله تعالى، يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وكذلك ثمرة أعمالهم في الآخرة لا يجدها إلا حسرة ووبالاً عليهم، كما أذهب الله ثمرة ذلك الحرث بذنوب صاحبه كذلك هؤلاء بنوا أعمالهم على غير أصل وعلى غير أساس صحيح فبعد عنهم الإخلاص وخالطه الشرك من رياء وغيره فلم يكون خالصاً لوجه الله تعالى. فبذلك كان ظلمهم لأنفسهم الذي كان سببا في هلاكهم.[3]

من فوائد المثل:

١. إنه لا جزاء على عمل ولا قيمة له إلا أن يرتبط بمنهج الإيمان والإخلاص، وإلا أن يكون باعثه الإيمان وإرضاء الله تعالى. وأن حسن القصد غير معتبر في قبول الأعمال إذا خالفت شروط الإخلاص.

٢. وقع كثير من أهل البدع فيها ممن يأتي بالبدعة متقرباً بها إلى الله قصده حسن، فيكون فعلُه محموداً بهذا الاعتبار، ولكنه غير مقبول لأنه لا بدَّ مع حسن القصد أن يكون العمل موافقاً للسنة،[4] قال

---

١ انظر المراجع السابقة.

٢ انظر عمر بن سليمان العتيبي، القيامة الكبرى، ص(١٢٦).

٣ انظر الطبري، في تفسيره، (١٣٤/٧)، أبي إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٤٦١/١)، القرطبي، في تفسيره، (١٧٨/٤)، وابن كثير، في تفسيره، (١٠٦/٢)، والماوردي، في تفسيره، (٤١٨/١)، الراغب الأصفهاني، في تفسيره، (٨١٦/٢)، سيد قطب، في ظلال القرآن، (٤٥١/١).

٤ انظر عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها، ص(٤٩، ٤٨). مطبعة سفير، الطبعة الأولى: (١٤٢٥هـ).

صلى الله عليه وسلم: (من أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليس منه فَهُوَ رَدٌّ)[1]. وقال ابن القيم. رحمه الله . : "هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق في غير طاعته ومرضاته، فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر ولا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله وأتباع رسله بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جدًّا يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته".[2]

٣. لا بد لقبول العمل وإن كان صالحاً من توفُّر شرطين:

أحدهما: أن يكون العمل لله خالصاً، والثاني: أن يكون لسنة محمد صلى الله عليه وسلم موافقاً.

فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، ولا بدَّ من تجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، فلو وجد العمل صالحاَ مبنيًّا على السنة وفقد فيه شرط الإخلاص لم يقبل.[3]

المثال الثالث:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورا) قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا وجلهم لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: (أما إنهم إخوانكم من جلدتكم يأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلو بمحارم الله أنتهكوها)[4]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

---

١ متفق عليه رواه البخاري في الصحيح، كتاب: الصلح، باب: إذغ اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح(٢٥٥٠)، (٩٥٩/٢)، ومسلم في الصحيح، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح(١٧١٨)، (١٣٤٣).

٢ ابن القيم، أمثال القرآن، ص(٨٣).

٣ انظر عواد بن عبد الله المعتق، شرط لا إله إلا الله، ص(٤٢٨). الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، (١٤١٤هـ/ ١٤١٥ه)، وعبد المحسن بن حمد العباد البدر، قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص(٥٩)، دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٤ رواه الطبراني، في مسند الشامين، (١/ ٣٩٣) ح (٦٨٠)، وفي المعجم الوسيط، (٤٦/٥)، ح (٤٦٣٢)، وفي المعجم الصغير، (٣٩٦/١)، ح (٦٦٢)، أبي بكر إسماعيل البويصري الكناني ، مصباح الزجاجة ،كتاب : الزهد، باب: ذكر الذنوب، (٢٤٦/٤). وقال عنه هذا حديث صحيح ورجاله ثقات،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (٥٠٥) (٣٢/٢).

وهو يقوم على تشبيه غير مدرك بالحس بما هو مدرك بالحس، وهي الأعمال الكثيرة التي عملها غير المخلص لله تعالى ومصيرها يوم القيامة، بحال الجبال حين تنسف وتكون كالغبار المتناثر.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني:بيان صورة الممثل به.

تظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: (أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورا).

جبال تهامة: هي جبال معروفة في جزيرة العرب وقد ورد ذكرها في بعض الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كتب المعاجم والبلدان.[1]

هباء منثور: والهباء هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ولا يرى ذلك في الظل، وهو ما ارتفع ودق من التراب، وقيل هو كل عمل صالح لا يراد به وجه الله.[2]

ومما تقدم نقول إن صورة الممثل به هي:

صورة تلك الجبال المعروفة عند العرب بعلوها وكثرتها حين يجعلها الله تعالى مثل التراب وغباراً متناثراً ليس بشي تلمسه الأيدي.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

(لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات) ومن قوله: (فيجعلها الله هباء منثورا) ومن قوله: (أقوام إذا خلو بمحارم الله أنتهكوها)

فوصف الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم من أمة محمد يعملون الأعمال الحسنة ولكن لا تقبل منهم بل تضل وتضيع أعمالهم وليس لهم بها حسنات يجزون بها لأنهم لم يعملوه لله تعالى، وقال عنهم أنهم يقعون في محارم الله تعالى.

ومن المهم أن نشير هنا إلى مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة وهو:

١ انظر القاضي أبي الفضل، في مشارق الأنوار، (٥٨/١)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (٣٤٩/١، ٢٤٦)، و أبو عبيد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، (١/ ١٣٦، ٩١)، و مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون، (١٣٩٠/٢). أشار إلى كتاب أسماء جبال تهامة ومكانها وعزاه إلى عرام أصبع السلمي.

٢ انظر الطبري في تفسيره، (٤/١٩)، وابن أبي حاتم ، في تفسيره، (٢٦٧٨/٨)، وأبي السعادات ابن المبارك، النهاية، (٢٤١/٥)، وابن منظور، في لسان العرب، (١٥/ ٣٥٢، ٣٥١).

إن أهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم وإن الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات ولكن قد يحبط ما يقابلها عند أكثر أهل السنة صاحب الكبيرة إذا أتى بحسنات يبتغي بها رضا الله أثابه الله على ذلك وإن كان مستحقا للعقوبة على كبيرته وكتاب الله عز وجل يفرق بين حكم السارق والزاني وقتال المؤمنين بعضهم بعضا وبين حكم الكفار في الأسماء والأحكام والسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة يدل على ذلك، وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه فعمله خالصا لله.[1]

وعلى ذلك تكون أعمالهم التي ضلت وضاعت هي من أنواع الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة ولكنه ينقص العمل وقد يحبطه إذا زاد وغلب عليه الرياء.

المطلب الرابع: شرح المثل.

هذا المثل ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم وبين فيه مصير أعمال المؤمن التي لم تكن خالصة لله تعالى بل خالطها الرياء، والشرك. وذلك لأن الأعمال لا تكون هباء منثوراً إلا مع الشرك وعدم الإخلاص لله تعالى. وفساد العقيدة بالإخلال بالتوحيد وارتكاب الشرك يحبط الأعمال، ويجعلها هباء منثور. ويوضحه أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. يشهدون أن لاإله إلاالله وأن محمد رسول الله، ويصلون ويصمون ويزكون ويجاهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن ذلك دالاً على حسن اعتقادهم، بل كانوا في الدرك الأسفل من النار. والذي يبدو من حال هؤلاء هو الجرأة على المعاصي في السر، حين يستخفون من الناس، مع إظهار الصلاح والاستقامة أمام الناس، فهذه الأعمال هي التي شبهت بجبال تهامة في كبرها وكثرتها وكيف يجعلها الله تعالى مثل الغبار المتطاير الذي لا يقدر عليه، ولا ينتفع به أحد، وكذلك تلك الأعمال لا ينتفع بها صاحبها عندما يكون في أشد الحاجة إليها، وذلك لأنها لم تكن خالصة لله تعالى وخالطها الشرك. ولما فعله من اقتراف للمحارم: وهي كل ما حرمه الله تعالى من الصغائر والكبائر، فهي لفظ عام تدخل فيه المعاصي بجميع أنواعها، مثل الزنا والربا والرشوة والظلم والسرقة والغيبة والنميمة، ونقض ما أمر الله بالوفاء به، وقطع ما أمر الله به أن يوصل؛ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

[1] انظر ابن تيمية، في مجموع الفتاوي، (٢/٣٥٣).

﴿ ... يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

أما الأعمال التي أخلص العبد فيها لله سبحانه، ولم يقصد بها غير وجهه عز وجل، فهذه يكتب الله له بها الحسنات، ويثيبه عليها في الجنة، ولا يحبطها وقوع الرياء في أعمال أخرى، ولا ارتكابه المعاصي في أبواب أخرى، فهو سبحانه لا يضيع أجر المحسنين، ولا يظلم مؤمنا حسنة عملها، وقد قرر ذلك في قاعدة عامة في سورة الزلزلة قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[2]

من فوائد المثل:

إن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال الحسنة بل إلى مدى إخلاص القلب في تلك الأعمال وذلك لأن الشرك فيها يحبطها وإن كانت كثيرة. وصادرة من مؤمن. ومذهب أهل السنة والجماعة في حكم الكبيرة وصاحبها:

أنه لا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة فصاحب الكبيرة إذا أتى بحسنات يبتغي بها رضا الله أثابه الله على ذلك وإن كان مستحقا لعقوبة على كبيرته، وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه فعمله خالصا لله موافقا لأمر الله فمن اتقاه في عمل تقبله منه وإن كان عاصيا في غيره ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه وإن كان مطيعا في غيره.[3]

خلاصة مبحث: الأمثال الواردة في أثر الشرك في حبوط العمل ورده.

إن من حُرم الخير كله هو ذلك الذي ضاع عمله ومن ضاع عمله ظهر شركه وعدم إخلاصه وقد بينت ذلك أمثال القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فشبه سبحانه وتعالى ما ينفق الكافر ويتصدق به على وجه القربة إلى الله، وهو لم يقر بوحدانية الله تعالى ولرسوله مكذب، أن ذلك غير نافعة، وأنه محبط ومردود عند حاجته إليه، وبعدما كان يرجو

١ رسوة الرعد آية، (٢٥).
٢ سورة الزلزلة آية، (٨،٧).
٣ انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (٣٢٢،٣٢١/١٠). ومروان كجك، أحكام عصاة المؤمنين، ص(٩٢)، دار الكلمة الطيبة، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ).

نفعه. كمثل ريح فيها برد شديد وتحمل النار فأصابت زرع قوم رجوا إدراكه ريعه، فأهلكت الريح التي فيها الصر الزرع ولم ينتفع بشيء منه، وكذلك يفعل الله بنفقة الكافر وصدقته ويبطل ثوابها، والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة المشرك.[1]

فهذه وغيرها جملة أدلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة كما سبق بيانه. وهي تبين لنا أن العمل الصالح إذا خالطه الشرك ضل وضاع العمل، وأن العبادة الصحيحة المقبولة عند الله هي التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً ونهياً وتحليلاً وتحريما، من غير أن يخالطها شيء من الشرك، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[2]

وكذلك بين الله تعالى ورسوله الكريم أعمال المؤمنين التي خالطها الشرك. فمذهب أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى يتقبل العمل ممن أتقاه أي أن يكون خالصاً لله تعالى وموافقاً لأمره فمن أتقاه في عمل تقبله منه وإن كان عاصياً في غيره، ومن لم يتقيه فيه لم يتقبله منه وإن كان مطيعاً في غيره.[3]

المبحث الخامس: الأمثال الواردة في جزاء المشركين ومآلهم.

المقدمة:

إن عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، و مآلهم مع من عبدوهم، قد بينها الله تعالى ورسوله الكريم، حيث تتبرأ منهم تلك المعبودات في أحرج المواقف؛ فيريهم الله تعالى أعمالهم حسرات عليهم، ويجعل مصيرهم النار، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا

---

١ انظر محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٨٨).
٢ سورة الأنعام آية، (١٦٢).
٣ انظر ابن تيمية، في مجموع الفتاوى، (١٠/٣٢٢).
٤ سورة البقرة آية، (١٦٥، ١٦٦، ١٦٧).

﴿ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1] وبذلك يكون الضلال والشقاء وأما الهداية فتكون باتباع شرع الله تعالى: وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ "إن الله سبحانه لما أهبط الأبوين من الجنة عهد إليهما عهدا تناولهما وتناول ذريتهما إلى يوم القيامة وضمن لمن تمسك بعهده أنه لا يضل ولا يشقى ولمن أعرض عنه الضلال والشقاء"[2] فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن ﴿١٢٦﴾ ﴾[3] ومن ذلك يتبين أن من أشرك ولم يتمسك بعهده فإن مصيره الشقاء والضلال، وضيق العيش في الدنيا، والعمى في الآخرة، فقال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية: "كما نسيت آياتنا في الدنيا وأعرضت عنها فكذلك اليوم ننساك فنتركك في النار"[4]

وفيما يلي عرض لأهم الأمثال المضروبة في جزاء المشركين ومصيرهم يوم القيامة

المثال الأول.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[5]

المثال الثاني:

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[6]

المثال الثالث:

وقوله صلى الله عليه وسلم (ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وما بين منكبيه) [7]

---

١ سورة الأحقاف آية، (٥،٦).
٢ ابن القيم، الصواعق المرسلة، (٨٤٥/٣).
٣ سورة طه آية، (١٢٣ إلى١٢٦).
٤ الطبري، في تفسيره، (٢٣٠/١٦).
٥ سورة النحل آية، (١١٢).
٦ سورة الحشر آية، (١٥).
٧رواه مسلم، في الصحيح، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارين والجنة يدخلها الضعفاء، الضعفاء، ح(٢٨٥١)، (٢١٨٩/٤).

المثال الأول

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

من حيث القياس هو قياس تمثيلي، حيث شبهت أحوال المشركين وكفرهم وعقاب الله تعالى لهم، بحال القرية المطمئنة التي كفرت بأنعم الله عليها فعاقبهم الله تعالى بتبديل أحوالهم.

من حيث التشبيه: هو تشبيه مركب.

وذلك أن كلا من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة من جملة أفراد تعطي في مجموعها الوصف المعتبر والحكم المشترك بين المشبه والمشبه به، كما سيتم بيانه في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وهو يتكون من القرية، وحال أهل القرية، وكفرهم بنعم الله عليهم، وعقاب أهل القرية.

والقرية: قيل هي مكة، وقيل هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل هي كل قرية صح عليها الحكم،[2]والمراد أهل تلك القرية.[3]

وحال أهل القرية: من الأمن والاستقرار وسعادة ونعم ورغد العيش وهنيئه، يأتيها رزقها من كل مكان.[4]

فكفرت بأنعم الله: بترك شكره وطاعته، وعدم إيمانهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم.[5]

---

١ سورة النحل آية، (١١٢).
٢ انظر الطبري، في تفسيره، (١٨٥/١٤)، والصنعاني، في تفسيره، (٣٦٠/٢)، وابن كثير ، في تفسيره، (٥٩٠/٢)، الماوردي، في تفسيره، (٢١٨/٣).
٣ انظر ابن تيمية، الإيمان، ص (٩٥)، اورد الآية في مسألة نفي القول بالمجاز في القرآن.
٤ انظر الطبري، في تفسيره، (١٨٥/١٤و١٨٦)، وابن كثير، في تفسيره،(٥٩٠/٢)، والماوردي، في تفسيره، (٢١٨/٣).
٥ انظر المراجع السابقة، السيوطي، الدر المنثور، (١٧٤/٥).

فأذاقها الله لباس الجوع والخوف: فسماه لباساً لأنه قد يظهر عليم من الهزل وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس.[1]

ومما سبق يتبين أن صورة الممثل به هي:

حال أهل مكة وكل قوم كانوا في أمن واستقرار وسعادة ونعيم، وكانت تأتيهم الخيرات والأرزاق بكثرة من كل الجهات، فلم يشكروا الله على ما آتاهم من خير وأمن، وما وهبهم من رزق، فعصوا الله وتمردوا، فبدّل اللهُ نعمته بنقمة، وسلبهم نعمة الأمن والاطمئنان، وأذاقهم آلام الجوع والخوف بسبب كفرهم ومعاصيهم، فكان ذلك نتيجة أعمالهم، وإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر صورة الممثل له من خلال مماثلته للممثل به:

حال المشركين الذين ذكرهم الله تعالى بأنواع من النعم، لعلهم يشكرون، وحذرهم من عقابه لعلهم يرجعون، وتذكير المخاطبين بالنعم وتحذيرهم من العذاب والنقم يدعوهم إلى التفكر بعين البصيرة، لترك عبادة غير الله تعالى، ومن لم يستجب لذلك توعده بالعذاب نتيجة أعمالهم، وذلك إن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم، فكان ذلك العقاب نتيجة شركهم بالله تعالى.[2]

المطلب الرابع: شرح المثل.

ضرب الله مثلاً للقرية المطمئنة، يعني بها مكة، وذلك أنهم كانوا قد أمنوا الجُوع والخوف لأن اللَّه جل ثناؤه جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم. فأرزاقهم تأتيهم في بلدهم طيبة هنيئة واسعاً من كل مكان بالتجارة وبقدوم الحجيج إليها وكان حَرَماً آمِناً، فكفرة بأنعم الله: يحتمل وجهين: بترك شكره وطاعته، أو ترك إيمانهم بمحمد عليه السلام. ومن هذا يتبين أن الكفر كفران كفر يخرج عن الملة وكفر لا يخرج عن الملة، "وهو كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي، وتعريفه: هو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كُفرًا، وهي لا تصلُ إلى حدِّ الكفر الأكبر".[3] ومن أمثلتها كفر النعمة المذكور في الآية، وهو لا يخلد صاحبه في النار. فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف، فسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من

---

١ انظر المراجع السابقة، وابن أبي حاتم، في تفسيره، (٢٣٠٥/٧)، وحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين، (٥٠٦/١).

٢ انظر المراجع السابقة.

٣ صالح بن فوزان الفوزان، كتاب التوحيد، ص(٨٢)، دار النشر: وزارة الشؤن الإسلا مية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابع، (١٤٢٣هـ).

الهزال وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، "فعذبهم الله تعالى بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظم والمحرقة".[1] والمراد بالخوف خوفهم من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن السرايا التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم، وهذه القرية التي ضربة مثلاً قيل هي مكة وقيل هي المدينة وقيل هي كل قرية كافرة بأنعم الله عليها، فضربه مثلاً لكل المشركين الذين ذكرهم الله تعالى بأنواع من النعم، لعلهم يشكرون، وحذرهم من عقابه لعلهم يرجعون، ويتركوا عبادة غير الله تعالى، ومن لم يستجيب لذلك توعده بالعذاب نتيجة أعمالهم، وذلك إن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم، فكان ذلك العقاب نتيجة شركهم بالله تعالى.[2]

من فوائد المثل:

١. إن سبب الضلال هو البعد عن كتاب الله تعالى وهدي رسوله. والإعراض عنه والجهل به، وذلك هو الموجب للعقوبة من الله تعالى، وهذا ما جاء في أخر الآية في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[3] قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[4] وغيره: أن العقاب من الله تعالى وبسبب كفرهم بنعم الله عليهم وهو دون الكفر الأكبر لا يخرج من الملة، ولكنه موجب للعقاب.[5]

---

١ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (٨٨/٣)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وغيره، قدمه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى(١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

٢ انظر المرجع السابق، و الماوردي، في تفسيره، (٢١٨/٣)، والبغوي، في تفسيره(١٠٠/٣)، حمود الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، (٥٠٧/١)، إبراهيم الزجاج، معاني القرآن وإعربه، (٢٢١/٣).

٣ سورة النحل آية، (١١٢).

٤ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن احمد بن راشد بن يزيد بن محمد بن يزيد ابن مشرف التميمي، النجدي. فقيه، أصولي، مفسر، محدث، متكلم. ولد في العينية من بلاد نجد(١١١٥هـ)، ونشأ بها، ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض علمائها، ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد إلى نجد، وقام بالدعوة إلى العقيدة السلفية والعمل بالكتاب والسنة، وارتاح أمير العينية عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره، ثم خذله، فقصد الدرعية بنجد فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز وقاتلوا من خالفه، وانتشرت دعوته في كثير من بلاد العرب، وعرف من والاه وشد أزره في قلب جزيرة العرب بأهل التوحيد، وسماهم خصومهم بالوهابيين نسبة إليه، وتوفي بالدرعية (١٢٠٦هـ). من آثاره: كتاب التوحيد، كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفه والرد على المشركين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كتاب الكبائر، والمسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية. انظر عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (١٧٠/٢٦٩/١٠).

٥ انظر محمد بن عبد الوهاب، الرسالة المفيدة، ص(٤٦). وصالح الفوزان، كتاب التوحيد، ص(٢١)، وعبد القادر محمد عطا، الصوفي، المفيد في مهمات التوحيد، ص(١٨٥).

٢. إن الثواب والعقاب مبني على العمل بالأوامر واجتناب النواهي وليس للعبد أن يقول عاذراً لنفسه بأن القضاء والقدر هكذا أجري عليه. بل العبد ملزم بمراعاة الأوامر والنواهي، وذلك لأن المذهب المستقيم يقرر أن الخير والشر من الله تعالى وفعل الخير والشر من العبد والعبد مختار في فعله اختيار تمييز وتحصيل لا اختيار مشيئة وقدر. وبذلك استحق الثواب والعقاب على عمله.[١]

٣. إثبات الشر في القضاء والقدر إنما هو بالإضافة إلى العبد، والمفعول إن كان مقدرًا عليه، فهو بسبب ذنوبه وجهله وظلمه، ولا تضاف إلى الله تعالى، لأن الشر إنما هو بالذنوب وعقوباتها في الدنيا والآخرة، فهو شر بالإضافة إلى العبد، أما بالإضافة إلى الرب سبحانه وتعالى، فكله خير لأنه صادر عن حكمته وعلمه، فإن ذاته منْزهة عن كل شر، وصفاته كذلك، إذ أنها كلها صفات كمال، وأفعاله حكمة ورحمة ومصلحة وإحسان وعدل، لا تخرج عن ذلك البتة، فتستحيل إضافة الشر إليه، فإنه ليس شر في الوجود إلا الذنوب وعقوبتها، وكونها ذنوبًا تأتي من نفس العبد، فإن سبب الذنب الظلم والجهل، وهما في نفس العبد. فإنه ذات مستلزمه للجهل والظلم، وما فيه من العلم والعدل فإنما حصل له بفضل الله عليه، فمن أراد الله به خيرًا أعطاه الفضل فصدر منه الإحسان والبر والطاعة، ومن أراد به شرًّا أمسكه عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها، فصدر عنه موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح، وليس منعه من ذلك شرًّا، ولله في ذلك الحكمة التامة، والحجة البالغة، فهذا عدله، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.[٢]

المثل الثاني:

قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[٣]

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

من حيث القياس هو قياس تمثيلي، حيث شبهت أحوال المشركين وكفرهم وعقاب الله تعالى لهم، بحال كل من كان قبلهم وعمل مثلهم فاستحق العقاب كما استحقه الذين من قبلهم.

---

١ انظر ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص(٨٨)، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية: (١٣٤٩ه). جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي، أصول الدين، ص(١٨٩،١٩٠)، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٢ انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص(٦٠١).

٣ سورة الحشر آية، (١٥).

من حيث التشبيه: هو تشبيه مركب.

وذلك أن كلا من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة، كما سيتم بيانه في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وتظهر من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ ﴾[1]

الذين من قبلهم: الآية. فيه خمسة أقاويل: أحدها: أنهم كفار قريش يوم بدر ، الثاني: أنهم قتلى بدر، الثالث: أنهم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام ، الرابع: أنهم بنو قريظة، كان قبلهم إجلاء بني النضير، خامساً: كل ذائق وبال أمره وهم مثل لمن بعدهم ممن عمل مثله.[2] وقد رجح الطبري القول الأول حيث قال: "وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله عز وجل مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذبي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين أهلكهم بسخطه".[3]

قريباً: وفيه وجهان، أحدهما: أي: يُشَبِّهونَهم في زمنٍ قريب سيقع لا يتأخر عنهم، والثاني: أنه ذاقوه في زمنٍ قريب سيقع ولم يتأخر عن معصيتهم.[4]

ذاقوا وبال أمرهم: أي: نالهم عقاب الله عز وجل على كفرهم به، والوبال: ثقل المكروه.[5]

ولهم عذاب أليم: أي لن تتأخر عقوبتهم في الدنيا، كما لم تتأخر عقوبة هؤلاء الذين قبلهم. ولهم عذاب أليم في الآخرة.[6]

ومما سبق ذكره يتبين صورة الممثل به هي

هم كفار قريش يوم بدر، أو هم قتلى بدر، وقيل هم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام، وقيل أنهم بنو قريظة، كان قبلهم إجلاء بني النضير، وقيل كل ذائق وبال أمره وصار مثل لمن بعدهم ممن عمل مثله وهو"عام في كل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح إلى محمد صلى الله عليه

---

١ سورة الحشر آية، (١٥).
٢ انظر الطبري، في تفسيره، (٥٤٠/٢٢)، وأبي محمد مكي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٧٤٠١/١١)، وابن عطية في تفسيره، (٢٩٠/٥)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٦/١٨).
٣ الطبري، في تفسيره، (٥٤٠/٢٢).
٤ انظر الطبري، في تفسيره، (٥٤٠/٢٢)، وأبي محمد مكي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٧٤٠١/١١)، وابن عطية في تفسيره، (٢٩٠/٥)، والقرطبي، في تفسيره، (٣٦/١٨).
٥ انظر أبي محمد مكي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية، (٧٤٠١/١١).
٦ انظر القرطبي، في تفسيره، (٣٦/١٨)، وأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، (١٤٧/١٠) والزحيلي، التفسير المنير، (٩٥/٢٨).

وسلم".[١] وهم أولئك الأقوام الذين كفروا بالله تعالى فأذاقها الله عز وجل عقابه الثقيل عليهم والقريب من معصيتهم في الدنيا قبل الآخرة ومن غير أن ينقص من عقابهم في الآخرة شيء.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

لم يرد في ألفاظ المثل مما يتعلق بالممثل له إلا ما دل عليه الممثل به ويمكن الاستدلال عليها من الممثل به.

وهم كل من قربت مدتهم من الذائق وبال أمره ممن عاقبه الله على كفرهم فهم ممثلون بهم فيما عنوا به من المثل، إذا عملوا بعملهم وأشركوا بالله تعالى فهم يستحقوا العقاب الذي استحقه الذين من قبلهم، وهم المشركون الذين حذرهم الله تعالى من أعمالهم الشركية، وذكرهم بالأمم الذين من قبلهم كيف كان عقابهم على كفرهم، لعلهم يرجعون عن شركهم، وتحذيرهم من العذاب والنقم يدعوهم إلى التفكر الجاد، لترك عبادة غير الله تعالى، ومن لم يستجيب لذلك توعده بالعذاب نتيجة أعمالهم، وذلك إن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم، فكان ذلك العقاب نتيجة شركهم بالله تعالى، وعقابهم في الدنيا لا ينقص من عقابهم شيء في الآخرة.[٢]

المطلب الرابع: شرح المثل.

مثل الله تعالى عقاب الذين كفروا حين تمادوا على العصيان فأهلكهم الله تعالى في الدنيا بأنواع الهوان والخسارة واختلف أهل التفسير في الذين من قبلهم: قيل بني قينقاع، أمكن الله منهم قبل بني النضير، وقيل: بني النضير، أمكن الله منهم قبل بني قريضة، وقيل كفار قريش يوم بدر، وقيل هو عام في كل من انتقم منهم على كفرهم، وأولى الأقوال بالصواب أنه عام: وأن الله مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب الذين أذاقهم الله عقابه، بالذين من قبلهم من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يختص الله عز وجل منهم في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، مثل أولئك الذين كفروا من أهل الكتاب في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم كلاً بحسب قدر عمله. وقيل قَرِيباً من عصيانهم، يذيقهم الله تعالى أنواع الهوان والخسران ولهم سوء العاقبة في الآخرة بقدر كفرهم في الدنيا.[٣]

---

١ القرطبي، في تفسيره، (١٤٧/١٨).

٢ انظر القرطبي، في تفسيره، (٣٦/١٨)، والزحيلي، التفسير المنير، (٩٥/٢٨)، وأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، (١٤٧/١٠).

٣ انظر نعمة الله بن محمود ويعرف بالشيخ علوي، الفواتح الإلهية و المفاتيح الغيبية، (٤٠٢/٢)، أبي السعود العماري، في تفسيره،(٢٣١/٨)، والطبري، في تفسيره، (٥٤٠/٢٢).

من فوائد المثل:

١. إن عقاب المشركين في الدنيا واقع وفي الآخرة كذلك مع اختلاف في شدته ونوعه.

٢. إخبار الله عنهم أنهم ذاقوا سوء عملهم في الدنيا وفي الآخرة والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة في العقاب وشدة العقاب ونوعه يختلف من شخص لشخص كل بحسب عمله.

٣. اختلاف دركات النار "فالنار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة"[١] وقد قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٢] واختلاف دركات النار يدل على اختلاف الواقعين فيها، وفترة مكوثهم فيها. ومنهم الكفار فقال: ابن القيم . رحمه الله . "فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود".[٣]

٤. بيان أن كل من دخل النار يعذبه الله تعالى بمقدار ذنبه من الكفار والمشركين وغيرهم من عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم متفاوتون تفاوتا بعيدا متفاوتون في مقدار ما تأخذ منهم فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه كله إلا مواضع السجود وكذلك يتفاوتون في مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها لأنهم متفاوتون في الإيمان والتوحيد الذي بسببه يخرجون منها ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبدا.[٤]

المثل الثالث:

قال صلى الله عليه وسلم (ضِرْسُ الْكَافِرِ أو نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ)٥

المطلب الأول: بيان نوع المثل.

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي.

---

١ عمر بن عبد الله الأشقر العتيبي، الجنة والنار، ص(٢٥).

٢ سورة النساء آية، (١٤٥).

٣ ابن القيم، مدارج السالكين ، (٣٣٥/١).

٤ انظر حافظ حكمي، معارج القبول، (١٠١٠/٣)، والبيهقي، شعب الإيمان، (٢٦٢/١).

٥اوره مسلم، في الصحيح، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارين والجنة يدخلها الضعفاء، ح(٢٨٥١)، (٢١٨٩/٤).

وهو يقوم على تشبيه مدرك بالحس الظاهر بما هو مدرك بالحس الظاهر وهو حال ضرس الكافر في النار، بجبل أحد في كبره وحجمه.

وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن تشبيه مفرد بمفرد كما سيتم إيضاح ذلك في المطالب التالية.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به.

وردت الفاظ المثل مبينة للممثل به فقال صلى الله عليه وسلم"(مِثْلُ أُحُدٍ) ومن قوله (مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ).

فالمشبه به هو جبل أحد: وجبل واحد الجبال، وهو الجبل المعروف بالقرب من المدينة. وهو الجبل الذي بجنب المدينة على نحو ميلين منها وهو في شمال المدينة وسمي بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هنالك.[1] وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه "طَلَعَ له أُحُدٌ فقال: هذا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"[2] أي مقداره.

ومسيرة ثلاث: أي من الأيام وعظم جسته يزيد في آلامه.[3]

الممثل به هو: جبل أحد في مقدار حجمه وكبره، الممثل به الثاني: هي المسافة التي يقطعها الماشي مسيرة ثلاثة أيام.

المطلب الثالث: بيان صورة الممثل له.

تظهر من قوله صلى الله عليه وسلم: (ضِرْسُ الْكَافِرِ أو نَابُ الْكَافِرِ) ومن قوله: (غِلَظُ جِلْدِهِ).

وهو مكون من ضرس أو ناب الكافر، ومن جلد الكافر.

الضرس:"السِّنُّ، وهو مذكر ما دام له هذا الاسم لأَنّ الأَسنان كلها إِناث إِلا الأَضْراسَ والأَنيابَ".[4]

النَّابُ: "السِّنُّ التي خلف الرَّباعِية ".[5]

---

١ انظر أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(٣٩)، وبدر الدين محمود العيني، عمدة القاري، (٢٧٤/١).
٢ متفق عليه: رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: الدعوات ، باب: التعوذ من علبة الرجال،ح(٦٠٠٢)، (٢٣٤٠/٥)، ورواه مسلم، في الصحيح، كتاب:الحج، باب:فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة، ح(١٣٦٥)، (٩٩٣/٢).
٣ انظر عبد الرءوف المناوي، في فيض القدير، (٢٥٤/٤)، والتيسير بشرح الجامع الصغير، (١١٠/٢).
٤ ابن منظور، لسان العرب، (١١٦/٦)، أبو السعادات المبارك الجزري، النهاية في غريب الأثر، (١٣٩/٥).
٥ ابن منظور، لسان العرب، (٧٧٧/١)، و أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(١٥٩).

الجلد: هي مكان إحساس الإنسان بالألم والجزاء الظاهر منه يسمى بشرة الإنسان.[1]

الممثل له هو حجم ضرس أو ناب الكافر وجلده في النار وكيف يتضاعف.

المطلب الرابع: شرح المثل.

دل هذا الحديث على بيان جزاء الكافرين، والمشركين، على كفرهم وشركهم. وإن الجزاء يكون نتيجة الحساب، وهو"ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه"[2] وقد سئل شيخ الإسلام عن حساب الكفار فقال: إن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات. فان أريد بالحساب المعنى الأول: فلا شك أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار. وإن أريد المعنى الثاني: فان قصد بذلك إن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر. وان أريد أنهم يتفاوتون في العقاب فعقاب من كثرت سيآته أعظم من عقاب من قلت سيآته. ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾[4] فدل ذلك على أن النار دركات. فإذا كان بعض الكفار عذابهم اشد عذابا من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخول الجنة.[5]

ومن ذلك يتبين أن الكفار والمشركين والمنافقين والمذنبين من العصاة المؤمنين وكل من استحق دخول النار، يعذب بقدر ذنوبه، وأن النار دركات كما أن الجنة درجات.

فجاء في الحديث الشريف وصف عقاب طائفة من الكفار وبين الرسول صلى الله عليه وسلم حالهم في النار من تعاظم خلقهم فوصف ضرس الواحد منهم أو نابه بأنه مثل جبل أحد في مقدار حجمه وضخامته، وأن جلد الواحد منهم يكون كمسيرة ثلاث أيام، وذلك ليكون أبلغ في إيلامهم، و يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب، فقال تعالى مخاطباً إبليس: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ

---

١ انظر أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص(٢٢)، وصديق بن حسن القنوجي، يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار ص(٥٣)، تحقيق:أحمد حجازي السقا، دار النشر مكتبة عاطف، القاهرة، الأولى: (١٣٩٨هـ/١٩٨٧م).

٢ عبد الروؤف المناوي، التعاريف، ص(٢٧٨).

٣ سورة النحل آية، (٨٨).

٤ سورة التوبة آية، (٣٧).

٥ انظر ابن تيمية، توحيد الإلوهية، (٣٠٥،٣٠٦/٤).

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1] فهذا قسم أقسم الله تعالى أن من اتبع من بني آدم عدو الله إبليس وأطاعه أن يملأ جهنم منهم،[2] "وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به"[3] وهكذا يدخل أهل الجحيم النار على صورة ضخمة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقهم، وهذا إنما يكون في حق البعض بدليل الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يوم الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الناس يَغْلُوهُمْ كُلُّ شيء مِنَ الصِّغَارِ حتى يَدْخُلُوا سِجْناً في جَهَنَّمَ يُقَالُ له بُولَسُ)[4].[5]

من فوائد المثل:

١. بيان أن عذاب الكفار في الآخرة يكون واقعاً على الجسد والروح، وليس على الروح فقط. ويدل على ذلك ما ورد في الحديث: (ضِرْسُ الْكَافِرِ أو نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ) فهذه الأوصاف تدل على وقوع العذاب على الجسد والروح في نار جهنم. كما كان واقعاً عليهما في القبر.[6]

٢. إن صريح الأخبار الصحيحة يدل على خلود أهل الدارين كل بما هو فيه من النعيم أو العذاب، وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة، على أن عذاب الكفار لا ينقطع.[7] وأن الجنة والنار لا تفنيان ولا يفنى من فيها قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[8] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾[9].[10]

---

١ سورة الأعراف آية، (١٨).
٢ انظر الطبري، في تفسيره، (١٣٩/٨).
٣ النووي، في شرح صحيح مسلم، (١٨٦/١٧).
٤ رواه أحمد بن حنبل، في مسنده، ح(٦٦٧٧)، (١٧٩/٢)، واورده ابن أبي شيبة، في مصنفه، ح(٢٦٥٨٢)، (٣٢٩/٥)، وأورده أبو محمد المنذري، الترغيب والترهيب، ح(٤٤١٨)، (٣٥٦/٣)، وقال عنه الألباني: حسن، في صحيح الترغيب والترهيب، ح(٣٥٨٣)، الجزاء (٣).
٥ انظر صديق بن حسن القنوجي، يقظة أولى الاعتبار، ص(٥٣)، وعبد الرءوف المناوي، فيض القدير، (٢٥٤/٤)، وابن حجر ، فتح الباري، (٤٢٣/١١)، عمر بن سليمان العتيبي، الجنة والنار، ص(٨٦،٨٥).
٦ انظر ابن تيمية، توحيد الألوهية، (٥٣/٧)، وابن القيم، الروح، ص(٥٤ و ١١٥).
٧ انظر صديق بن حسن القنوجي، يقظة أولى الاعتبار، ص(٤١).
٨ سورة النساء آية، (١٢٢).
٩ سورة النساء آية، (١٦٩،١٦٨).
١٠ انظر حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، (٨٦٣/٢).

٣. وجوب الإيمان بعذاب النار ومقداره ومن تعاظم أحسام الكفار فيها، ولأن الصادق أخبرنا به وأنه لا مجال لإعمال العقل فيه.

خلاصة مبحث: لأمثال في جزاء المشركين ومآلهم.

إن اختلاف مقادير العذاب محمول على اختلاف تعذيب الكفار، فكل واحد منهم يعذب بقدر عمله. ومنهم من يظن أنه على خير يفاجأ يوم القيامة بأن عمله باطل ضائع، فلا يجد الكافرون من أعمالهم الخيرة شيئًا ينفعهم عند الله يوم القيامة، لأنهم كانوا يشركون فيها معه الآلهة والأوثان وغيرهم، فهي على غير الهدى، بل هي على جور وضلال، وأما في الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بها في الدُّنْيَا وَيُجْزَى بها في الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ ما عَمِلَ بها لِلَّهِ في الدُّنْيَا حتى إذا أَفْضَى إلى الْآخِرَةِ لم تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها).[1] وكل معصية ورد في الشرع تسميتها كفراً ولم تصل إلى حد الكفر الأكبر المخرج من الملة. فهي من كفر النعمة التي لا يخرج صاحبه من الملة، وحكم هذا الكفر: أنه محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب؛ لأنه من أعمال الكفار التي حرمها الإسلام وهي موجبة للعقوبة في النار.[2] فعذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم: مدة ثم ينقطع، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب.[3]

أما من أقفل قلبه وطبع عليه بالكفر وهو من تحدث في نفسه هيئة تمرنه على استحباب الكفر والمعاصي واستقبح الإيمان فيصبح قلبه لا يفقه شيء وعليها حجاب بينها وبين الاستنفاع بالآيات.[4]

واللَّه عليم بعباده وما هم فاعلون، فيهدي مَن يعلم أنه أهل للهداية، ويضل ويختم على قلب من يعلم أنه أهل للغواية. ويقتضي العدل والحكمة: أن يجازي كلاً بما يستحق على عمله، فيهدي من اهتدى، ويضل من كذب، ويختم على قلبه وسمعه جزاءً وفاقاً.[5] قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[6]

١ رواه مسلم في الصحيح، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، ح(٢٨٠٨)، (٢١٦٢/٤).
٢ انظر عمر بن سليمان الأشقر العتيبي، القيامة الكبرى، ص(١٢٧)، ومحمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص(١٨٦)، وعبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلام، ص(١٢٦).
٣ انظر ابن القيم، الروح، ص(٨٩).
٤ انظر أبي سعيد الخادمي محمد بن محمد بن عثمان، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في في سيرة أحمدية (١٩٥/٢)، مطبعة الحلبي، (١٣٤٨هـ).
٥ انظر عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (٢ / ٦٦٧).
٦ سورة الجاثية آية، (٢٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن هذه الرسالة وما تضمنتها من إثبات الألوهية لله وتنزيهه عن الشريك وغيره من كل ما لا يليق به سبحانه، وبما تضمنته أيضاً من بيان وإظهار نعمته على رسله وخلقه. بتعدد طرق هدايته لهم. ومن هذا وغيره يدرك المتأمّل أهمية هذه الدراسة، وفضل البحث فيها، إذ هي فيما يتعلّق بشأن الله تعالى وتوحيده وتنزيهه عن الشرك وكل ما لا يليق به سبحانه وتعالى، وإنما يفضل العلم بشرف المعلوم.

فقد انتهيت – بعون الله تعالى – من إتمام هذا البحث، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي، واستفدت منه فوائد كثيرة، وخرجت بنتائج طيبة، وذلك من خلال قراءتي لكثير من كتب العقيدة والتفسير والحديث والمعاجم وغيرها من مختلف العلوم المتعلقة بهذا البحث.

هذا ويمكن أن أجمل أهم النتائج والفوائد التي توصلت إليها في الأمور التالية:

١. وقد ظهرت أهميتها من خلال الأمثال الواردة في هذه الدراسة من الكتاب و السنة المطهرة أهمية علم التوحيد، وأهمية الحفاظ عليه، وسد كل منفذ يؤدى إلى خدشه بالشرك وغيره، أو التهاون في أمره، لكونه أساس الدين وقاعدته التي يقوم عليها.
٢. بيان أهمية ضرب الأمثال الواردة في الدعوة إلى عبادة الله تعالى، بالتنفير من الشرك والترغيب في التوحيد.
٣. بيان أثر التوحيد على الفرد من الناحية النفسية والقلبية.
٤. بيان أن صفات الله تعالى العظيمة وكماله المطلق أكبر دليل على أنه لا يستحق العبادة إلا هو، ومن كان بالله أعرف كان له أعبد كما كان ذلك في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.
٥. إقامة الحجة على المشركين لإثبات تفرد الله بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة، وبطلان الشرك، وعدم صحة المساواة بينه وبين الأصنام أو غيرها من المخلوقات في الألوهية.
٦. بيان إن الحق مهما توارى زمنا وأُمتحن أهله لا بد وأن يعلو، والباطل مهما ارتفع واغتر أهله به فإنه لا محال زائل، وقد ضرب الله المثل حتى لا ييأس أصحاب الحق ومن أخلصوا العمل لله تعالى. وحتى لا يغتر أصحاب الباطل من المشركين بالله تعالى بباطلهم.
٧. بيان أن الهداية للإيمان تكون بفعل الله تعالى حيث يشرح صدر عبده الذي اقتضت حكمته أن يهدى فيقذف نور الهداية في قلبه.

٨. إن الله أنزل القرآن وما أوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هداية للناس، فمن اهتدى به هداه، ومن أعرض عنه أضله وأخزاه.

٩. أن معرفة الله تعالى بصفاته العظيمة وتوحيده في كماله المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو، ومعرفة صفات المخلوقات وما هي عليه من نقص وافتقار إلى غيرها وإلى ربها في كل شئونها. وأنهم ليس لهم من الكمال إلا ما تفضل عليه به ربهم، فهذا أعظم برهان على بطلان إلهية ما سواء الله تعالى.

١٠. بيان أن التوحيد علمي اعتقادي وعملي طلبي، والعملي متضمن للعلمي، فإذا علم العبد أن ربه لا شريك له في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته نتج عنه أن يعمل على طاعته وعبادته، ومن عبد إلهه ووحده يكون قد اعترف أولًا بأن لا رب غيره.

١١. بيان أن الكلمة الطيبة هي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن: لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، إذ لا تصح الأعمال إلا به، فهو أصلها الذي تبنى عليه، ومتى لم يوجد، لم ينفع العمل، وهي تتضمن العلم والعمل مع القول، فلا يكتفي ببعض ذلك؛ بل لابد من العلم والعمل والقول.

١٢. إن الله تعالى يضاعف الحسنات لعباده المؤمنين بقدر الإخلاص فالتضعيف يرتقي من عشر إلى سبعمائة وإلى أضعاف كثيرة، والمراد مضاعفة جزائها. وإن التضعيف فضل من الله تعالى واصل الحسنة الواحدة عدل منه، واحدة بواحدة.

١٣. بيان أن من أهم قواعد أهل السنة والجماعة. أن مصير الموحدين الجنة، سواء دخلوا النار أم لم يدخلوا النار؛ فمن دخلها بذنوبه فإنه لا يخلد فيها؛ بل يخرج منها بعدما يطهر إلى الجنة، وقد يعفو الله سبحانه وتعالى عن العاصي الموحد المؤمن، بالشفاعة أو برحمته من دون شفاعة أحد، فيدخله الله الجنة.

١٤. إثبات أنه لا أعجز مما يعبد من دون الله، ولا أضعف منه. ولا يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى. إذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو تمسك رحمة أنزلها على عبده. فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده.

١٥. إن الله تعالى خلق لجهنم كثيراً من الإنس والجن لعلمه سبحانه وتعالى أنهم يصيرون إليها بكفرهم وشركهم بالله تعالى وعدم متابعة النبي الكريم.

١٦. إن حياة القلوب أو مرضها أو موتها موقوف على صلاح أو فساد ما فيها، وأن أثر الإيمان في تطهير القلب يتجلى في تطهيره من العقائد الباطلة، والظنون السيئة، تطهيره من المعاصي.

١٧. بيان أن أعمال الكفار قسمان: من حيث الأجر عليها في الآخرة: قسم: هو طغيان وبغي وإفساد في الأرض ونحو ذلك، فهذه أعمال باطلة فاسدة لا يرجو أصحابها من ورائها خيراً، ولا

يتوقعون عليها ثواباً بل يعاقبون عليها. والقسم الثاني: أعمال أحسنوا فيها وهم يظنون أنها تغني عنهم من الله شيئاً، كالصدقة والعتاق وصلة الأرحام والإنفاق في سبل الخير.

١٨. بيان أنه لا بد لقبول العمل وإن كان صالحاً من توفُّر شرطين: أحدهما: أن يكون العمل لله خالصاً، والثاني: أن يكون لسنة محمد صلى الله عليه وسلم موافقاً.

١٩. إن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال الحسنة بل إلى مدى إخلاص القلب في تلك الأعمال وذلك لأن الشرك فيها يحبطها وإن كانت كثيرة.

٢٠. بيان اختلاف دركات النار، فالنار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة، وهو يدل على اختلاف الواقعين فيها، وفترة مكوثهم فيها.

وعلى هذا توصي الباحثة: إعداد دراسة علمية حول أساليب وطرق الدعوة في القرآن والسنة للتوحيد واهتمام الصحابة والتابعين الاهتمام الكبير به، ودراسته دراسة علمية قوية لتقديمه صافيا نقيا إلى البشرية، وذلك لترتفع راية التوحيد فوق كل مظاهر الشرك، وتطهر البلاد ويخضع العباد لله سبحانه وتعالى، وحتى ينتشر الأمن والسلام والرخاء، فبالتوحيد يتحقق للعبد ما يريد، بمشيئة الله وحده.

كما أوصي بدراسة مقارنة بين علماء اليهود والنصارى وعلماء المسلمين من ناحية تقوى الله فيما علموا وعملوا، وبيان للناس ما خفي عليهم من أمر دينهم، واجتهادهم في طلب الحق بدلائله من الكتاب وسنة أنبيائهم وفهم سلفهم الصالح للدين، ومدى نشر ذلك بين الناس، وتحذيرهم من إتباع سبيل من كتمه واشترى به ثمنا قليلا، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[١]

وكذلك أيضا ما يجب على العلِماء من عدم الانسياق لما اعتاده الناس وجروا عليه مما يخالف الشرع، بل عليه البلاغ والبيان وإن رفضه الناس، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٢]

وأحمد الله تعالى وأشكره أن أعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وفقت بها في عرضه، وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب، ولا شك أن الإنسان معرض للخطأ في عمله والكمال لله وحده.

---

١ سورة ال عمران آية، (١٨٧).
٢ سورة العنكبوت آية، (٦٩).

وإنني أعترف هنا بالتقصير، فإن كان ما ذكرته في بحثي هذا وما عرضته فيه حقا وصوابا فهذا فضل الله وحده وله الحمد والشكر أولا وآخراً، وما كان فيه من خطأ وزلل فهو مني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه من ذلك.

وفي ختام هذه الرسالة أوصي نفسي وسائر إخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، والتحقق في ذلك، وأن يكون ديدن الجميع طلب الحق والعمل به، وأوصي إخواني المسلمين جميعا بالتفقه في الدين، وطلب العلم؛ ليعبدوا الله على بصيرة، ولينالوا الخيرية، يقول – صلى الله عليه وسلم –: (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين).[١]

وأخيراً أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وإتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إتباعا نقيا خاليا من البدع والأهواء، كما كان عليه سلف هذه الأمة، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١ متفق عليه، رواه البخاري، في الصحيح، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خير يفقه في الدين، ح(٧١)، (٣٩/١)، ورواه مسلم، في الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، ح(١٠٣٧)، (٧١٨/٢).

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم بن محمد أبي الوفاء الحلبي الطرابلسي، الكشف الحثيث، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، الأولى: (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٣. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الإعتصام، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٤. إبرهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، (١٤٠٥هـ).

٥. أبو أحمد أمان بن علي جامي، الحكم على الشيء فرع عن تصوره، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

٦. أبو أحمد أمان بن علي جامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى: (١٤٠٨هـ).

٧. أحمد بن إبراهيم بن حمد، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تحقيق: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامية، بيروت، الثالثة: (١٤٠٦هـ).

٨. أحمد بن إبراهيم بن عيسى، شرح قصيدة ابن القيم، زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة: (١٤٠٦هـ).

٩. أحمد بن عبد العزيز التويجري، الوهابية، دار السنة، الطبعة: الأولى: (١٤٢٨هـ).

١٠. أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، تجريد التوحيد المفيد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

١١. أحمد بن غانم أو غنيم شهاب الدين، الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

١٢. أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق:أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م).

١٣. بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: حسن قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة (٢٠٠٢م).

١٤. بشير علي عمر، منهج الإمام أحمد في إعلام الأحاديث، وقف السلام، الطبعة: الأولى: (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

١٥. أبو بكر أحمد الجرجاني، إعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ).

١٦. أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى،(١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م)
١٧. أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، مسند ابن أبي شيبة، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن ، الرياض، الطبعة: الأولى،(١٩٩٧م).
١٨. بكر بن عبد الله أبو زيد القضاعي، فقه النوازل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
١٩. بكر بن عبد الله أبو زيد القضاعي، الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية (١٤١٥هـ).
٢٠. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى،(١٤١٩هـ).
٢١. أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٢٢. تامر محمود متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى: (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
٢٣. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، الرد على المنطقيين، تقديم وتعليق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
٢٤. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة(١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)
٢٥. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، النبوات، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). ابن
٢٦. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، تلخيص كتاب الاستغاثة الرد على البكري، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ).
٢٧. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، توحيد الألوهية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

٢٨. ابن تيمية تقي الدين أبو العَباس الحراني الحنبلي الدمشقي، جامع المسائل، تحقيق : محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة : الأولى (١٤٢٢ هـ).
٢٩. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، (١٤١١هـ/١٩٩١ م).
٣٠. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، شرح العقيدة الأصفهانية، المحقق: حسين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية.
٣١. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، شرح حديث النزول، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة: (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧).
٣٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، جامع الرسائل في رسالة في معنى كون الرب عادل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٣٣. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تحقيق: ربيع بن هارون المدخلي، الطبعة الأولى: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٤م).
٣٤. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، كتاب الإيمان، تلخيص وتحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (١٤١٨هـ).
٣٥. ابن تيميه، تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، في مجموع الفتاوي، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
٣٦. جعفر بن محمد الفريابي، الغرباء، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتب، الكويت، الأولى: (١٤٠٥هـ).
٣٧. جلال الدين بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي، في تفسير الجلالين دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى.
٣٨. جماعة من العلماء من الندوة العامة للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، إشراف: مانع بن حماد الجهني، الطبعة الخامسة، (١٤٢٤هـ).
٣٩. جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي، أصول الدين، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٤٠. حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول، تحقيق :عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ /١٩٩٠م).

٤١. أبو حامد الغزالي، المقاصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، قبرص، الطبعة، الولى: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٤٢. أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب، الكويت.
٤٣. حامد بن محمد بن حسين بن محسن، فتح الله الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار المؤيد، الأولى: (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)،
٤٤. ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت،(١٣٧٩هـ).
٤٥. ابن حجر الهيثمي أحمد بن علي الأنصاري، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة، الأولى: (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
٤٦. ابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد بن علي الأنصاري،الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٤٧. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق: هيلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.
٤٨. حسن عبد الفتاح أحمد، غاية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٤٩. أبو الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الجامعة السلفية، الهند، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٤هـ/١٩٨٩م).
٥٠. أبو الحسن علاء الدين المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، الأولى، (١٤١٥هـ).
٥١. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وغيره، قدمه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٥٢. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإبانة، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة: الأولى: (١٣٩٧هـ).
٥٣. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تفسير الماوردي، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤. أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م).

٥٥. أبو الحسين يحيى الشافعي، الإنتصار في الرد على القدرية الأشرار، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٥٦. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

٥٧. أبو زكريا النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية،(١٣٩٢هـ).

٥٨. أبو زكريا النووي، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩. أبو زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، (١٣٩٣هـ).

٦٠. زين الدين عبد الرءوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ).

٦١. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الأثار، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت (١٣٩٩هـ).

٦٢. سعد الدين ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها، مكتبة الرشد، الرياض.

٦٣. أبو السعود العمادي محمد بن مصطفى، في تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٤. أبو سعيد الخادمي محمد بن محمد بن عثمان، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، مطبعة الحلبي، (١٣٤٨هـ).

٦٥. سعيد بن علي القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، راجعه: عبد الله الجبرين، فهرسة الملك فهد الوطنية، الطبعة الرابعة، (١٤١٥هـ).

٦٦. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، دار الكلمة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٦٧. سلمان بن سحمان الخشعمي، كشف غياهب الظلام عن أوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب. تحقيق: شعيي الارنؤوط، وعادل مرشد، إشراف: عبد المحسن التركي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ/٢٠٠١).

٦٨. سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي، النجدي، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الخامسة، (١٤١٤هـ/١٩٩٢م).
٦٩. سليمان بن سحمان بن مصلح الختمي، كشف غياهب الظلام عن أوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب، أضواء السلف: الطبعة: الأولى.
٧٠. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٧١. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٧٢. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٧٣. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، لتوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٧٤. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة: العاشرة: (١٤١٢هـ).
٧٥. الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، الأم، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)
٧٦. أبو شكيب محمد الهلالي، الحسام الماحق لكل مشرم ومنافق، دار الفتح، الشارقة، الطبعة: الأولى: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٧٧. شمس الدين محمد الذهبي، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلمية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
٧٨. شمس الدين محمد الذهبي، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت.
٧٩. أبو الشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: عبد العلى عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي الطبغة الثانية (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
٨٠. صالح بن عبد السميع الأهوازي، الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت.

٨١. صالح بن عبد العزيز ال الشيخ، التمهيد في شرح كتاب التوحيد، دار التوحيد، الطبعة: الأولى: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٨٢. صالح بن عبد الله العبود، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، الطبعة الثانية: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
٨٣. صالح بن فوزان الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م).
٨٤. صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٨٥. صالح بن فوزان الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، مؤسسة الرسالة، الأولى: (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦).
٨٦. صالح بن فوزان الفوزان، كتاب التوحيد، دار النشر: وزارة الشؤن الإسلا مية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابع (١٤٢٣هـ)
٨٧. صديق بن حسن القنوجي، يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، تحقيق:أحمد حجازي السقا، دار النشر مكتبة عاطف، القاهرة، الأولى: (١٣٩٨هـ/١٩٨٧م).
٨٨. صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٨٩. طاهر بن محمد الاسفراييني، التبصرة في الدين وتميز الفرق الناجية من الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة: الأولى: (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٩٠. عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
٩١. أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد، مختصر معارج القبول، مكتب الكوثر الرياض، الطبعة الخامسة (١٤١٨هـ).
٩٢. أبو العباس أحمد المقريزي، تجريد التوحيد المفيد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٩٣. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم البوصيري الكناني الشافعي، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٤٠٣هـ).
٩٤. ابن عبد البر التمري، التمهيد لأبن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، سنة(١٣٨٧هـ).
٩٥. عبد الرءوف المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى (١٣٥٦هـ).

٩٦. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دارالفكر، الطبعة: الخامسة والعشرين، (١٤٨٢هـ/٢٠٠٧).
٩٧. عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، (١٢٧١هـ/١٩٥٢ م).
٩٨. عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ).
٩٩. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، دار الهداية، الطبعة: الأولى: (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
١٠٠. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، رسائل وفتاوي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثالثة، (١٤١٢هـ).
١٠١. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، مكتبة المؤيد، الطائف، الأولى: (١٤١١هـ/١٩٩٠م).
١٠٢. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله ال حمد، دار العاصمة، (١١٩٣هـ).
١٠٣. عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، تلبيس إبليس، تحقيق: السيد الجميل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
١٠٤. عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، دار ابن الأرقم، الكويت، الطبعة: الأولى: (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
١٠٥. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولى: (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
١٠٦. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ).
١٠٧. عبد الرزاق بن عبد المحسن البد، تذكرة المؤتسي شرح عقيد الحافظ عبد الغني المقدسي، غراس، الطبعة: الأولى: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٠٨. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الشيخ عبد الرحمن بن سعد وجهوده في توضيح العقيدة، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
١٠٩. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الثالثة، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١١٠. عبد الطيف بن عبد الرحمن ال شيخ، الإتحاف في الرد على الصحاف، تحقيق: عبد العزيز ال حمد، دار العاصمة، الأولى: (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
١١١. عبد الطيف بن عبد الرحمن ال شيخ، البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، مكتبة الهداية، الأولى: (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
١١٢. عبد العزيز بن عبد الله بن باز و محمد بن صالح العثيمين، فتاوي مهمة، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ) .
١١٣. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أصول الإيمان، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
١١٤. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، تجميع وطباعة محمد بن عبد العزيز الشايع، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ /١٩٩٥م).
١١٥. عبد العزيز بن محمد السلمان، موارد الظمان لدروس الزمان، الطبعة: الثلثون، (١٤٢٤هـ).
١١٦. عبد العزيز بن محمد بن علي ال عبد الطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار الوطن، الرياض، الطبعة: (١٤١٢هـ).
١١٧. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى،(١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م).
١١٨. عبد القادر بن محمد صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، دار الإعلام، الطبعة: الأولى: (١٤٢٢هـ).
١١٩. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،(١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م).
١٢٠. أبو عبد الله الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: علي محمد البخاري، نهضة مصر، القاهرة.
١٢١. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١١هـ /١٩٩٠م).
١٢٢. عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الأولى: (١٤٠٦هـ)

١٢٣. عبد الله بن جار الله، من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية والاحكام المدنية، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
١٢٤. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدمة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
١٢٥. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٢٦. عبد الله بن عبد الرحمن الملقب (أبا بطين)، تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، تحقيق: عبد السلام بن برحس، مؤسسة الرسالة، الأولى: (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
١٢٧. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي، الطبعة: الثانية.
١٢٨. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، الثانية: (١٤٢٤هـ).
١٢٩. أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، تفسير الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى(١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م).
١٣٠. أبو عبد الله شمس الدين بن محمد الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية، دار الصميعي، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
١٣١. أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر ال سعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وزارة الشؤن الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى: (١٤٢٢هـ).
١٣٢. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م).
١٣٣. أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، شرح الزرقاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٣٤. أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة: الأولى، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
١٣٥. عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ/١٩٩١م).

١٣٦. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الانتصار لأهل السنة والحديث رد أباطيل حسن المالكي، در الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
١٣٧. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الحث على إتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها، مطبعة سفير، الطبعة الأولى: (١٤٢٥هـ).
١٣٨. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
١٣٩. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، من أخلاق الرسول الكريم، دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى: (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
١٤٠. عبد الهادي بن محمد العجيلي، التجريد في شرح كتاب التوحيد، تحقيق: حسن بن علي العواجي، أضواء السلف، الرياض، الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
١٤١. أبو عبيد الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة،(١٤٠٣ هـ).
١٤٢. عثمان جمعة ضميرية، مدخل الدراسة العقيدة الإسلامية، تقديم: عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي: الطبعة: الثانية(١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٤٣. ابن العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، المكتبة الإسلامية، بيرون ،الطبعة الثامنة (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
١٤٤. علي احمد عبد العال الطهطاوي، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م).
١٤٥. علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثارهما في حياة الأمة، رسالة لنيل درجة الماجستير العام (١٤١٤هـ).جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.
١٤٦. علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتاب العلمي، بيروت لبنان الأولى(١٤٢٢هـ).
١٤٧. علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى(١٤٠٥هـ).
١٤٨. عماد زهير حافظ، حمد الله ذاته الكريمة في آيات الكتاب الحكيمة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

١٤٩. عمر بن عبد الرحمن الغزويني أبو المعالي، مختصر شعب الإيمان، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار أبن كثير، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ).
١٥٠. عمر بن عبد الله الأشقر العتيبي، الجنة والنار، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السابعة: (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
١٥١. عمر رضاء كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى: (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
١٥٢. عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس، الكويت، الطبعة السابعة، (١٤١١هـ/١٩٩١م).
١٥٣. عواد بن عبد الله المعتق، شرط لا إله إلا الله، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، (١٤١٤هـ/ ١٤١٥هـ).
١٥٤. عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة .
١٥٥. غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة: الرابعة: (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
١٥٦. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٤هـ).
١٥٧. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ).
١٥٨. أبو الفدى إسماعيل حقي بن مصطفى الأستنبولي الحنفي الخلواتي، روح البيان، دار الفكر، بيروت.
١٥٩. أبو الفرج جمال الدين الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المصري، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى: (١٤٢٢هـ).
١٦٠. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الثبات عند الموت، مؤسسة الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٦هـ).
١٦١. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كشف المشكل، تحقيق: علي حسين البواب دار الوطن، الرياض، سنة(١٤١٨هـ).
١٦٢. فضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد ، سوريا، الطبعة: الأولى،(١٤٠٦هـ /١٩٨٦م). أبو ال

١٦٣. أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
١٦٤. أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهانى، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى:(١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م).
١٦٥. أبو القاسم الزمخشري، في تفسيره: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالث: (١٤٠٧هـ).
١٦٦. أبو القاسم الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمري، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٨م).
١٦٧. أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.الطبعة: الثانية.
١٦٨. أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، (١٤١٥هـ).
١٦٩. أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى: (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
١٧٠. أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، في مسند الشامين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
١٧١. ابن قيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، اجتماع الجيوش الإسلامية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
١٧٢. ابن القيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الحدود والتعزيرات، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، (١٤١٥هـ).
١٧٣. ابن قيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،(١٤٠٨هـ).
١٧٤. ابن قيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، أمثال القرآن، تحقيق: جميل إبراهيم حبيب، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
١٧٥. ابن قيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، جلاء الأفهام، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، الطبعة :الثانية، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٧٦. ابن قيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، شفاء العليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى (١٣٩٨هـ).
١٧٧. ابن قيم الجوزية بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية: (١٣٤٩هـ).
١٧٨. ابن قيم الجوزية محمد ابن أبي بكر الزرعي الدمشقي، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق : عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت ،(١٩٧٣م).
١٧٩. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، إعاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
١٨٠. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، التبيان في أقسام القرآن، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٨١. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة — المغرب، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
١٨٢. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة،(١٩٩٩ م).
١٨٣. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة.
١٨٤. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
١٨٥. أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، في تفسيره، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، عادل محمد عبد الموجود، وزكريا النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت،(٢٠٠٦م).
١٨٦. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى.
١٨٧. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان، الطبعة: الثامنة، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م)
١٨٨. محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، دار اليقين، الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٨٩. محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

١٩٠. محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ/١١٩٨٥م).

١٩١. محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي،عون المعبود شرح سنن أبي دأود، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الثانية،(١٤١٥ هـ).

١٩٢. محمد الطاهر عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس، (١٩٨٤هـ).

١٩٣. محمد بشير بن محمد بدر الدين السعسفواني الهندي، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، المطبعة السلفية، الطبعة: الثالثة.

١٩٤. محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقيدة، دار ابن خزامة الطبعة: الأولى.

١٩٥. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (١٤١٥هـ).

١٩٦. محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، الرد الوافر، تحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٣م).

١٩٧. محمد بن أحمد عبد السلام الشقير الحوامدي، السنن المبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تصحيح: محمد خليل هراس، دار الفكر.

١٩٨. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ).

١٩٩. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٢٠٠. محمد بن جميل زينو، توجهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى (١٤١٨هـ).

٢٠١. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، (١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م).

٢٠٢. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٥٩م).
٢٠٣. أبو محمد بن حزم الطاهري، الفصل في الملل، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
٢٠٤. محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، تكملة «الصّارم المنكي»، وتحقيق: صالح بن علي المحسن، أبو بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة، الرياض الطبعة: الأولى(١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).
٢٠٥. محمد بن خليفة بن علي التميمي، مقدمة أهل السنة والجمعة في توحيد الأسماء والصفات، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى: (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
٢٠٦. محمد بن سعيد بن سليم القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى.
٢٠٧. محمد بن سيد أحمد، الجديد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة السوادي، جده، الطبعة: الخامسة: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٢٠٨. محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد في كتاب التوحيد، دار الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: (١٤٢٤هـ).
٢٠٩. محمد بن صالح العثيمين، تقريب التدمرية، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ).
٢١٠. محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن، الرياض، (١٤٢٦هـ).
٢١١. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة السفارينية، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ).
٢١٢. محمد بن صالح العثيمين، فتاوي أركان الإسلام، جمع: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الأولى: (١٤٢٤هـ).
٢١٣. محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوي ورسائل بن عثيمين، جمعها ورتبها: فهد بن إبراهيم السليمان، دار الوطن ،الطبعة : الأخيرة (١٤١٣ هـ).
٢١٤. محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.
٢١٥. محمد بن عبد الرحمن الخميس، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة: الأولى،(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢١٦. محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، دار أطلس الخضراء، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٢١٧. محمد بن عبد الله الغامدي، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية، لمدينة المنورة، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٢١٨. محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضيلة، وقدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار العلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققه (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م).
٢١٩. محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل ، بيروت.
٢٢٠. محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، (١٤٠٦هـ /١٩٨٦م)
٢٢١. محمد بن عبد الوهاب، الجواهر المضية، دار العاصمة، الرياض. المملكة العربية السعودية النشرة الثالثة،(١٤١٢هـ).
٢٢٢. محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية، (مطبوعة ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة الجزء السادس)، تحقيق: صالح بن فوزان الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام سعود، الرياض.
٢٢٣. محمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ).
٢٢٤. محمد بن عبد الوهاب، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٢٥. محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أسامة عبد العزيز، دار التيسير الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).
٢٢٦. محمد بن نصر اليماني ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية: (١٩٨٧م).
٢٢٧. محمد جمال الدين القاسمي، موعظة المؤمنين من أحياء علوم الدين، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية ، بيروت، (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م).
٢٢٨. محمد خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، أضواء البيان السلف، الرياض، الطبعة: الأولى: (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
٢٢٩. محمد خليل هراس، الحركة الوهابية، المحقق: أحمد بن عبد العزيز التويجري، دار السنة، الطبعة: الأولى (١٤٢٨هـ).
٢٣٠. محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، دار الثقافة للطباعة ،مكة المكرمة،الطبعة الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩١).

٢٣١. أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام، المنتخب من مسند عبد بن حميد، المحقق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٢٣٢. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة: (١٤١٩ هـ).
٢٣٣. أبو محمد عبد العزيز السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية، الطبعة: الثالثة عشر (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٢٣٤. أبو محمد عبد الله الجويني، رسلة في إثبات الإستواء، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، دارطويق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٢٣٥. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠ م).
٢٣٦. محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
٢٣٧. محمد علي بن محمد الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة: (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
٢٣٨. محمد متولي الشعراوي، في تفسيره، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧م).
٢٣٩. محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، دار الجليل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة: (١٤١٣هـ).
٢٤٠. أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٤١. أبو محمد مكي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق مجموع رسائل جامعية،إشراف:الشاهد أبو شيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٢٤٢. محمد ناصر الدين الألباني، تحذير الساجد من أتخاذ القبور مساجد، المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة.
٢٤٣. محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٤٤. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة.

٢٤٥. محمد يسري، طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الثانية: (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٢٤٦. محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، (١٤١٨ هـ).
٢٤٧. محمود محمد مزروعة، المنطق القديم عرض ونقد، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، الطبعة: الثانية، (١٤٢٧هـ).
٢٤٨. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة(١٤١٥هـ).
٢٤٩. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (٣٣٤/٤)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، سورية، الطبعة الرابعة، (١٤١٥هـ).
٢٥٠. محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة : الأولى، (١٤٢٠ هـ).
٢٥١. مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى: (١٤٠٦هـ).
٢٥٢. مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)،
٢٥٣. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، لمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٥٤. مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثامنة (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).
٢٥٥. مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى: (١٤٢٦هـ).
٢٥٦. أبو المعالي الألوسي، غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: أبو عبد الله الداني ال زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٢٥٧. أبو المنذر محمود المنياوي، الجموع البهية للعقيدة السلفية، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة: الأولى (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٢٥٨. أبو منصور عبد القاهر الإسفراييني، الفرق بين الفرق، دار الأفق الجديد، بيروت، الطبعة الثانية: (١٩٧٧م).
٢٥٩. أبو منصور محمود الماتريدي، التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
٢٦٠. ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٢٦١. نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصرة، بيروت، الأولى (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢٦٢. أبو نعيم أحمد الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة: (١٤٠٥هـ). ومروان كجك، أحكام عصاة المؤمنين، دار الكلمة الطبية، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ).
٢٦٣. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، (١٤١٨هـ).
٢٦٤. وهبة بن مصطفي الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ).
٢٦٥. أبو يوسف يعقوب القسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

فهرس المحتويات